صناعة النساء في..

بيت هدرايل

تأليف

جرانفيل باركر

ترجمة وتقديم

د. سيد الإمام

مراجعة

د. جيهان خريبة

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكـتاب: بيت مدراس

تألـــيف: جرانفيل باركر

تـرجمة وتقـديم: د. سيد الإمام

مـراجعة الترجمة: د. جيهان خريبه

رقم الايداع ٢٠١٧/١٧٨٥٦

الترقيم الدولى / ٨-١٩-٠٠-٨٣٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٧



القاهـرة: ٤ ميـدان حليـم خلـف بنـك فيصـل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت: ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ / ٠٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5y@ahoo. com

مقدمة الترجمة

١ـ حضور الإسلام

حـين هممـت بقـراءة(بـيت مـدراس) ضـمن مشروع لترجمة أعمال " جـرانفيل باركـر"، وتقديمـه لقراء العربية ، لم أكن أتوقع- في الحقيقة- أن للفكـر الإسـلامي المتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة حضور في المعالجة الدرامية بـأي حـال مـن الأحـوال . ولكـن هـذا مـا كان ، وإن يكن- فيما رأيته- حضورا مشوها يستقي أسسه من الصورة التي انطبعت في الأذهان خاصة في ظـل الـسلطنة التركـية ، التي ورثت مفهوم الخلافة والهوية الإسلامية ، وأشـاعت ثنائـية "الحرملك- السلاملك" في العمارة كما في الحياة العامة ، ومـن ناحية ثانية كان حضور الإسلام يخفي خلفه نوعا من الانحلال المقنع بأرديـة عقائديـة تسوغه ، ويمنح- في الوقت نفسه- احتراما زائفا للنساء ، حين يستنكر الرجل الخوض في شأنهن علانية ! . والواقع أن هذا الحضور نفـسه أضـاف دافعـا جديـدا لا لترجمة النص فقط لأسباب مهنية ، ولكن أيـضا للتعلـيق علـي قضيته ، لاسيما وأنها باتت تلح علي العقلية العربية مـع تـصاعد مـا يعـرف بتـيار الإسـلام الـسياسي متعدد الأطياف ، الذي يـسترجع في كليته المنظور المشوه نفسه الذي تبناه "قسطنطين" في بنية(بيت مـدراس) ، ذلك المسيحي الذي يعلن جذوره اليهودية من الشرق العربي مـثلما يعلن إسلامه ، ويفخر بعالم "الحريم" ، باعتباره قاعدة نهضة الشرق الإسلامي وصحوته التي من المنتظر أن تواجه حضارة الغرب ! .

وتعـد(بـيت مدراس) الرابعة في إنتاج "باركر "ككاتب درامي ، خلال العقد الأول من القرن العشرين بعد(تزويج آن ليت) ، (ميراث فويسي) ، و(الـنفاية) . ويبدو أن "باركر "حريص منذ باكورة إنتاجه أن يضع معالجته علـي خلفـية تاريخـية تتـسم بالـشمول والاتـساع لـتطور أوضـاع الطـبقة

السائدة بانجلترا منذ انهيار أرستقراطيتها في أواخر القرن الثامن عشر، علي نحو ما عالجه في (تزويج آن ليت)، كما أنه قد يعني بتفصيلات وإشارات نصية، تستدعي يقظة المتفرج الإنجليزي لأطره المرجعية التي تكفل حل شفرتها وتحديد مقاصدها الخفية، من ناحية، ودمجها من ناحية ثانية في الأثر العام. وعلي مستو آخر، تتضح في معالجته تأثيرات الاشتراكية الفابية التي كانت قوية الأثر في عصره وفي رؤية حزب العمال، ثاني الأحزاب الفاعلة في انجلترا وقتذاك، والتي ربما تعمقت بصداقته الطويلة مع "برنارد شو"، الذي يعد أحد مفكريها البارزين. إلا أن حضور الإسلام اللافت بالتأكيد للقارئ العربي يستدعي- علي مستو آخر- وعيا بسياق أكبر يتضمن بالحتمية علاقات إنجلترا الدولية وتطور النزعة الاستعمارية عامة جنبا إلي جنب تطور النظام الرأسمالي والطبقة السائدة عشية الحرب العالمية الأولي. والحقيقة أن هذا السياق لا يفرض نفسه من خارج النص، ولا يعد مجرد خلفية محايدة يمكن الاستغناء عنها في فهم وتحليل النص، ولكنه ينبع من الفعل الدرامي المهيمن، وما يتفرع عليه من تفصيلات.

٢ـ الفعل وتحديد السياق.

لقد أتم "باركر" عمله (بيت مدراس) في١٩٠٩، وأخرجها علي المسرح ١٩١٠، وأجرى أحداثها في حيز زمني من الفترة نفسها، قد لا يزيد عن أربعة وعشرين ساعة، إلا أن العمق الزمني كان يرجع بالأحداث إلي ما وراء ذلك بنحو ثلاثين عاما تقريبا، أي عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر. وفي هذا الحيز الزمني كان "قنسطنطين" قد ترك انجلترا في ريعان شبابه ليجوب في أنحاء إمبراطوريتها، ولاسيما شرقها، متخليا لابنه "فيليب" تدريجيا عن إدارة شركته، "بيت مدراس"،

وهي شركة أقمشة وأزياء نسائية . ولكنه يعود في النهاية مسلما ملتحيا ليصفي علاقته بانجلترا بل وبأوروبا ككل ، ويبيع الشركة إلي السيد "ستات" ، أحد أقطاب الرأسمالية الأمريكية ، ومن هنا يتشكل الفعل الرئيسي في المسرحية . غير أن هذا الفعل بالحيز الزمني الذي يستند إليه يستدعي- في الوقت نفسه- سياقا تاريخيا أكبر لتفسيره وإلقاء الأضواء عليه ، قبل الإلمام بتفصيلاته الممكنة .

فمن ناحية يستدعي هذا الفعل مرحلة تطور السوق الرأسمالي من المرحلة التنافسية إلي المرحلة الاحتكارية بما فيها من تكتيل لرأس المال ، وراء إنشاء مؤسسات كبري متعددة الفروع المنتشرة علي نطاق واسع سواء من حيث التسويق والإنتاج ، أو من حيث التمدد الجغرافي داخل وخارج الحدود القومية . وكان لابد أن تتميز هذه المرحلة بالعناية الفائقة بدراسة السوق واحتياجاته وزبائنه وأساليب التأثير فيه بالدعاية وفن الترويج للسلعة ، بما يضمن الزيادة المطردة في حجم المبيعات ، وبالتالي تجنب "الإفلاس- Bankruptcy" ، ولا غرو أن تعكس أسئلة "ستات" ، هذه السمة بوضوح ، في إطار عقده صفقة شراء مؤسسة شهيرة لصناعة الأزياء .

ومن ناحية ثانية يستدعي الفعل أوضاع الاستعمار ، الذي انخرطت فيه الرأسماليات الأوروبية ، ويوشك- بعد أربعة سنين فقط من إنتاج المسرحية- أن يصبح اقتتالا عالميا علي تشديد القبضة علي المستعمرات وتوسيع رقعة النفوذ الدولي من طرفين متكاملين ، وذلك لضمان السيطرة علي مصدر المواد الخام وفتح أسواق جديدة لتصريف المنتجات . ولعل هذا ما يفسر حديث "قسطنطين" عن رحلاته ومشروعاته التي أقامها في الشرق الأقصى وأفريقيا ، ولاسيما الجنوب

الأفريقـي بما فيه من قري مثل "هايت- Hit"، وأيضا الأراضي التي تحيط بالخلـيج الفارسي في إشارة واضحة إلي إيران من ناحية والكويت ونحوها مـن مـناطق الخلـيج العـربية، بالإضافة إلي العراق، ولاسيما "بابل" التي ورد ذكـرها في الـتوراة. كمـا يفـسر مـن ناحية أخري عدم انقطاع صلته بالـبلد الأم، الـتي طالما عـاد إلـيها في زيـارات قـصيرة لأسباب خاصة، إضافة إلي الأسباب العملية كرجل أعمال.

علـي أن "قنـسطنطين" يـشير إلـي جـذور أجـداده بين يهودي الشرق الأوسـط، واعـتداده بهـذه الجذور التي أورث ملامحها إلي ابنه "فيليب"، ورغـم أن أمـه ربـته علي المسيحية وعمدته، إلا أنه انسلخ عنها وتحول- فـيما اعتـبره معانـاة روحـية دامـت فـترة غـير قـصيرة مـن حـياته- إلـي الإسـلام. ومـن هـنا فـإن الفعل الدرامي يستدعي من ناحية ثالثة الوعي بعملـية الاحـتكاك الدءوبة التي خاضتها عواصم أوروبا- وبخاصة إنجلترا وفرنسا ثم ألمانيا- مع السلطنة العثمانية طوال القرن التاسع عشر. ولعل القـارئ يتذكـر أن الـسلطنة العثمانـية، كانـت آخر معقل يرث مركز الخلافـة الإسـلامية ويمـثله سياسيا لأكثر من أربعة قرون، ويحاول تجديده عـبر عديـد مـن المفكـرين تحت شعار "الجامعة الإسلامية" في ظل مواجهة الغـرب المطـردة منذ الحملة الفرنسية ١٧٩٨. ولكن كانت عملية الإحياء والـتجديد كاشـفة- في الوقت نفسه- لما انطوت عليه السلطنة من عوامل ضـعف وتفسخ، جعلتها تتبدي من منظور السياسة رجلا مريضا، يعاني سـكرات المـوت التي تزيحه إلي ذمة التاريخ، لترثه البني القومية. وفي هذا الـسياق نفـسه تمكـنت إنجلـترا من احتلال مصر ووأد الثورة العرابية سنة ١٨٨٢، بمـا رفعـته مـن شـعارات القومية المصرية تحت زعم الحفاظ علي وحـدة أراضـي الـرجل المـريض نفـسه. ولكـن لم يلـبث وزير خارجيتها

ونظيره الفرنسي أن عقدا اتفاقية "سايكس- بيكو/ ١٩٠٤" التي تحمل اسميهما، وتحدد دوائر نفوذ الدولتين في إرث الرجل المريض نفسه، وهو ما تكشفت عنه فعاليات الحرب العالمية الأولي التي دخلتها ألمانيا حليفا للسلطنة ظاهريا، وإن كانت في الحقيقة تبحث بدورها عن نصيبها من الإرث.

ومن ناحية رابعة كانت الحركة الاستعمارية قد أدت إلي حوار الحضارات والثقافات المتباينة، مما سوغ دراسات "الاستشراق- orientalization" التي عني فيها الغرب بدراسة ثقافة الشرقيين وفي المقابل دراسات "الاستغراب- westernization"، التي عني فيها الشرقيون بدراسة ثقافة الغرب ولغته وآدابه وفنونه. وفي هذا الإطار نفسه نما الوعي بين أبناء المستعمرات بأنفسهم، وكذا بخصوصية ثقافتهم وتراثهم وأنماط علاقاتهم الاجتماعية، وأسباب وحدتهم القومية، وتخلفهم الذي أوقعهم في قبضة المستعمر، وبالتبعية التأهب لمواجهة حتمية مرتقبة معه. ولا غرو أن يتعمق هذا الحوار المتبادل بالاحتكاك المباشر بتبادل الوجود في شكل جاليات أجنبية متفاوتة العدد والنفوذ، تؤسس لنمط علاقات ومصالح جديدة. ولاشك أن هذا الحوار ما أسفر عن كتابة "توماس كارليل" لكتابه(الأبطال) الذي وضع فيه علي رأسهم "محمد"، نبي الإسلام، كما أسفر عن ترجمة القرآن. ومن هنا تكتسب مناقشة علاقة الرجل بالمرأة عمقها وشمولها، وإن يكن بإشارات موجزة ومكثفة خلال الفصل الثالث الذي يبني فيه المؤلف علي لسان "قسطنطين" ما اعتبره منظورا إسلاميا علي نحو يغري "ستات" برغبة التزود منها ويأسف- في الوقت نفسه- أنه لم يعن بقراءة القرآن.

وفي هذا السياق الذي يبدو أن الشخصيات تعيه، ولو علي نحو

ضـمني ، لم تـبد انجلترا دولة قوية وإمبراطورية متنامية الأطراف لا تغرب عـنها الـشمس ، وتطـول بأيـديها أقصى الشرق في الهند وجنوب أفريقيا ، وتفكـك الخلافـة الإسـلامية بدأب ومثابرة ، ولكن- علي العكس- تبدو من منظور "قنسطنطين" دولة مثيرة للشفقة والتقزز ، لاهية بالنساء الطليقة في الـشوارع بـشكل يـثير الغرائـز ، ويـشتت الأذهـان عن العناية بالعمل والإنـتاج والابتكار ، وعليها من ناحية أخرى أن تتوجس خيفة من نهضة الشرق المرتقبة ، الذي حل بالإسلام مشكلته مع النساء وفصل متعته بهن في "الحـريم". كمـا أنهـا مفعمة بالتناقضات التي تضرب بجذورها من قاع المجـتمع الفقـير القـذر ، إلـي قمـته الثرية اللامعة ، التي تهيمن علي رأس المال ، وتتجمل بالفنون والآداب وصنع التمدين "civilization" ، بينما تخفي أزمتها الأخلاقية المستحكمة .

وعلـي أية حال ، فإن قضية العلاقة بين "الرجل- المرأة" ، التي تتمركز في "بـيت مـدراس" ، بـتجارة الأزيـاء وتـصميم الموضـة ، وفـن عـرض "الأنـوثة- womanly" ، والتربـح مـن ورائهـا ، وإيجـاد الذرائـع الـتي تـسوغها ، لا تكـاد تنفـصل عـن العلاقـات الإنـسانية المـشوهة بـين الشخـصيات وأعماقهـا التاريخـية والـشروط الأخلاقـية أو غير الأخلاقية الـتي تحكمهـا أو تـتحكم فيها ، بتداعياتها النفسية . ولا ينفصل هذا وذاك عـن الـنظام الرأسمالـي الـسائد بتطوره ، وبما يفرضه من مفاهيم الطموح والـنجاح ، ووعـي - ضـمني أو صـريح - بمبدأ الاستغلال ، الذي يوسع تدريجـيا وبالتبعـية مـن رقعـة المستغَلين ويلقي بهم في هوة الفقر والعوز ، ويتداعـى إلـي صـنع الفـضيحة "scandal" والـسمعة "reputation" ، على موائد الحياة اليومية ، ليعاد ضخها بدورها وإخضاعها للنظام نفسه . ولعـل هـذا مـا يتكـشف مـن فعـل بيع "بيت مدراس" ، الذي يبدأ بعودة

"قنسطنطين"، الـذي يـبدو وكأنـه يـصفي في الـوقت نفـسه كافة روابطه الاجتماعـية القديمـة: الزوجة والأبناء والعشيقات وشركاء العمل، بعدما يوقظها من ثباتها الطويل، ويرفع الغطاء عن روائحها المكتومة.

٢ـ شبكة العلاقات وخمائر النكد!

في بـطء شـديد يـستغرق الفـصل الأول- وفق أعراف الواقعية المتبعة وقـتذاك- في تقـديم شـبكة العلاقـات التي تترامي بين بيتي "هاكستابل" في "تـل الدنمـرك" وبـيت "فيلـيب" في حدائـق "فلـيمور"، وبيـنهما علاقـات العمـل. ففـي تـل الدنمـرك أسـرة "هاكستابل"، بزوجته "كاثرين"، وبناته العـوانس الـست، إذ توشـك أكبرهن أن تكمل الأربعين، وأصغرهن في الـسابعة والعـشرين، دون زواج لأي مـنهن. وإن كانـت "جولـيا" أبدت نـوعا مـن التميز في تخطيط الرسوم بالألوان المائية في صغرها، بمعزل عن وصـمة الغـباء الـتي طاردتهـا، إلا أن مدرسة الفن التي أوصت مدرستها بأن تلتحق بها، لم تزدها معرفة إلا بتجارة الفنون، ولم تنم ملكاتها بحال، فاكـتفت بالتنفـيس عـنها في وقت الفراغ علي نحو لا يرضيها هي نفسها، فكانـت تمزق أعمالها بيديها، ولكن أخواتها- رغم ذلك- جاملوها بتزين غـرفة الاسـتقبال بـبعض أعمالهـا. أمـا الـصغرى "إيمـا"، وإن كان لها في الأعمـال الكتابـية، إلا أنهـا لا تحـتاج لأي دخـل مـنها فعلـيا فأنفقت ما كـسبته علي ثيابها، وقرت في البيت مع أخواتها، ولما أوشكت أن تتزوج تـبين للأسـرة أن لخطيـبها ذلـة في ماضـيه فأحجمـت عن المشروع جملة. وهكـذا بقـي الـست ينتظـرن الـزواج، في حالـة وجـود مؤجل أو كساد تجـاري!، إذ يبدو أنهن من طراز عفي عليه الزمن، مما ختم فكرة الزواج نفـسها بالفكاهـة، مـع تقـدم العمـر، بعدما وأدها في نفوسهن اليأس أو الإحـباط، ولم يعـد يكفـي لتعويـضها الالتزام الديني، أو الانشغال بتربية

ضفدعة، أو زراعة نبات نادر بالشرفة، أو الفخر بمشاهدة قصر الكريستال الذي تطل عليه شرفة البيت في "تل الدنمرك".

وبجانب أسرة "هاكستابل"، توجد أخته "آماليا" التي هجرها زوجها "قنسطنطين" طوال الثلاثين عاما الماضية، ولا تريد أن تعترف بالانفصال، وتصر علي أنها لم تزل الزوجة الوفية والملتزمة في الوقت نفسه بواجبها نحوه. ولا تكاد الأسرة- من ناحية ثانية- تتقبل وجودها بينهم إلا باعتباره واجبا، وإن كان لا يزيدها إلا عزلة وانطواءً علي نفسها. إنها البضاعة التي شهدت بوادر كسادها في السوق، ولا تملك إلا أن تقتات أوهام رواج قديم، يعينها علي البقاء. ولكن "هنري" يشير إلي أنها أخته التي لن يقبل أن يمسها أحد بسوء، وفي الوقت نفسه يشار إلي أن "قسطنطين" أخوه غير الشقيق، ولما كان كل منهما يحمل لقبا مختلفا "هاكستابل- مدراس" فالراجح أن العلاقة بين الثلاثة تعود للأمهات، وربما ترشح لممارسة جنسية غير شرعية في هذا الجيل، تفصح عن بنية وجود شائكة احتضنتها التربة الأخلاقية التي تحول دون الطلاق في المسيحية، مثلما تحول دون تعدد الزوجات. إلا أن هذه البنية امتدت إلي "قنسطنطين" نفسه وانتقلت لابنه "فيليب"، فإن كان قد تزوج "آماليا"، ليبدأ بمالها مشروعه التجاري والمهني كمصمم أزياء مبدع، إلا أنها- علي مستوٍ آخر- لم تستطع استيعابه أو إرضاءه، فانطلق في علاقات نسائية بعيداً عنها، ومنها- ما أشار إليه "هنري" - بين الفتيات اللائي عملن في مشروعه، ومنها أيضا أم "فيليب" التي استطاع أن ينتزعه منها، وينفق علي تربيته بانتظام في مدرسة داخلية، اعتبرها من أكثر المدارس تعليما للرجولة "Manly"!!. وهكذا تشكلت خمائر النكد "annoyance yeasts" في عالم "قنسطنطين" من النساء اللائي قضى وطره منهن بحسب

سنة الطموح والاستغلال الرأسمالي ، وتسأله الثمن وشيء من الواجب الأخلاقـي ، ولـو بالاعـتذار عمّ سببه لهن من جراح ، ابتداء من "آماليا" ، إلـي العـاملات عـنده ممـن أرضـينه في وقـت مـن الأوقـات . وكـنموذج للـبرجوازي الـنذل هرب "قنسطنطين" خارج البلاد ، ولم يكن يعاودها إلا في زيـارات قصيرة ، تكفي لتسديد مصروفات تربية "فيليب" ، ولكن رغم مـا بذله في هذا السياق ، لم يستطع أن يمنح ابنه- فيما يواجهه به في استياء بالـغ- الـشعور بأن له بيتا . وهكذا أصبح "فيليب" نفسه أحد خمائر النكد الـتي علـيه أن يـواجهها ، بيـنما يواجه- في الوقت نفسه- التقيح الروحي الـذي تـزايد فـيه مـع ظروف تربيته ، وأفقده الإحساس بالأمان ، بمثل ما أفقـده الـثقة في النـساء ، وأورثـه احـتقار الـشهوة وأهلها ، واحتقار المال والطبقة التي ينتمي إليها .

ومـن المفهـوم أن يتجـنب "فيلـيب" إثـارة الـروائح المكـتومة في خمائر الـنكد ، بخـبر وصـول أبيه لإتمام صفقة بيع شركته "مدراس" ، ذلك الخبر الـذي يـود أن يـؤكده لعمـه ، حتـى يحـضر الاجـتماع مع السيد "ستات" وبالتبعية يصحب معه صديقه "توماس" الذي يعد في الوقت نفسه ، وكيل أعمـال "ستات" في لندن . ولكن هذه الخمائر التي طالما استقرت أمثالها في أرحـام مـيلودراما ابـن الحـرام ، يتجنب المؤلف تأثيراتها الانفعالية بمعرفة "فيلـيب" نفـسه بهـا ، وإدراكه لتداعياتها ، إلا أنه لم يفلح كلية في مسعاه ، فالـرغبة في تـصفية الحـساب مـع "قنسطنطين" ، سواء من "آماليا" ، أو من عمـه "هنـري" أو مـن زوجـته "كاتـرين" ، أكـبر وأقـوي مـن يحملها علي الكتمان وجود ضيف مثل "توماس" .

غـير أن الخمائـر نفـسها تجـد تـنويعة أخـرى- علي مستوى علاقات العمـل- تفجرت فضيحتها من أسبوع في الشركة ، ولم يستطع "هنري" أن

يحتويها ، ولا يلبث أن يفجرها طالبا "فيليب" أن يعينه عليها . فعلي نحو ما تسعي الآنسة "ياتيس" إلي الالتقاء بطبيب الشركة ، ومن ناحية ثانية تضبطها الآنسة "شانسلر" - مدبرة المحل والمشرفة علي العاملات- تقبل "بريجستوك" ، ويتضح من ناحية ثالثة أن "بريجستوك" متزوج ، ومن ناحية رابعة ينتشر الخبر حتى يصل إلي الزوجة التي تتهيج وتري فيه افتراء يقصد الإساءة إلي سمعة زوجها ، فإما الاعتذار أو تلجأ إلي القضاء وتطالب أيضا بالتعويض . وهكذا يتجدد نموذج العلاقات القديمة في هذا المربع من الشخصيات ، منتقلا في كليته من قمة الهرم الاجتماعي إلي قاعدته ، بينما يتعين علي "فيليب" أن يتعامل معه ، مما يكسب النموذج نفسه أمامه بعدا عاما ، قابلا للترديد والتكرار ، أما ما لم يخترله علي بال: أن يكون لأبيه "قنسطنطين" دخل بهذا الرباعي ، ولاسيما الآنسة "ياتيس"!! .

علي أن النموذج نفسه لا يلبث أن يتكشف في تنويعة علاقته بصديقه "توماس" من ناحية ، وزوجته "جيسكا" من ناحية ثانية ، وبالتبعية في علاقة "توماس" بزوجته وأم أطفاله الأربعة الذين يعترف بأدوارهم الحيوية في إقرار مكانته الاجتماعية ، لاسيما بعد استقالته كضابط في الجيش وانصرافه إلي الحياة العامة . إذ يباغته "توماس" نفسه بتحذيره من تداعيات التقارب الذي يزيد في علاقته مع "جيسكا" ، ذلك التقارب الذي تخطي الأطر الرسمية المفترضة ، إلي أن تبوح له بأخص شكواها من علاقتها مع "فيليب" ، وبأنه قد لا يستطيع أن يمنع نفسه من تطوير البوح إلي المعاشرة ، وفق ما عوده النساء اللائي عرفهن قبل أن يتزوج ، وربما بعد زواجه ، وإن ظل الأمر في الكتمان دون فضيحة!! . ولا ريب أن اعتراف "توماس" بما يجري في علاقته مع "جيسكا" ، وبهواجسه من أي تطورات محتملة ، حتى من نفسه التي قد لا يستطيع أن يفرض عليها

الانـضباط الخلقي ، وإن نبه إلي أزمته الروحية ، يقود علي مستو آخر إلي تفريغ مثلث (الزوج- الزوجة- العشيق) من أي أثر ميلودرامي في تطوره المحتمل ، مـثلما كـان مألـوفا من مفاجآت هزلية في "الفودفيل" الفرنسي ، تتوالد من التكتم والاختباء ، والظهور المباغت للزوج أو الزوجة .

وعلـي هذا النحو تبني شبكة العلاقات تنويعات مختلفة ومتماثلة معا ، حـول نمـوذج العلاقـة بالمـرأة يميـز بـين الـزوجة ومـا تفترضـه من أسئلة الـواجب ، والعـشيقة وما تفترضه من أسئلة السعادة ، بل ولذة الكتمان ، والغـزو . وتمـتد التـنويعات بين سجينات "تل الدنمرك" ، من ناحية وسيدة حدائـق "فلـيمور" الـتي تتمـثل في "جيـسكا" ، وتعـد- فـيما يقال- منجز "accomplishment" الـتمدين وصـناعته مـن أخمـص القـدم إلي ذؤابة شـعرها ، ومـن طـريقة حديثها إلي اهتماماتها ورغباتها ، وعماها المتعمد عـمّ يخـرج عـن حـدود طبقـتها . وبـين الطرفين تنويعة تجسدها "فريدا" ، زوجـة "بريجـستوك" ، والآنـسة "ياتيس" ، أو "ماريون" ، والآنسة "شانسلر" الـتي تخطـت بعنوسـتها الخمـسين ، وتـنذر أيـضا بمـا ينتظر سجينات "تل الدنمـرك" من ضيق أفق ، وكآبة تتحلي بالصرامة الأخلاقية ! ، بينما تعانين الكـساد . ويـبدو في الـوقت نفسه الصراع واضحا في البنية الأخلاقية التي تـتململ بـين الـشروط المـسيحية المحـددة للعلاقة بين الرجل والمرأة ونداء الفطرة "nature" ، بين الثقافة الإنسانية بما فيها من أدب وفن ، واصطناع الـتمدين "civilization" ، بـين كـبح الأهـواء بالانـضباط الـسلوكي ومطاوعـة الـنفس ، بـين سـؤال الـواجب "Duty" وسـؤال الـسعادة "Happiness" . وقـد أفلـت "قنـسطنطين" مـن هذا الصراع الذي شكل محنته الأخلاقـية إلـي الإسـلام متصورا أن عالم الحريم يقدم له حلا كافيا وملائمـا ، ويـبدو أنـه حـل مقـنع أيضا لمحنة "توماس" . أما "فيليب" الذي

يعاني سؤال الماهية- بمعناها الوجودي منذ مولده، وظروف نشأته- وافتقاد الأمان، فلا يقتنع بهذا الحل حتى المناقشة الختامية مع "جيسكا"، ويتوق من ناحية ثانية للاغتسال في مصلي وهمي، يدعوه بالمصلى الأبيض "white-chapel"، الذي قد يبدو صعبا، ولكنه غير مستحيل في المعركة الروحية. كما أنه يأنف من التناقض الطبقي ويتألم من معاناة العامة، ويدرك- مثلما تدرك زوجته "جيسكا- أن العناية بالفن والأدب، قد تخفف وطأة الحياة وتجعلها محتملة ولكنه- خلافا لزوجته- يخجل من تقديم هذا المخدر إلي العامة من الفقراء وذوي الحاجة، أو حتى يحدثهم عنه، وكأنه يؤمّن علي مقولة "برنارد شو"، عن أن الفقر جريمة لا تقبل التبرير، ولذلك يود التخلي عن عمله في إدارة صناعة النساء المتمدينة، ويترشح لمجلس المقاطعة. ولكن هذا الصراع يتطلب- علي مستوٍ آخر- تحليلا للخطاب الدرامي والفكري معا، بما يضيء جوانبه الخفية والملتبسة بين الواقع كما هو والمثل المفترضة.

٣ـ الخطاب الفكري والدرامي.

أ- الواقعية والكلاسيكية الحديثة:

ربما أمكن بسهولة ملاحظة أن الزمن الدرامي لا يستغرق أكثر من أربعة وعشرين ساعة، علي نحو يذكر بوحدة الزمن الكلاسيكية، فالفصل الأول يبدأ مساء الأحد، ليمهد لاجتماع عقد صفقة البيع عصر الغد، والتي تجري في الفصل الثالث، بينما الفصل الثاني يجري زمنيا في الظهيرة من اليوم نفسه، أما الفصل الرابع والأخير فيجري في المساء. ومن ناحية أخرى فإن الإشارة إلي وسائل مواصلات من نوع الأتوبيس أو سيارات الأجرة أو القطار، ووسائل اتصال كالتلغراف أو التليفون أو نظام البريد، سهلت التواصل بين أماكن عديدة، والانتقال بينها- في

الـوقت نفـسه- بـين الفصل الأول في قاعة الاستقبال في بيت "تل الدنمرك"، حتى الفصل الأخير في قاعة الاستقبال في بيت حدائق "فيلمور"، دون أن تـتجاوز الأمـاكن مجـتمعة مدينـة لـندن، ممـا يـؤكد الالتزام بوحدة المكان أيـضا. ومـن ناحـية ثالـثة فـإن هـناك فعـل رئيـسي يعتمد علي بيع بيت مـدراس، وعقـد صـفقته، ويـبدأ بالتمهيد بوصول "قنسطنطين"، وينتهي بـرحيله، فـيما بعد مشهد تصفية الحساب سواء بينه وبين زوجته "آماليا"، أو ابـنه "فيليب"، أو بين "فيليب" وزوجته "جيسكا". ولا يخلو النسيج من خـط فرعـي يـدمج وقائـع علاقة الرباعي(الآنسة "ياتيس" أو "ماريون" - "بيرجـستوك" - زوجـته "فـريدا" - والآنـسة "شانـسلر") في فعـل تصفية الفـضيحة، أو فض الروابط بينهم والشركة التي يعملون بها، بشكل يمهد لاختـبار حلـم "فـريدا" - في أرض الواقـع- في أن يكـون لهـا مـشروعها الخـاص، وتصبح من أرباب العمل، فإما تنجح، أو يبتلعها السوق على نحـو مـا تـنذر الآنسة "ياتيس". وبذلك يصبح الفعل الفرعي تنويعة ممكنة علـي الفعـل الرئيـسي، بـل ويـرتبط بـه ارتـباطا وثـيقا، حـين يتضح أن "ماريـون" أو الآنـسة "ياتـيس" خططـت لعلاقـة مع "قنسطنطين"، في أحد زياراتـه، أسـفرت في الـوقت نفـسه عن الحمل الذي تخفى في الفضيـحة، فكانـت وحـدة الحـدث، وإن نـوّع علـي الموضـوع. ولاشك أن تكشف الـوحدات الـثلاثة علـي هـذا النحو ما يسوغ أن يطلق علي الواقعية التي لاحـت بـوادرها في الـربع الأخـير مـن القـرن التاسـع عـشر، مـصطلح "الكلاسيكية الحديثة- Modern classic".

وربمـا أمكـن ملاحظـة- علـي مـستو آخـر- أن المـادة تحتشد بعناصر ميلودرامـية مـستمدة مـن فصيلة ابن أو بنت الحرام، أو الطبيعي، أو غير الـشرعي، ولكـن تقالـيد هـذا الـنوع مـثلما تعـتمد علـي المسافة الزمنية

الطويلة بين فعل الانتهاك الأخلاقي ، والظهور المفاجئ للمجرم ليتورط في علاقة غالبا ما تكون شائنة مع ابنه أو بنته ، دون أن يعلم أيٌّ منهما حقيقة علاقته بالآخر ، فهي أيضا تعتمد علي فكرة الضحية البريئة التي غالبا ما تخدع لتسلب شرفها في لحظة متعة عابرة ، تكلفها غاليا . غير أن كافة العناصر الميلودرامية امتص المؤلف تأثيراتها المحتملة علي الأعصاب والمشاعر ، بأن جعل "فيليب" مدركا منذ البداية حقيقة الروابط التي تجمعه سواء بأبيه أو بأمه الشرعية أو أمه غير الشرعية "آماليا" ، أو علي الأقل تجاوز أثر مفاجأة المعرفة بالتفاصيل بإحالتها إلي الماضي . ومن ناحية ثانية لم تكن "آماليا" مجرد زوجة مهجورة وابتليت بخيانة زوجها ، فلم يكن ثمة ما يربطها بهذا الزوج إلا أن تكون زوجة ، وحسبت أن مالها كان يكفي ليربطه بها عرفانا بجميلها عليه . ولا تكاد تختلف "فريدا" ، التي يبدو أنها متواضعة الجمال ، ورحبت فقط بأن تكون زوجة لرجل عديم المواهب مثل "بريجستوك" ، وتدافع عن وجوده في حوزتها ، دفاعه عن موقعه في العمل وخشيته أن يطرد منه . كما أن "ماريون" ليست أضحية بريئة خدعت وانتهكت علي غير إرادة منها ، ولكنها خططت بوعي وقصد لتتصيد رجلا ثريا ، يستطيع أن يضمن لها حياة رغيدة ، وتأبي أيضا التخلي عن طفلها أو طفلتها . صحيح أنها لم تستطع أن تتجنب الفضيحة ، إلا أنها رفضت ببساطة التخفي وراء خاتم لتبدو به متزوجة ، ورأت من حقها أن تحتفظ بأسرار حياتها ، وتسترها وراء غلالة من الأكاذيب: أن تقيم في مكان لا يعرفها فيه أحد ، وتزعم أن طفلها ابن أخيها علي طريقة باباوات روما ، أو أنها أرملة تربي طفلها! . وهكذا ظهرت امرأة قوية قادرة علي تقبل خسارة سمعتها غير المتوقعة في مشروعها لاستغلال أنوثتها كرأس مال ابتدائي يضمن لها ارتقاء السلم الاجتماعي ، ويبدو أنها خسارة غير ذات بال! .

وعلـي هذا النحو جرى امتصاص العناصر الميلودرامية ، سواء بتقديم المعـرفة بخمائر النكد ونفيها إلي ماضي ما قبل فتح الستار ، أو بإعادة بناء وعـي الشخـصية بالظروف الاقتصادية والاجتماعية غير المواتية باعتبارها الوسـط الـذي تتـنفس فـيه أفعالهـا في صراع البقاء والنجاح أو الطموح ، الـذي تـتخلخل فـيها مـنظومة القـيم ، ويعـاد ترتيبها في كل حالة . وهذه الحيل الفنـية أفرغت الفضاء الدرامي من الانفعالات الساخنة ، والخطب الأخلاقـية جاهـزة الـتكوين والـتي تعيد إنتاج العظات التقليدية ، وآليات التوبـيخ مـتفاوتة العنف والحدة علي انتهاك القيم السائدة ، علي نحو يمهد للاعـتراف بالخطـأ والـتوبة عنه والغفران بالتبعية . وفي المقابل اتسع المجال لآلـيات المناقشة الهادئة بعقل بارد أحيانا والمناظرة وآليات التبرير ، التي لا تخلـو مـن طابع أيديولوجي ، ولو كان زائفا ، يكشف الشخصيات بمثل ما يكـشف قـوانين ونظـم الواقـع . ولا يخلو الفضاء في الوقت نفسه من آلية التهكم والسخرية ، والغمز ، بل والمطالبة المتبادلة بحس الدعابة " Sense of humour" . ومـن هـنا ينـشأ التوتـر الدرامـي الـنابع مـن المفارقـات الفكـرية والملاحـاة بـين وجهـات النظـر المتعارضـة وتقاطـع أهــداف الشخـصيات ولـو بغـير قصد منها ، وليس من مفاجآت الحدث الممكنة ، كمـا تنـشأ أجـواء كومـيدية خاصـة لا أجـواء خصومة عنيدة لا تكل إلا بتـصفية أحـد الطـرفين ، نتـيجة الاعـتراف- صـراحة أو ضـمنا- بضمير أخلاقـي وحـيد ، تتفـرع عـنه الواجـبات وتـتولد الحقـوق ، وتترتــب الجزاءات .

ب- صناعة النساء وغريزة الجنس.

ولا غـرو أن تكـون شـركة إنـتاج وتـسويق الأزيـاء النسائية في مركز الفعـل الفرعـي والرئيـسي معـا ، فهناك واقع النص والمنظور إليه بوصفه

اهتماما اجتماعيا واقتصاديا بصناعة النساء، لا من حيث المظهر فقط بالثوب والقبعة وتنوع الأشكال والطرز هنا وهناك. ولكن هذه الصناعة نفسها تدعو لخلفية الوعي صناعات أخري تتكامل معها وتجري مجراها: العطور، الماكياج بألوانه وأصباغه وأساليبه التي تتناول أجزاء الوجه من الشفاه للبشرة، إلي الجفون والعينين، الحلي والمجوهرات زائفة وحقيقية، تسريحات الشعر، الرشاقة وتناسق أجزاء الجسم، وفن السلوك "etiquette" علي المآدب وفي المنتديات العامة. عالم يمكن ببساطة تسميته بصناعة النساء، لا يخفى اقتصادياته التي تجذب رؤوس الأموال التي تضع نصب عينها قابلية الرواج والتسويق والأرباح، بمثل ما تجتذب إليها ملايين من العمال والفنيين المهرة، والإداريين والمحاسبين للتكاليف وحجم العائد والمبيعات. عالم يعني بعرض "الأنوثة" والتنبيه إلي مفاتنها، بأبهي صورة ممكنة، ويشجع- وفق مقتضيات النظام الاقتصادي- علي استهلاكها، وإدامة الإقبال عليها. عالم لا يمكنه- في الوقت نفسه- الاعتماد علي المغامرة غير المحسوبة، ويتأسس علي احتياج إنساني لا غناء عنه، يضمن بقاءه وازدهاره، بل وأرباحه معا. ومن الخبل- بالتبعية- الخجل من هذا الاحتياج، أو الفرار من مناقشته، بالضبط كما لا نخجل من أي مناقشة عن حاجتنا إلي الأكل والشراب وحيز نظيف للتنفس، بما يساعد علي البقاء. ولو افترضنا- صراحة- أن المجتمع تحكمه الإناث لا الذكور وأن بأيديهن إدارة اقتصاده، لما كان غريبا أن تصبح الصناعة للرجال من منظور النساء!، وبرغم ذلك لم يخل الأمر من عناية بهذا المنظور.

والواقع أن مشهد عرض الأزياء في الفصل الثالث، يؤكد هذا التأسيس في كليته وتفاصيله معا، فالمفاضلة بين ثوب وآخر، تعتمد علي

قـدر مـا يـبرز مـن فتـنه، ويلفـت إلـيها الانتـباه ويـثيره من شبق . وكان "تـوماس" أكثـر المعنـيين بهـذا المعـيار واسـتجابة لـه، علي نحو لفت نظر "فيلـيب"، وأكـد علـيه . أما "ستات" - بغض النظر عن إثارته أو بروده- فـراح يـناور علـي الـصناعة وأهـدافها، بأيديولوجـية تعـيد وضعها علي أسـاس مـن "الجمـال- Beauty"، الـذي يـستحق المعـارض الفنـية والـندوات الأدبـية ويستفز قريحة كبار الشعراء، ويستأهل خدمته بالعمل علي تعميم فروعه في كافة أنحاء البلاد، فيفيد منه نساء القصور في الريف والـضواحي ويـستفزهم للانطـلاق مـن محابـسهن وراء الشرفات . ولكن نظـرة "سـتات" - في الـوقت نفـسه-لا تكاد تخفي الأبعاد الاقتصادية من الترويـج وزيـادة حجـم المبـيعات، خاصـة وأنه يتبنى ملاحظة أن النساء ماكيـنة إنفـاق علـي مثل هذه الأشياء، كما يري أن الرجل أكثر استعدادا للـنجاح في البـيع للنـساء، والعكـس صـحيح! . أما "هنري هاكستابل"، فـيؤكد في صـراحة تأسـيس الصناعة علي الغريزة، فحين اشترت إحدى بـناته يـوما ثـوبا جميلا لافتا للأنظار ولاحظ إعجاب أخواتها به وتهافتهن علـيه، لم يخـرج مـن تأملـه الـصامت وقـتذاك، إلا بأنها الغريزة، مما ربما أسـكته عـن زجـر بـناته واعتـبرها صـرخة الأنوثة الحبيسة في "العنوسة- spinsterhood"، وفي السياق نفسه يعترف "ستات" بأنها الغريزة الأنبل التي تديم جنسنا! .

وعلـي أيـة حـال فإن كان الأكل والشرب وحيز التنفس يندرج تحت "الاحتـياجات الرئيـسية- main needs"، التي تشبع غرائز حفظ الذات "self-survival instincts"، ولا نخجـل مـنها بما تستدعيه من أنشطة وأفعـال إنـسانية، فالجـنس أيـضا غريزة حفظ النوع نفسه، ولا يتعين أن نخجـل مـنها . إلا أنهـا غريـزة معقـدة فـيما تنتهي إليه من تداعيات، ولا

تبقى حبيسة حدود الفراش. إنها غريزة تبني المجتمع البشري، ابتداء من الأسرة بوصفها الخلية الأولي، وبالتبعية تؤسس للعواطف والمشاعر الإنسانية، فتؤسس للأبوة والأمومة، والبنوة، والأخوة، وتدعو لسلامة الجيرة "neighborhood"، والصداقة "friendship"، والزمالة "fellowship"، والرفقة "companionship"، لأنها علاقات- وإن يكن علي المدى البعيد - تعود لتشكل الوسط الآمن للبقاء، وترشح لعلاقة الزوجين، بمثل ما ترشح لانتهاك الزوجية، متى اعتراها الإخفاق والتصدع، والتبست بالشقاق والتنافر، واستحالت بالشقاء وتباعدت عن السعادة والوئام!. ومثلها مثل غيرها من الغرائز، تتنفس في أوساط اجتماعية / اقتصادية لها مقتضياتها وقوانينها القارة فيها، ولها نسق قيم يسائل مشروعية الإشباع ووسائله. ولو اقتصرت غريزة الجنس علي نداء الإشباع، وظلت طليقة بلا حساب لانهار المجتمع وتداعت الأسرة وعلاقاتها، وأفرغت من معناها، ومن الحاجة إلي التمييز بينها.

ت- الرهان الإنساني والتمييز بين النوع والجنس

ولكن لما كان البشر بشرا لا حيوانات، وتمتعوا بالعقل والقدرة علي اختزان التجربة، وقراءتها، وتطويرها، والإفادة من تراكم الخبرة في تطوير العالم المحيط، كان لابد- بالضرورة- أن يكون تمييز النوع "gender" بين رجل وامرأة، عن تميز الجنس "sex" بين "ذكور- males"، و"إناث- females"، ذا معنى ودلالة، بحيث لا يجوز الخلط بينهم، كما يجوز الخلط بين كلب وكلب، وقطة وقطة!. ففي دنيا الحيوان والبهائم لا يحتاج الذكر إلي التمييز بين أنثي وأنثى، ولا الأنثى تحتاج إلي التمييز بين الذكور، فهذا تحبه وتقبل عليه، وذاك تكرهه وتدبر عنه، مادامت تكتمل بأي منهم عملية المعاشرة والإشباع وأداء الوظيفة

الحـيوية . ولمـا أدرك الإنـسان بتراكـم خـبرته بدنيا الحيوان أنه لا يعني قط بمـثل هـذا اللـون مـن التمييـز وظـف هـذه الخـبرة- بتوافـر ركـني العمد والترصـد- في تنمـية ثروته الحيوانية بالفحل الطليق ، الذي تجر إليه إناث الـبهائم ليعاشـرها ويخـصبها ، فيكثـر اللحـم وتـربوا الألبان ، دون إثقال ضـميره- مـن ناحـية ثانـية- بأنـه يحـض علي الفسق والفجور ، أو تهيئة الأجـواء لفاحـشة الـزنا وانـتهاك المحـارم وإشاعة الفساد في عالم الحيوان ، وتدنـيس الـزواج بالخـيانة ، بـين حـيوان وحـيوان! . وعلي مستو آخر لا يحـتاج الحـيوان لإشـهار سـؤال الـسعادة ، أو ينكفـئ محـزونا مـن سـؤال الشقاء ، ولا يشغل بقضية الحرية والإرادة أو الاختيار .

وبالتبعـية فمـن المحال- إلا من قبيل الهزل- فرض سؤال التطور علي دنـيا الحـيوان ، في أسـلوب الإثارة والاجتذاب ، أو المعاشرة ونمط الحياة ، بـين أمس غابر وحاضر كائن ، وغد ممكن ، فهكذا كان وهكذا سيكون في أي مـستقبل منظور وغير منظور . ولكن من المفترض أن البشر ميزوا بين الـنوع مـن ناحـية والجـنس من ناحية ثانية . والنوع هو الذي ميز بإدراكه الفـروق الدقيقة بين الأفراد ، وإدراكه للذات الحرة المريدة التي تعي نفسها مـثلما تعـي موضـوع الاختـيار والانـتقاء ، وتعـي نتائج أن تختار علي ما تـشعره مـن لـذة أو ألم ، وسـعادة وانطـلاق أو كآبـة واحـتجاز دون رغبة الحـياة . ولا غـرو أن تقـترن المـسئولية والمحاسـبة- وكلاهمـا من المساءلة والحـساب- بالإنـسان وبقدرتـه علـي أن يخـتار ويميـز بـين هذا وذاك من موضـوعات الإشـباع في العـالم الخارجي ، أو الوسط المحيط ، فلا مسئولية علـي مـضطر أو معـتوه! ، كمـا لا مـسئولية لحـيوان عـن معاشرة أو عن عـدوان ، لأنـه في كـل أحـواله مـضطر بجـبر الغريـزة والإعفاء من العقل والضمير .

والواقع أن التجربة التاريخية للنوع البشري علي الأرض في أحضان الطبيعة، تؤكد أن الإنسان لم يتوصل إلي التمييز بين النوع والجنس دفعة واحدة وبشكل قاطع، إنما قطع عديدا من المرحل والأشواط في هذا المضمار. وكان في فجر حياته جزءا من الطبيعة يخضع لما يخضع له الحيوان في الممارسة والأداء، ولم يشعر بحاجة إلي منظومة من القيم تنظم إشباعه لاحتياجاته، وعلاقاته. ولفترة طويلة من الزمن ظلت أفراده تعيش بروح القطيع الذي لا تتميز فيه مشاعر أو علاقات، أو حقوق وواجبات، بل وظل سر إنتاج الذرية وتجديد خلايا الحياة غائبا عن ذهنه مبتور الصلة بما يفعله مع الآخر، فعبد الطبيعة مثلما عبد المرأة لأن كليهما احتفظ بسر الخلق والخصوبة، فيما عرف بالمجتمع الأمومي.

ولكن بهبة العقل وتراكم خبرة الإنسان بالصراع مع الطبيعة/ البيئة/ الوسط، والتأمل في التجارب التي يمر بها وتدوين الأفكار أنتج العلوم "sciences" التي جسدت رحلة تطوره في وجه الطبيعة واكتشاف قوانينها، وفرض إرادته عليها ولم يعد عبدا لها. ومن ناحية ثانية أنتج الأساطير والفن والآداب والفلسفات، وبلور في حياته المعتقدات، وتعد هذه المنتجات أشكالا متنوعة لوعيه بالواقع اقتحم بها آفاق النوع يجلوها ويتبين خباياها ويتفهم ما تنطوي عليه من إرادة كامنة وراء أفعاله. فلم يكن حرا إبَّان كان يندمج في الطبيعة ويخضع لها، مستسلما لما تمنح أو تجود به، إنما اكتشف حريته في مواجهتها، وفي سعيه للسيطرة عليها وتهذيبها وترويض جموحها.

وبالتبعية كان الرهان الإنساني في تمييز النوع العاقل عن مجمل دوافعه الغريزية العمياء ومنها الجنس، فلم يشأ الإنسان اختزال كلية وجوده فيها، ليرقى عن البهائم، ولا يبقي تنويعة عليهم!. ومما يكتسب دلالته

كاملـة في هـذا الـسياق ، أن أوائل وأشهر النماذج الكوميدية التي ابتكرها الفـن ، كانـت الـنماذج التي تركز اهتمامها علي إشباع الغرائز ، فهذا نمط الـشره للطعـام أو الـشراب ، وذاك نمـط الـشهواني الـذي لا يـنفك عـن الـتفكير في الجـنس ، وثالـث جـبان يخـشى حتـى حفـيف الأوراق علـي الأشـجار ، ويحـسب أن العفاريـت تتلبس الأشياء ، مثلما كان يظن سلفه البدائـي ! . . وهكـذا ، فكان مرجع الإضحاك في كل هذه النماذج مجتمعة أنها أدني مرتبة من الإنسان ، وحد الاعتدال !! .

وفي هذا الإطار تتبدى الجوانب الخفية في شخصية "فيليب ، أولا حين يـواجه الآنسة "ياتيس "بأنه قد يكون له آراء غير تقليدية ، ولكنه لا يسمح لنفـسه أن يقـترف أفعـالا غـير تقلـيدية ، مـشيرا إلـي أنه لا يسمح لنفسه بـالانفلات وراء غرائـزه ، ولكـنه أيضا يلتمس في نفسه المساحة الإنسانية القـادرة أن تدعمها وتساندها وتتفهـم دوافعها ، وتقدر خياراتها وتحترم ما تـراه شأنها . وثانيا حين يبدي دهشته من "توماس "الذي لا يمكنه التحكم في غريـزته ، ولا يمكـنه أن يـتعامل مـع المـرأة إلا بوصـفها أنثـي تـريده ويـريدها ، ويـنقاد وكأنـه بـلا إرادة ، فـإن تمـنعن عـنه قلـيلا أو كـثيرا ، فليحتجـزن عـنه إن شئن ، أو ليحجزهن من يعينه أمرهن . ويبدو أنه كان ينتظـر أن تـتأكد مـرتبة الإنـسانية فـوق هاجس الجنس في نفس "توماس" ووعـيه ، حتـى يمكنه أن يتلقى شكاوى زوجته "جيسكا"، لو كانت تعيسة معه ، بصفته صديقا لا محض "ذكر". ولكن حين ينفي "توماس"عن نفسه إرادة كـبح غريزته ، لا يتردد "فيليب "عن وصفه بالجحش السخيف مرة ، وبالطفـل الكبير مرة ثانية . ويبدو أن "فيليب "– علي مستوٍ آخر– أراد أن يـنقل الاختـبار والـرهان إلي زوجته ، ليتبين مرتبة الإنسانية فيها وفعلها ، فيرخص لتوماس أن يقبّلها إذا ما كان يعتقد أنها تريده ، فلو أن الهمجية–

كما يقول- هي التي تسود تماما ، واختارت "جيسكا" أن تكون غير مخلصة ليّ ، فكيف لي أن أمنعها . . حتى لو ليّ الحق أن أمنعها . وعلي هذا النحو تبدو آراء "فيليب" لا تقليدية أو مفارقة للسائد ، الذي يشغل بالغرائز فيتبدى همجيا متوحشا ، ومبتذلا علي نحو لا يطاق ، مهما تقنع ، ويبدو رهانه الذي قد يتعذر فهمه ومقصده ، علي التكامل الإنساني ، الذي يعي الرجل الحر بمثل ما يعي المرأة الحرة ، لا أن يعي نعرة "الذكورة" التي تكلفه أن يخدع الرجل بالبطش والاستبداد ، ويخدع المرأة بالامتلاك ! .

وعلي أية حال ، فإن خطاب "فيليب" بحثا عن الرقي الإنساني الذي لا يختزل الوجود في الجنس ، يعود ليندمج في خطاب المنتجات الثقافية عموما . ولا غرو أن خطاب منتجات الثقافة غير المادية ينتهي- في سلم الرقيّ- إلي تعظيم النوع العاقل المريد ، وتمجيد إرادة الاستغناء لا الاستسلام ، والحيلولة دون اختزال الوجود في الجنس ، والاحتفاء بكبح الغريزة وتنظيم أداءها وسبل إشباعها ، وليس وأدها في مهدها ، أو اقتلاعها من جذورها بما يهدد بقاء الفرد أو النوع . ولعل ذلك ما يعود ليفسر من ناحية أخري أن منتجات الثقافة كانت- ولازالت وستظل إلي أن يشاء الله- بحالة تراوح بين الطرفين ، ولا تطرد قط في خط مستقيم مع الزمن ، ولكنها إما مثالية "Idealism" ، أو مادية "Materialism" ، أو تأخذ من كليهما نصيبا علي سنة من التوسط والاعتدال ، أو تنتفض بالجدل "Dialectic" ، لأن القول الفصل ينهي الحرية والاختيار ، وينهي التنوع بين الناس .

ث- بين المسيحية والإسلام.

علي أن الخطاب الفكري الذي يلتحم بالبنية الدرامية ، لا يكتمل إلا

بالمنظور العقائـدي الـذي يفـرض نفسه علي العلاقة بين الرجل والمرأة ، سـواء المـسيحي الـذي ينتمي إليه مجتمع النص أو الإسلامي الذي فر إليه "قنسطنطين" ، واستدعاه في مناقـشته لـصناعة النساء ، بما دعاه لأن يتخذ موقفا فريدا لا يخلو من اشمئزاز واستنكار من مشهد عرض الأزياء ، وما أثـاره مـن ردود أفعـال ، رغـم أنـه بلـغ في صـناعة النـساء شـأوا بعـيدا ومـشهودا- في الـوقت نفـسه- من النجاح والإبداع ، امتد للطبقة العليا . ولا يكـتمل الخطـاب نفسه- علي مستوٍ آخر- إلا بالتماس جوانب المعني الكـامن فـيما اسمـاه "فيليب" بالمصلي الأبيض ، وكأنه يعبر عن معتقد ما يـتجاوز المـسيحية الـسائدة حـوله ، مـثلما تـتجاوز عقـيدة أبيه التي تحول إلـيها . وبغـض النظـر عـن أصـول العقـيدة المسيحية ، والسياق التاريخي الـذي ولـدت فـيه ، إلا أنهـا- وبـلا إغـراق في التفاصـيل- تفـرط وفـق تقديـري في المثالية من حيث نظرتها للغريزة الجنسية وبالتبعية للعلاقة بين الرجل والمرأة ، وما تنتهي إليه من أسس لتنظيمها .

فمـن ناحـية تعـود المسيحية إلي مشهد الملكوت بين آدم وحواء ، وما انتهـي إلـيه مـن غـواية الـشيطان بتعاطـي الـشجرة المحرمة ، لتؤسس مبدأ الخطيـئة الأصلية ، لاسيما وأن مخالفة أمر الله اقترنت بأن أحس كلاهما- لأول مـرة مـنذ بـدء الخلـق- بسوءتهما ، وجعلا يخصفان عليها من ورق الـشجر ، حتى يداريانها ، خجلا منها أمام الرب . ومن ناحية ثانية ، بنت خطـة الحـياة ، علـي التهوين من شأن المرأة إن لم يكن احتقارها باعتبارها مـسئولة عـن غـواية آدم بعـدما أغـوها الـشيطان . ومن ناحية ثالثة تبنت هـدف عـودة الإنـسان إلـي ملكـوت الله ، مـبرأ مـن الإذعـان إلي شهوة الجـنس ، مـشهرا سـلاح الإرادة ضـدها ، وربمـا دون غيرهـا ، فكانـت الـرهبنة ، الـتي تُـبني علـي التربـية الـروحية للنوع ، في خصومة لدودة مع

"الجنس": مظاهره، والإحساس به، وأعضائه، وعوامل إثارته، حتى أنها لم تكن لتسمح لمن يختار الرهبنة، بالزواج أصلا. ومن ناحية رابعة حين أبدت نوعا من المرونة مع مبدأ الرهبنة الذي قد لا يطاوعه إلا أولو العزم، وربما الذين أيّدهم ربهم بروح من عنده، ليرتقوا سلم الكهنوت "الإكليروس"، شرعت لأحادية الزواج، ورأته سرا من أسرار الكنيسة المقدسة، لا يجوز نقضه بالطلاق، فلا يحق لإنسان أن يفصم صلة عقدها الله. ومن ناحية خامسة أثقلت رابطة الزواج بقيد"الواجب"، وحينما أبدت قدرا من المرونة في فصم رابطة الزواج، لم تجد من سبب إلا موت أحد طرفيه، أو خروجه عن الدين والملة، أو علة الزنا، وكلها خيارات جد مستعصية، أهونها فضيحة علنية مضمونة بالشهود، وتنتهي بالرجم العلني ربما حتى الموت.

وعلي هذا النحو أفرغت رابطة الزواج من أسئلة السعادة أو المتعة أو التفاهم والانسجام والتحمل الطوعي لرفقة الحياة، لحساب الالتزام بالواجب، وربما ليس ابتغاء مرضاة الآخر بل مرضاة الله وإن يكن باحتمال الشقاء الذي فرضه علي عباده، ولعلهم يدنون به من ملكوت السماء. والواقع أن الحياة تجري غالبا في غير هذا المجرى الذي لا يعترف قط بأي هامش يمارس فيه الإنسان حق الخطأ في الاختيار، وينضج وعيه ويتبدل بين مراحل عمره، كما لا يعترف بفضل تجربة العشرة في كشف خفايا النفس وقدرتها علي الاحتمال بالرضي والقبول، دون أن تفسد بالمداهنة الممقوتة والرياء الممجوج، أو باللعنات التي تصبها ليل نهار علي ما ابتليت به من لدن أقدار لا فكاك منها إلا بما يزيد الروح شقاء علي شقائها. ولا شك أن هذا ما يفتح الأبواب والنوافذ الخلفية والدروب السرية، لأن ينهل الإنسان أقدارا متفاوتة من دين الطبيعة القديم، أو

يحتال بالنفاق وكتمان الشعور علي القيود، ويتواطأ بالصمت وبالزهو وبالتسلية علي المخالفة التي تبني الفضيحة!.

ولاشك أن هذا الإطار الديني، ما يفسر التربية التي تتلقاها بنات "هاكستابل" الست، وتبدأ بتعويدهن علي ارتياد الكنيسة، وحضور القداس، والإلمام بما قد يعتريه من أخطاء، ولا ينتهي بالملاحقة- التي بدت هزلية ومملة معا- بسؤال أيٍّ منهن إلي أين تذهب ومن أين جاءت. كما أن هذه التربية أبت أن تغفر ذلة في ماضي خطيب احدي البنات، وأطاحت بالزيجة جملة، وسوغت الصمت فيما بينهن غالبا، وبين الغرباء دائما، وبهذا صرن عبئا علي أنفسهن وعلي الأبوين، وأشياء يرجى أن تتخلص الأسرة منها، في سوق حكم علي بضاعتهن بالكساد. ومن ناحية ثانية إن قدمت هذه التربية زوجة، نسجت علي منوال "كاترين" أو "آماليا"، أولهما تتيه بنفسها فخرا لأنها تفضلت بالزواج من "هنري"، وهي سليلة تجار الجملة في سالف الزمان، والثانية يملؤها الغيظ فقط لأنها منحت رأس مال لزوجها ليبني مشروعه، ولم تصادف غير النكران، ولكن لا هذه ولا تلك سألت نفسها سؤال السعادة، وما يمكن أن تعطيه في الزواج غير التجهم والتسلط واحتقار الجنس وسيرته التي بثها الشيطان في أعطاف آدم وحواء. ولذا لم تستطع "آماليا" أن تجيب "قنسطنطين"، عم إذا كانت سعيدة معه، قبل أن تلومه أو تنتظر منه الندم علي هجرانها، أو سؤالها الغفران، واكتفت بأنها تود فقط أن تؤدي واجبها نحوه في أيامه الأخيرة قبل أن يختم عمره بالموت!. وفي السياق نفسه نجد الآنسة "شانسلر" التي يبدو أنها امتداد المرأتين وإن يكن في دائرة العمل، وقد أوكل إليها مهمة الإشراف علي العاملات ومتابعة سلوكهن بما لا يشين عفتهن، فتعيب أن يكون من هدف المرأة

السعي إلي رجل، رغم أن العنوسة مخيفة وفق ما أملته عليها التوراة، ولم تستطع إلا أن تتمسك بعناد بفضح الآنسة "ياتيس"، دون أن تسمح في نفسها بأي مساحة للتسامح، أو الفهم ومعاودة التفكير.

وعلى مستو آخر، لم يستطع "هنري" أن يجيب سؤال السعادة من وراء فخره بالالتزام بالواجب، ويعترف بأنه حين ألم به المرض وأقعده فترة، وأتاح له فرصة التأمل ومراجعة حياته، وجد نفسه يحسد "قنسطنطين"، لأنه استطاع أن يشق لنفسه طريقا ليحقق ما يريده أو ينهل من السعادة، ولو كان أحيانا طريق الأبواب الخلفية إلي السوق السوداء، يتحرر من أعباء الواجب لمجرد أنه كذلك. كما أنه لا يكاد يستغني عن خدمات عانس كالآنسة "شانسلر" لا تفرق بين الرجال، فكلهم عندها سواء، ويتسلى بما تفجره من فضائح تنقل سيرتها إليه!، وهكذا تستدعي منظومة الأفكار نفسها، النفاق الاجتماعي، والازدواج بين ظاهر، وباطن تتعدد فيه الاحتمالات وتتوه الحقائق في بيداء الأكاذيب والانتحال.

ولكن هل الإسلام الذي تحول إليه "قنسطنطين"، قدم له- في الحقيقة- مبررات دينية لشخصيته، أو مخرجا من مثالية المسيحية بما تفرضه من قيود، وما تتداعي إليه في الواقع المشهود؟. الواقع أن الإسلام أقر بقصة الشجرة وعصيان آدم وحواء في الملكوت، ولكن لم يقر بمبدأ الخطيئة الأصلية التي تلزمهما وتلزم نسليهما من بعد. إذ تقبل الله توبة آدم ولم تعد من نسله نفسٌ تحمل وزر أخرى، وكلٌ تلزم أفعاله عنقه إلي يوم الدين. ولم يُدن الإسلام الجنس إدانة تجيز التبرؤ منه، وتحيّن السبل للإفلات من وجهه الممقوت، لأنه أداة عمار الأرض، وأقر بما ينطوي عليه من متعة يرجى لها، وتخفف- في الوقت نفسه-

وطـأة الـواجب لحفـظ النوع إلي أن يشاء الله . والإسلام بالتبعية لم يلعن "المـرأة"، ولم يحملـها مـسؤولية الغـواية أو سـقوط البـشرية مـن قمـم الملكـوت ، وحـرم قـتلها أو وأدهـا حـية بـتهمة أنهـا أنثى يخشى أن تأتي لأهلـها بالعـار والشنار ، وهي المتمم للنوع ، ومكلفة مثلما يكلف الرجل سـواء بـسواء ، فتسأل عمّ تفعل ، ولا يسأل دونها أبوها أو عمها أو خالها أو زوجهـا أو ابـنها ، أو كائن من كان . وأدرك نبي الإسلام أن قطاعا من الأعـراب- علـي الأقـل- يختـزل المرأة في الأنثى ويطأنها كالبهيمة ، فأبى علـيها مهانـة الصورة ، ودعا إلي الرفق بها والتلطف معا والتحبب إليها ، بمـا يـرد إلـيها إنـسانيتها ، ويعلـو بالغريـزة فـوق مرتبة الحيوان! . ولم يقر الإسـلام- في الـسياق نفـسه- بالـرهبنة ، وإن اعـترف بما فيها من انقطاع للعبادة ابتغاء مرضاة الله .

وعلـى مـستو آخـر ، أسـس الإسلام الزواج علي نية الدوام ، وعلي رضـي وقـبول الطـرفين لا رضـي الأهـل الـذين قـد ينـتحلون لأنفسهم مـسئوليات لم يحلـها الله لهـم . ولكـن الإسـلام أيضا أقر بهامش الخطأ في الاختيار ونضج الوعي وتبدل الشعور ، فأحل الطلاق دون ربطه بما يثقل الأرواح والـنفوس ، واكتفي بأن يقر أي من الطرفين باستحالة العشرة إلا مـع الشقاء ، الذي لن تحمد قط عقبى دوامه . ولا شك أن سؤال السعادة والطوعـية والارتـياح ، حاضـر بقوة في علاقة الزواج ، ومقاصد الدوام ، أمـا إن اسـتحالت العشرة بالمعروف والود والرحمة ، وكلفت النفس ما لا تطـيق صـبرا علـيه ، وما لا يسعها احتماله ، ففراق بإحسان ، دون حاجة إلـي انـتحار ، أو نكـران ملـة ، أو فـضيحة تـزكم الأنـوف وتسلي تفاهة الـسامعين ، أو قـضايا أساسـها العـناد والـثأر تـستدعي التحكيم ، ونبش أسرار النفوس ، أو الإذلال والتهوين! .

وربما بدا الإسلام وكأنه أحل تعدد الزوجات بحجة الإمتاع ، وأباح للرجل اختزال نفسه في فحل طليق بين القطيع أو يغترف من الشهوة ما شاء بلا قيود ، مادام يقوى علي الشراء وتسديد النفقات . ولكن الإسلام قيد هذه الإباحة صراحة وبوضوح بشرط ، يعلم خالق الإنسان نفسه ، أنه محال: ألا وهو شرط "العدل" بين النساء ، وقال "إن لم تعدلوا فواحدة" ، ثم عاد ليؤكد ويقطع: ولن تعدلوا بين النساء . فالثانية تعنى- ببساطة- أن الأولى لم تعد ترضيه علي نحو من الإنحاء ، فأي عدل يستطيع بين من أساءت إليه- افتراضا- وحملته علي تركها ، وبين تلك التي أقبل عليها راجيا أن تنقع غلته وتواسيه عن جرحه الأليم ، وتحسن الرفقة معه في شركة الحياة!؟ ، أم هي شهوة لا يلزمها وضع كل أولئك في ميزان العدل والإحسان؟ . ولكن الإسلام- من قبل ومن بعد- ترك الإنسان حرا مريدا لا يقتحم سريرته كائن من كان ليفرض عليه ما لم يشأ بالرضي والقبول ، حتى الله وإن سمح لذاته العلية أن يطلع علي ما تخفي الصدور ، لم يشأ أن يفرض شيئا ، ولو كان الإيمان به . وعليه فإن الإنسان ملزم بمحاسبة نفسه وأن يسألها الصدق فيما تفعل وما تقول ، قبل أن يحاسبه سواه ويربكه بتخمين مقاصده ونواياه .

ولكن واقع المسلمين بنزعة التملك واكتناز المال والتباهي بالثروات ، وتفرقة الناس بالطبقات ، في مجرى التاريخ لم يختلف عن واقع المسيحيين ، فلم يكن لهذا شأن بالمسيحية ولا لذاك بالإسلام شأن . فشتان ما بين تكريم المرأة في الإسلام واحترامها ، واحترام إرادتها وخيارها لمن يبني بها ، وبين الاستبداد بها واحتجازها وتعليق إرادتها ، والاستهانة بشأنها ، إلا أن تعد وعاءً للنسل وإجابة لوطأة الفحل وقت يجرها من قفص "الحريم" . وشتان ما بين مبدأ يكرم المرأة بما كرمها الله ، ومبدأ يستعبدها

ويبـتذلها ويجهلـها ويسفّه رأيها ، ومن بعد كل هذا يخشى أن يطأها سواه ، فتـستجيب لـه كما استجابت لمالكها الهمام ، فتطعنه في شرفه بلا ارتداع . وكلمـا اشـتدت وطـأة هــذه الأوهــام بالأذهــان والــنفوس ، تعاظمــت أيديولوجـية الخداع عنها ، مرة ببذل الغالي والنفيس لعله يملأ عين الأنثى الـتي يـود لـو كحلـها بـالتراب ! ، ومـرة بأنها "حريم" يمنعه من الامتهان ، ومـرة لأنها أمكر خلق الله وكيدها عظيم ، ولا يؤتمن مكرها إلا بغل يدها ولـسانها وجـسمها بأقفاص ليتها ذهبية محكمة الإغلاق . ولا يكاد يدري الـرجل- في هـذا الـسياق- أن نظـرته للمرأة وسياسة ترويضها علي هذا الـنحو ، وراء مـا يثقله من هواجس بها ليل نهار ، فهو في الحقيقة يخشاها خـشية الظـالمين مـن أحابـيل المستـضعفين ، الـذين يلدغونهم دائما- وفي نهايـة المطاف- من حيث أرادوا الأمان . ولا يكاد يدري الرجل- في هذا الـسياق- أن هـذه النظـرة للمرأة ، وتلك السياسة ، وليدة القهر والتوسع في الأمـلاك والإمـبراطوريات علـي جـثث المستـضعفين وإهـدار آدميتهم بـسبي النـساء ، اللائي تعدن لتدمير الممالك نفسها ، وبمثل ما ابتلين به من أدواء ، ولو كن في خدور القصور ، ومن وراء الحجاب ! .

وهكـذا نجـد في واقع المسلمين والمسيحيين معا ، سياسة تشويه وتربية اختـزال للـنوع الإنـساني في الجنس ، لن تثمر إلا خوفا مقيما في النفوس مـن النـساء بـإزاء الـرجال ، والعكـس صحيح ، فيتحولن فقط إلي قنابل موقـوتة باسم الإناث ، وسيان بعد ذلك أن نجدهن في "تل الدنمارك" أو في حدائـق "فلـيمور" أو يعرضــن في حفـل أزياء في شارع "بوند" أو تأتين من بـاريس ، أو يحـتجبن في أقفاص الحريم بطول وعرض سلطنة بني عثمان . وهـنا وهـناك أسـاليب مختلفة تعالج "الذكر" و"الأنثى" ، وتجعل من ظاهر كليهما متعة وباطنه عذاب وتضحي دائما بالإنسان ، وتبقي أزمة النفوس

متقدة حية في صراع خفي بين الرجل والمرأة، لأنها تجعل من علاقتيهما علاقة "فريسة- prey "ترتهن بمهارة" صياد- hunter" ولا مهرب- لاحقا- من تبادل الأدوار، وغالبا بالطعم نفسه أو السلاح .

والواقع أن "قنسطيطين" يبدو سيد هذه الرؤية، "الفريسة- الصياد"، يبسطها في إيجاز صريح مع ابنه "فيليب"، ولا علاقة لها لا بمسيحية- كما رأينا- ولا بإسلام . وحين أبي استفزاز أخيه "هنري"، للحديث عن مجرى علاقته مع "آماليا"، وعن مصيرها المنتظر في تصفية الحساب، بحجة أنه لا يجيز لنفسه كمسلم أن يأتي بسيرة النساء علي مسمع من الغير!، إنما فقط يجمّل رؤية الفريسة والصياد . وحين أبدى استياءه من عرض الأزياء، واستنكر سفور وتبرج النساء في شوارع لندن، لم يعكس- في الحقيقة احترامه- للنساء، فسرعان ما كشف الغطاء عن رعبه وضعفه- في الوقت نفسه- الممزوج بلذة الافتتان بالإناث، رعب وضعف أفسد عليه حاله ومزاجه- لاحقا- وهو يري "أنثى" تهز أمام عينيه ساقيها، في حافلة، وهو في طريقه إلي ابنه، فيصمها بأنها شيطان!، لأنها كادت أن تتمكن منه . وبالذعر نفسه يحاجي بأن سفور وتبرج النساء في الشوارع، ومحض مرآها يكفل أن يشتت ذهن الرجل، ويشغله عن نصيبه من العمل، ويحذر من أنهن ستؤدين إلي انسحاق أوروبا أمام يقظة الشرق . فقد احتاط العالم الإسلامي بسياسة "الحريم" - التي لا غرو أنها تعجب "توماس" - ضد فتنة النساء، وضمن التوافر للعمل، وبقاء حمية الرجولة، وحل مشكلة العنوسة، بالزواج بالجملة، وفي الوقت نفسه أوجد البديل المنظم للجنس العشوائي، وكساه بالشرعية! . ومن العجيب أن أطياف الإسلام السياسي اليوم تستعيد الرؤية التي اجتذبت "قنسطنطين" في آخر القرن التاسع عشر، بكليتها سواء في تشخيص الداء

أو العـلاج أو الأهـداف أو حتـى العـنوان ، واعتـبروها تجسيدا ليقظة أو صـحوة الإسـلام ، مع الحلم بأقفاص الحريم لأرباب الشيطان! ، دون أن يجـرؤ أحـدٌ علـي نقـدها أو كشف ما تنطوي عليه من خلل جوهري ، أو حتـى يـشعر بمـا فـيها مـن خلـل ، فظلـت اليقظة وحلول أسئلة الحضارة حبيسة في أقفاص الحريم .

ج- الخواتيم ومحنة النظام

علـي أيـة حـال ، يـبدو مستحيلا فهم(بيت مدراس) ، وشخصياتها ، ولاسـيما بطلـها "فيليب" الذي يعاني أزمة روحية مكتومة ، جعلته عصي الفهـم ، حتـى علـي صديقه "توماس"، دون فهم التناقض الطبقي في ظل رأسمالـية الاقتـصاد في مرحلته الاحتكارية ، سواء بارتكازه علي التملك "possession"، أو بمـا يـتمخض عـنه مـن آليات التطلع والصعود ، قد تفـرض الـتحايل- مـن ناحية ثانية- علي الأفكار والقيم الدينية ، ودمجها بمفهـوم الـثمن وعقـد الصفقات . فهكذا تبدو زيجة "قنسطنطين- آماليا"، صـفقة حـصل فـيها علـي جانـب من ثروتها ، ليبني مشروعها ، مقابل أن يجعلها زوجة كما شاءت ، ويمنحها جزءا من شبابه وفحولته ، قدره بنفسه بوصفه صيادا ماهرا لا أكثر .

وبمـنطق الـصياد نفـسه أخـذ "قنـسطنطين" نصيبه من المتعة في السوق الـسوداء ، مـادام بمقـدوره أن يـصطاد ويضع للفريسة الطعم الذي تشاء ، ولـيس بمقـدوره أن يطلـق أو يتزوج ثانية بحكم الأعراف والدين السائد . وقـد كانـت "ماريـون" واحـدة من هؤلاء ، بل كان كلاهما ينصب للآخر الـشراك ، فهـو يريد المتعة بما فيها من أسباب الأنوثة والجمال ، وهي تريد زوجـا ثريا يجعل منها سيدة مجتمع ، فلا حاجة لها في أمثال "بريجستوك" أو غـيره مـن العـاملين في دار الأزيـاء . وانـتهت الـصفقة إلـي أنها خسرت

شـرفها وجـربت المـتعة، وإن لم تـتوقع الحمـل، وعلـيها أن ترضـى- في الـنهاية- بمـا سـيجود بـه الـرجل الشهم من تعويض. وهكذا أيضا تبدو زيجـة "فـريدا- بريجـستوك"، صـفقة وإن لم تكـن في جمـال "ماريـون" ولا أنوثـتها، ولذا لم تطمح لأن تكون أكثر من زوجة عادية، ولا خيار أمامها إلا رجـل مـثلها، رعديد وعديم المواهب، يتمسك بعمله ويخشى دواعي الطرد منه والهوان في البحث عن سواه، وليس بوسعه إلا أن يرضى بها. وكلاهمـا مـن بعـد يرتـضى أن يقسم بالتوراة علي الوفاء فيصدقه الآخر ويقطـع الـشك بالـيقين، ولا أحـد مـنهما يؤمن بصداقة بين آدم وحواء، ولا بمقتـضى معـرفة طويلة بينهما من الإشفاق وتبادل الآراء!. وكلاهما لا يفكـر رغـم ذلك في الإنجاب، لأن الظروف غير مواتية لتربية أطفال. وكلاهمـا في الظـرف نفسه يقتر علي نفسه ما أمكن ليوفرا معا رأس المال الـذي يـبدأ مـشروعا فـيما تعـودا علـيه من تجارة الأزياء، ولكن في زمن الاحـتكار ورأس المـال الكـبير تحـذر "ماريـون" مـن أن يبـتلع الـسوق مدخـرات الفتات. ولعل هذا ما دعا إلي أن يتمسكا بما اعتبراه افتراء من الآنـسة "شانـسلر"، ويـصعدا أمـره إلي القضاء والمطالبة بالتعويض، ولو كان فيه فضيحة "ماريون" علي رؤوس الأشهاد.

وفي جمـيع الحـالات التـزام في الخواتـيم بمـا يقتـضيه قانـون الإنـتاج والتـسويق، حـيث تتعـرض الـسلعة إلي عدة إصدارات في السوق، وفي كـل مـنها عملـية تقييم ومحاولة توظيف واستهلاك، وصفقة بيع وشراء، ثـم تـصفية أوضاع تعود بها إلي المصنع مجددا ليعاد الإصدار.. وهكذا. وفي هـذا الإطـار يري "قسطنطين" أولا الإذعان لابتزاز "فريدا" وإسكاتها بـشيء مـن المـال، ومـن ناحـية ثانـية إعفـاء "بريجستوك"، وبالتالي إعادة إصـدار كليهما كأرباب مشروع في السوق، يخضع للاختبار الذي حذرت

مـنه "ماريـون" . ويري- علي مستوٍ آخر- توجيه الشكر للآنسة "شانسلر" وأن يعـاد إصـدارها في السوق كعانس قادرة علي إثارة الفضائح! . ويرى ثالـثا إعفـاء "ماريـون" - بلـباقة وكياسـة طبعا- وعلي "فيليب" أن يضعها نـصب عيـنه ، لفـترة مـن الزمن ، وإعادتها- لاحقا- إلي عملٍ في صناعة وتجـارة النـساء بمـرتب أعلـي ، ومـن ناحـية ثانية يضع لها في البنك مبلغا يعيـنها علـي تـربية طفلـها منه! ، ومن ثم يعاد إصدارها إلي السوق امرأة عاملـة وخليلة محتملة! . ولو استطاع "قنسطنطين" تصفية حسابه مع "آماليا" ، بالمنطق نفـسه لفعلـها ، إلا أنـه لا يمكـنه أن يدفـع لها ما تنتظر من اعتذار ونـدم ، ولا أن يـسألها العفـو ، ولا أن يـصحبها معـه ويـضمها إلـي مـا اعتـبرهن حريمه في الإسلام ، بعد أن عافتها نفسه من زمان . فأي من هذا ثمـن باهظ جدا ، ولا شأن له أيضا بمنطق إدارة الصفقات وتقدير الخسائر والأربـاح . وهـذا ما جعله في النهاية يفقد صبره عليها ، بغضب يستدعي "فيلـيب" ويذكـره بمـا كـان بـين أمه نفسها وأبيه من شحناء ، بينما تضطر "آمالـيا" للإفلات من المواجهة مهيضة الجناح . . . وبذا يعاد إصدارها إلي الـسوق ، لا هـي زوجـة ولا هـي أرملـة ، فقـط امرأة عجوز ، أقرب إلي تـنويعة علـي الآنسة "شانسلر" ، ولا ينتظر أيا منهما إلا الدير! . وفي ضوء هـذه الخواتـيم التي لا شك فيها ، يمكن التنبؤ بأن "توماس" - الذي أبدى إعجابـه بطـرح "قنـسطنطين" ، وبخاصـة عالم "الحريم" - سيحل تناقضات علاقـته بزوجته بين تقديره دورها في تحقيق مكانته الاجتماعية من ناحية ، وخيانـته الدائمـة لهـا مـن ناحية ثانية ، مثلما فعل قنسطنطين ، أي الهجرة إلـي الشرق ، وتضميد جراح ضميره الأخلاقي في قفص حريم ، دون أن يعدم من يحتفي به تحت راية الإسلام .

وعلـي هـذا لم يدخل ضمن تصفية الحساب أي صيغة عن "الحب" أو

نحـوه من المشاعر الإنسانية ، التي تعتمد علي التميز والارتباط الروحي أو النفـسي . حتـى الصداقة أفرغت من معناها المحتمل بين "فيليب- توماس"، بعـد أن أمكـن تهديـدها بالذكـورة التي قد تنطلق بين إناث هذا أو ذاك ، وكـان مـن بـاب أولى أن تفـرغ من معناها بين "توماس- جيسكا"، بعدما عجـز عـن الإصـغاء إلـيها دون أي هـاجس جنـسي . وفي الـسياق نفسه أفـرغت مـن معـناها بين "ماريون- بريجستوك"، بعد أن أجهض أي قبول أو تـصديق لأن يـشكو أي مـنهما للآخـر في خلـوة ، أو يـبادله الـرأي والمشورة ، أو يـشفق بـه ويـربت كـتفه ، ويقـبل جبينه ، فقد كان التصور حاضـرا أن ثمـة مـن وراء ذلـك كله أو بعضه فريسة وصياد ، أو شيطان قابع يحرك الخيوط إلي خطيئة ، والعياذ بالله! .

وفي الـسياق نفـسه ، أفـرغت الأبـوة بـشكل مـباغت حـين أوشـك "قنـسطنطين" أن يلعب لعبته نفسها مع "جيسكا"، زوج ابنه ، بعدما اهتاج لجمالهـا وأنوثـتها ، لـولا أنهـا أحـسته بالغريزة نفسها ، وردته عنها بغلظة مكـتومة ، فاضطر إلي الانسحاب قبلما يلقى الهوان! ، وكان تعليقها عليه بعـد رحـيله لا يشي قط بأي ارتياح إليه . والواقع أن "قنسطنطين" لم يكن أبـا قـط إلا بـالمعني البيولوجـي ، بوصـفه ذكـرا ، وهـو معني لا يربي قط ضـميرا أخلاقـيا في عـالم الحـيوان . ولعل هذا المعني نفسه ما دفع "فيليب" إلـي إفراغ الأمومة من معناها الذي يوجب الاحترام والمودة علي الأبناء ، مادمـت تعـتمد فقط علي الرابطة البيولوجية . وبالتالي لا ينبغي أن تنتظر "آمالـيا"، لا مـنه ولا مـن زوجـته شيئا مما تراه حقوقا طبيعية ، فبالإضافة إلـي أنهـا لم تكـن أمّا حتى بالمعنى البيولوجي ، فالطبيعة لم ترتب شيئا من مـثل هـذه الحقوق ، وإلا رتبتها في عالم الحيوان ، ومن ثم يرى أن الأمومة بمعـناها القـديم ، قـد لا تعـدو أن تكـون امـتلاكا جمـيلا! . والـراجح أن

"فيليب" يعني أن علاقة التملك لا تفرض أصلا أية مشاعر إزاء المالك من المملوك، لأنها تعني ابتداء بمصادرة إرادته الحرة وتحويله إلي شيء- وهي تلك الظاهرة التي ستعرف بالتشيؤ "objectifying"، في الدراسات الفلسفية لاحقا- يمكن فقط التباهي به، إذا كان في ثمنه ما يستحق التباهي والافتخار، في دنيا الامتلاك!.

وعلي هذا النحو يبدو "فيليب" - الذي يدرك تماما أن آراءه غير تقليدية، وقد تبدو صادمة للسائد- في معاناة روحية حقيقية، تستشرف معنى مختلفا وجديدا للعلاقات الإنسانية وتتجاوز محنة النظام بينما يتأمل بلا شك عالم عمه "هنري" في تل الدنمرك، أو عالم أبيه، أو العاملين والعاملات في الشركة، أو تجربته مع "جيسكا". ويؤكد "فيليب" أزمته منذ البداية في إطار مواقفه مع "توماس"، بنزوعه إلي الترشيح في مجلس المقاطعة، والتخلي عن منصبه في إدارة الشركة، مع أنه يمكنه الجمع بينهما، ويزيد دخله لا أن ينقصه بإرادته، كما أن "ستات"، مالك الشركة الجديد، لم يطلب منه هذه الخطوة. والواضح أن "فيليب" لا يرضيه الواقع بكل أبعاده، ولا يمكنه في الوقت نفسه أن يهجره ويرحل عنه، فعالم صناعة النساء بما ينظمه من دلالات يصيبه بالتقزز، ووضعه- بالنهاية - إزاء أب لم يستطع إلا وصمه بالشيطان حين تبيّن دوره الخفي في أزمة "ماريون". ومن ناحية ثانية لا يمكنه الرضاء عن بنيته الطبقية، بما تنطوي عليه من انتهازية واستغلال، وتعيد تصنيف الناس بين فريسة وصياد، علي نحو ما في الغابة، لا كما يليق بالبشر. وترسخ في نفسه النفور من هذه البنية منذ فجر حياته العملية إبان كان معنيا بإلقاء محاضرات أدبية عن "شيللي" - فيما يقول لزوجته- واستمع إلي شكوى رجل من العامة صحبه بالقطار، وكان فريسة لآخر، فأحس بالخجل من

مـصارحة الـرجل نفـسه بمـسعاه ، أو محاجاتـه به . ومن ثم خلص إلي أن الفـن والأدب قـد يلطف الإحساس بالواقع غير المحتمل عند أبناء طبقته ، كمـا تـصرح زوجـته ، ولكنه لن يقدم حلا حقيقيا أو زائفا لأسئلة الواقع الـذي يتنفـسه الفقـراء أيـضا ، في ظـل ظروف منحطة ولا إنسانية . ولعه اسـتنكر - مع الاعتراف بآدميتهم- أن يهملهم ويزدريهم ، أو يولي عنهم لـشأنه الخـاص ، في أنانية تخصم من إنسانيته . وهذا ما يفسر- علي مستو آخر- اهتمامه في مفتتح الفصل الرابع بمشكلة الفقر والقوانين التي توضع لهم ، ويفسر رغبته في العمل السياسي من خلال مجلس المقاطعة .

ولكـن خـيار "فيلـيب" الـذي يعكـس بـلا شـك مفهومه عن المصلى الأبـيض ، يقتضي التضحية بمستوى المعيشة الذي اعتاده واعتادته "جيسكا" في الـوقت نفـسه ، ويقتـضي أن ينهـي علاقة ابنته بالمدرسة باهظة التكلفة والتي لا تتعلم فيها شيئا نافعا إلا تربية الزهور ، في سياق لمسة الجمال التي تـصنع منها أنثى- في طبقتها- لا أكثر ، ويقتضي من ناحية ثالثة أن تتمرد "جيـسكا" بالتبعية علي التربية نفسها ، وتجد لنفسها عملا منتجا ، وبالطبع يحيّـرها أن تـسأل عـمّ يمكـن أن تـشغل به؟ . ولما كانت الخيارات صعبة ، وتـشكل محـنة داخـل الـنظام المألـوف أو الـسائد ، وقد تؤدي إذا اكتست بالعـناد إلي تدمير الأسرة ، وإن كانت- في الوقت نفسه- لها أهدافها التي تـصب في اكـتمال الـشرط الإنساني ، وتجاوز ما في الاختزال الجنسي من انحطـاط مقـزز ، فـإن "جرانفيل باركر" لا يحسمها ، وينهي عمله علي نحو مـتعمد باسـتمرار المناقشة بين الزوجين ، وكأنه يصدرها أيضا إلي جمهوره ليدلـي بدلـوه في أبعادها وأهدافها ، نحو بناء مستقبل أرقى . ولكن الواقع انـصرف- بـرغم مـن ذلـك- إلي غير ما أراد "فيليب" ، فانتعشت صناعة النـساء وتطـورت باطـراد علـي نحـو مـذهل بتطور المعرفة التقنية واطراد

النظام الاقتصادي إلي درجة التشيؤ ، وانتعش في المقابل الطب النفسي ليعالج العجز عن التكيف كما يعالج أمراض استنفاد طاقة الاستهلاك !! .



قدمت مسرحية (بيت مدراس) علي مسرح "دوق يورك"، مسرح "تشارلز فرومان" للذخائر الفنية في مساء التاسع من مارس سنة ١٩١٠. من إخراج جرانفيل باركر.

الشخصيات وتوزيع الأدوار:

م	اسم الشخصية	اسم الممثل
١	هنري هاكستابل- Henry Haxtable	إي، و، جاردن- E. W. Garden
٢	كاثرين هاكستابل- Katherine Haxtable	الآنسة فلورانس هايدن- Florence Hayden
٣	لورا هاكستابل- Laura Haxtable	الآنسة آدا ماريوس- Miss Ada Marius
٤	ميني هاكستابل- Minnie Haxtable	إليزابيث تشسني- Elisabeth Chesney
٥	كلارا هاكستابل- Clara Haxtable	الآنسة جوي شاتوين- Miss Joy Chatwin
٦	جوليا هاكستابل- Julia Haxtable	الآنسة فيكتوريا آديسون- Victoria Addison
٧	إيما هاكستابل- Emma Haxtable	الآنسة سيبل ثورانديك- Sybil Thorndike
٨	جين هاكستابل- Jane Haxtable	الآنسة نيل كارتر- Miss Nell Carter

٩	رائد هبسلي توماس- Hippisly Thomas	تشارلز بريانت- Charles Bryant
١٠	فيليب مدراس- Phillip Madras	دينيس إيدي- Dennis Eadie
١١	جيسكا مدراس- Jessica Madras	الآنسة فاي ديفيز- Miss Fay Davis
١٢	قسطنطين مدراس- Constantine Madras	سدني فالنتين- Sydney Valentine
١٣	آماليا مدراس- Amelia Madras	الآنسة ماي وايتي- Miss May Whitty
١٤	يوستاس بيرن ستات- Eustce Berrin State	آرثر وتبي- Arthur Whitby
١٥	ماريون ياتيس- Marion Yates	الآنسة ماري جيرولد- Mary Jerrold
١٦	بريجستوك- Mr. Brigstock	لويس كاسون- Lewis Casson
١٧	مدام بريجستوك- Mrs. Brigstock	الآنسة ماري بارتون- Mary Barton
١٨	ويند لشام- Windlesham	تشارلز مود Charles Maude
١٩	بيلهافن - Belhaven	دونالد كاثروب- Donald Calthorp

٢٠	ثلاثة عارضات أزياء Three Mannequins	الآنسة أستا فليمنج- Miss Asta Fleming
٢١		الآنسة مير فوجن- Miss Mair Vaughan
٢٢		الآنسة ماري برندا- Miss Mary Brenda
٢٣	خادمة في تل الدنمرك	الآنسة ميللي إمدن- Millie Emden
٢٤	خادمة في حدائق فيليمور	الآنسة إفانجلين هيليارد- Evangeline Hilliard

* هـذه الترجمة من طبعة: New York: -Mitchell Kennerely Mcmxi 1911

* * * * *

(الفصل الأول)

(عائلة "هاكستابل"، تعيش في تل الدنمرك، أما "هاكستبل" فهو الشريك الباقي علي قيد الحياة من شركة الأزياء الشهيرة التي أسسها مع "روبرتس"، في باكنهام، والموقف الآن بجانب أنه مفيد صحيا، فهو أيضا ملائم. وها هنا بيت جديد اشتراه "هاكستابل"، نصف منتهيا، ولذلك فداخله يكاد يوحي بخارجه، وقد قال البناء إن المرء يمكن أن يصفه بأنه وفق الأسلوب المتبع في عصر الملكة "آن"، الذي ينتمي إليه السيد "هاكستابل"، بعدما أومأ بعينيه إلي الطوب الأحمر الذي يتقاطع مع حلي حجرية، فيبدو منقّطا، وهكذا كان يبدو أيضا من الداخل حيث كانوا يعيشون جميعا. عبر الحائط المنقط علي هذا النحو، الباب الأمامي ذو الكتل البارزة، والذي يتخلله الزجاج الملون، إنه يفضي إلي صالة ضيقة ومظلمة بلا داع، ولكن لها سفل من الفسيفساء الأبيض والأسود للنظافة. علي اليسار سلم بجدار محبب أيضا ومنقط، وعليه سجادة من بروكسيل، وقد ثبتت بقضبان من النحاس ملتوية. وعلي اليمين غرفة الاستقبال التي بالكاد تعبر عن شخصية السيد "هاكستابل". أما التأثيث فوفق ذوق السيدة "هاكستابل". ومنذ خمسة عشر سنة أو نحو ذلك، أقحم علي مكان هذا المتحف العائلي إضافات تمثلت في الآنسات "هاكستابل" الست: "لورا- Laura" وعمرها تسعة وثلاثين سنة، و"ميني- Minnie"، "كلارا- Clara"، "جوليا- Julia"، "إيما- Emma"، و"جين- Jane"، وعمرها ستة وعشرين سنة.

خزانات من خشب الورد، في شكل صورة من إحدى الأكاديميات من أوائل السبعينيات، ولكنها معنونة بتاريخ سابق، ويبدو علي الأرجح أنها هدية زفاف. وهناك هدية زفاف أخرى عبارة عن ساعة ذهبية تتخذ

شكل شكسبير برأسه الضيقة ، ولكن لها زوج متقن الصنع من السيقان ، وأسندت علي نحو لا يخلو من إجلال وتقديس تحت قبة زجاجية . وهذه كانت كنوز السيدة "هاكستابل" في حجرة الاستقبال الأولى ، وعزاءها فيما بعد أيام شهر العسل المملة . لقد كانت ابنة لتاجر جملة في المدينة مقابل تجارة زوجها بالقطاعي ، ولكن في السبعينيات حتى تجارة القطاعي كانت ترفع الرؤوس . ومما يوضع في الاعتبار مع ذلك ، أن "كاترين تومبس" ، قد منحت بعض الامتياز للشاب "هنري هاكستابل" ، بالزواج منه ، وحتى الآن كسيدة بدينة تقترب من الستين ، تتصور أنها بخفيف ثيابها ، ومعيار صوتها الرخيم ، مع العبارات التي تنتقيها بعناية ، أنها مصدر كرامة العائلة .

إن الاختلاف بين واحدة من آنسات "هاكستابل" ، وأخري ، يبدو للعين العابرة كالاختلاف بين قلم رصاص وآخر ، بينما ترقد هذه الأقلام علي منضدة امرئ بعد استخدام أسابيع . . مسألة فارق طول البري ، أو اللبس . أما امتياز "لورا" فيكمن في كونها مدبرة المنزل ، إنها القوة الصلبة المستمدة من تنظيم العشاء . إنها دائمة الصمت ، وبينما أخواتها صامتات مع الغرباء ، هي صامتة مع أخواتها . ولا تبدو أنها تقرأ كثيرا ، وأمنية واحدة تحلم بها ، لو خاضت مغامرات شرسة مع مكنسة سجاد جديدة . وحين عانت العائلة بعض المرارة في الصيف ، بسبب الموقد ، وما إذا كان ينبغي تغيير نبات السرخس[1] ، أو المظلة الصينية ، كان من رأي "لورا" ، أن المظلة الصينية تجمع أقل الغبار الذي ينتجه اليوم . أما "ميني" ، و "كلارا" ، فقد مالا إلي التدين ، لا بشكل عاطفي ، فالأفعال معهم

(١) نبات السرخس بلا أزهار ، وله سعف يبدو مورقا أو ذا ريش . ويعاد إنتاجه بأجزاء تستمد من الجوانب السفلية للسعف . كما أن له نظام وعائي لنقل الماء والمواد الغذائية .

و"كلارا"، فقد مالا إلي التدين، لا بشكل عاطفي، فالأفعال معهم لحظة جود للإيمان. وتبدلتا مع ذلك أخيرا، من زيارة رئيس المقاطعة لحساب البعثات التبشيرية.. البعثات إلي الصين أو بلاد الصفصاف (وكلاهما واحد تقريبا) فنتائج الأعمال الصالحة لا يمكنهم أن يروها. وقد امتنعوا- بسعادة- عن السؤال عم إذا كانت تبرهن علي نوع من الرضاء الروحي الزائد.

أما "جوليا"، فقد بدأت حياة، ويمكن أن يقال إنها تركت المدرسة باعتبارها عبقرية. وكان لناظرة المدرسة عامين أو ثلاثة مع أمثال هؤلاء البنات الغبيات، حيث لم تستطع أن تقاوم هذه الإثارة. ولكن رسومها بالألوان المائية كانت متوسطة. ولذا ارتدت "جوليا" الثياب المخملية البنية، وأرسل بها إلي مدرسة فنون، حيث لم يتركوها أبدا ترسم بالألوان المائية. وفي سنتين تعلمت ما يكفي عن تجارة الفنان، وليس أبدا لتصنع رسوم الألوان المائية مرة ثانية. تجاوزت "جوليا" الآن الثلاثين، وهي تعسة جدا. ثلاثة من رسومها المائية الأساسية المبكرة، معلقة علي حائط غرفة الاستقبال، وتسبب لها الخزي، ولكن أمها لا تريد أبدا أن تنزلها. وفي الأجازة، ستحاول "جوليا"، بين وقت وآخر أن تجعله يوم تخطيط، ولكنها تصرخ وتبكي أحيانا، بينما تمزق المحاولة غير المجدية، في أن تري علي الورق الأشياء التي تعلمتها. كانت "جوليا"، "إيما" و"جين"، من اتفقن منذ بضعة سنوات مضت، علي تقديم أمهم بهذا الركن المريح الواضح بشدة. ركن مريح ويعد فيما يبدو أداة ليكون ما تمنع طبيعة الركن نفسها أن يكون. لقد أرهقن أنفسهن ماليا، ولكن ما سوغ لهن ذلك أن السيد "هاكستابل"، كان أكثر إسرافا بشأن نفقات ثيابه، ثم أمكنهن علي الأقل أن يتحملن شيئا ليس قبيحا تماما. و"إيما"، واعية

بحال "جوليا"، جرت إلي حد بعيد وراء المعاطف والجيبات والذوق العام. وأمكن أن تكون ناجحة في مكتب، وربما تستحق ثلاثين شلنا أسبوعيا. ولكن العائلة لا تحتاج ثلاثين شلنا أخرى أسبوعيا، وهذه الهدية تبددت كما كان متوقعا، ولذا تحولت "إيما" أيضا إلى عنف المزاج. أما "جين"، فشرسة قليلا، وإن يكن بشكل وديع بما يكفي. وإن كانت سلطة السيدة "هاكستابل"، في تطبيق كابح التربية الجيدة، قوية بما يكفي بشأن البنات الخمس، فقد انحسرت في المحاولة السادسة علي "جين"، التي تقدم لخطبتها بالفعل مرتين شابان غير مرغوبين تماما. وحقيقة أنها الآن كبيرة بما يكفي للكل، تشكل أمرا صادما ومزعجا للعائلة. وتمر أعياد الميلاد، ويبدو احتفالهن أقل تأكيدا، فلا أحد يود أن يصدق أن السنوات تمضي، حتى صاحب المناسبة نفسه، يغدو أقل قدرة علي التهرب من مغزاها، فيضحك ولا يلبث أن يغير الموضوع. ولذا فإن الآنسات هاكستابل لا تسأل إحداهن الأخرى أبدا بشكل صريح، عمّ قد يعنيه زواج الصغرى، وربما لا تسألن أنفسهن أبدا. إلا أن "جين" لم تتزوج، ولكن لو فعلتها- ما لم تهرب- ربما- لتفعلها، سيكون ثمة سبر للقلوب علي الأقل. وبالرغم من ذلك فقد سأل السيد "هاكستابل"، ذات صباح باكر، قبل أن يأخذ حمامه الدافئ الذي يكاد يرضيه: إن لم تتزوج البنات ذات يوم، فماذا تفعلن؟ الأمر لا يبدو وكأنهن تدخلن إلي دكان. وأجابته السيدة "هاكستابل": لا، الحمد لله.

ومنذ مرضه، راح السيد "هاكستابل"، يسأل أسئلة عديدة، عن أي شخص وأي شيء، وعن نفسه غالبا عن الكل. ولكن برغم ذلك المرض، كان من نوع أصحاب المحلات الناجحين التقليديين بما يكفي، يتغذى بخشونة، سمينا قصيرا، وذا شارب كث. ولكن ثمانية عشر

شـهرا مـن العناية والغذاء المقنن والعزلة عن العالم ، أضفت- فيما يبدو- لطفـا علـي صوته ، ولمحة فكهة إلي عينيه ، وطفولة علي اندفاعات مزاجه القلـيلة . . وأضـافت- في الحقـيقة- تلك اللهفة التي جعلته إجمالا عجوزا محبوبا عتيق الفكر والأطوار . إننا في صباح يوم أحد ، يوم مشرق من أيام أكتوبـر ، والعائلـة مازالـت في الكنيـسة . غـرفة الاسـتقبال خالية ، ينفتح الباب وتكشف الخادمة- ذات المئزر وغطاء الرأس- عن "فيليب مدراس" وصـديقه الميجور "هيبسلي توماس" . "توماس" طويل الساقين ، وتصرفاته مـتعمدة يتحـرك عـبر الغرفة إلي النوافذ الفرنسية الكبيرة التي تنفتح علي شـرفة ، تطـل علي الحديقة ، والعديد من الحدائق بعدها . "توماس" رفيق طـيب . أمـا "فيلـيب مـدراس" ، فأكثـر تعقـيدا مـن ذلـك . وابتداء ، من الواضـح أنـه لـيس إنجليزيا فيما يتعلق بملامح معينة في شخصيته: التوهج ولـون الـصوت ، والمـيل إلـي الميتافيـزيقا في أحاديثه ، كل أولئك يكشف عـن- ربمـا- أصـول شـرقية . إنـه طيب في السلوك ، ولكنه بارد إلي حد كـبير ، قـادر علـي الـتعامل مـع قلـيل من التقاليد الإنجليزية . . . العاطفة المصقولة بالثقافة . في الخامسة والثلاثين من عمره ، وأصغر بسنة أو اثنتين عـن صـديقه . تـؤمِّن الخادمة قبعة "توماس" ، وتنتصب ممسكة بها . بينما "فيلب" يتجاوزها إلي الغرفة ، ويسأل:-

فيلـــــــيب : منذ متي؟

الخادمــــــة : خـلال دقائـق قلـيلة من الآن ، هذا ما ينبغي أن أقوله يا سـيدي . أوه ، ألا ينتهـي هـذا الـيوم بـأن يكـون الأحد الثالث في الشهر؟

فيليب : لا أدري . "تومي"، أليس كذلك؟

توماس : (من عند النافذة) لا تسألني . حسنا . . أعتقد يمكن أن أخبرك (يفتش بصورة غامضة عن مفكرته)

الخادمة : لا ، لا أعتقد أنه كذلك يا سيدي . فلو أنه الأحد الثالث فإن بعضهم سيتوقف للمشاركة في العشاء الرباني ، وهذا سيؤخرهم عن العشاء ، ولكن لا أعتقد أنه كذلك يا سيدي . (تتراجع نحو الباب ، وتعلق القبعة علي المقبض)

فيليب : أمازالت أمي تقيم هنا؟

الخادمة : السيدة "مدراس" ؟ ، نعم يا سيدي . (تختفي الخادمة بعدما تحل القبعة . وعقب ذلك يدخل بسرعة شديدة فيما لابد وأنه محاجاة مقطوعة)

فيليب : حسنا ، عزيزي "تومي"، ما هما الأمران بالغا الأهمية في شخصية الرجل؟ ، موقفه من المال ، وموقفه من النساء .

توماس : (يستبطئه بشكل لا يخلو من ضجر) نعم ، أنت مشحون بالتعاليم الأخلاقية . لماذا السلوك نحو المال ، كما لو أنه

لم يوجد؟ ، إنني لم أقل أبدا لا ترتبط بمجلس المقاطعة .

فيلـــــــيب : (بتعمد ، ولكن في تنفس عميق) من المستحيل تماما لأي رجل محترم ، أن يمشي بعين مفتوحة من "وترلو" ، إلي "تل الدنمرك" في صباح يوم أحد ، دون أن يتمني ليّ الدعم في مجلس المقاطعة . ("توماس" يحصن نفسه في الأريكة)

تـــــــوماس : لديك ما أدعوه بعقل المصلح ، ولا ينبغي أن أكرسه يا "فيلي" . هذا العقل يجعل الرجل تعيسا وساخطا ، ليس بنفسه ولكن بالناس الآخرين . تأكد . . وقد يجعله مغرورا ويضعه خارج شروط السواء من كلا الجانبين . لا تتخيل أنك يمكن أن تجعل هذه البلدة أفضل بمجرد تنظيمها .

فيلـــــــيب : (بتقلب أهواء) ولكني مهتم جدا بانجلترا يا "تومي" .

تـــــــوماس : (دون أن يخلو رده من فكاهة) كلنا كذلك . ولكنا جميعا لا نحتاج إلي أن نقوله . حتى أنا أستطيع أن أهتم بإنجلترا ، فيما أعتقد ، ومع ذلك ينبغي أن ألتزم بالجيش وأبذل جهدي لأكسب العيش والعسل للزوجة ولأربعة

أطفال .. وليس مما يسؤني أن أكسبه لنفسي . أقول لك ، لو أن كل امرئ اعتني بنفسه وبعائلته ، وعاش حياة تقية ، مستقيمة وجادة .. معذرة ، ولكن يوم أحد انجلترا يمكن أن يمضي ببصيرة ملعونة ، أفضل مما يفعل بكل أشكالك من التدخل . (يضطجع . بينما يثبت "فيلب" عيناه علي مسافة بعيدة)

فيليب : بلد خليط ! .. غريزة المرء الأولي أن يكون خطيبا عنها .. أن يكتب شعرا وينفس عن مشاعره . اعتقدت ذات مرة أنه يمكني التضحية بنفسي .. أقدم بضائعي لمسكين ، وأتفقد أحياء الفقراء .. أحتفظ بروحي الخالدة التي مازالت متسامية . ثمة شيء خطأ في العالم يا "تومي" ، شيء يأخذ رجلا مثلي ، كل وقته ليكتشف أن خبز الناس مطلوب ، وليس إما كعكا أو فتات .

توماس : بل هناك خطأ في الإنسان إذا ما فكر في الناس كما لو كانوا نملا علي كوم نمل .

فيليب : (يسترخي ليبتسم) هذا حقيقي تماما يا "تومي" . ولكم أحب أن أجري حوارا طيبا معك فعاجلا أو آجلا تقول

دوما شيئا معقولا .

تـــــــوماس : شكرا ! ، أنت مهذب ملعون . . وكالعادة . . خرجنا مباشرة عن الموضوع .

فيلــــــــيب : فن الحوار !!

تـــــــوماس : (خجلا من الحكمة الدارجة) لتمض إلي مجالس المقاطعة الست ، إذا أردت . ولكن لِمَ تطيح بسبعمائة جنية ومنصب المدير ، لو أن الولاية أرادتك أن تحتفظ بهم؟ ويمكنك أن تضاعفهم أو أكثر . . بل وتدير المكان إذا أردت المطالبة بالإدارة .

فيلــــــــيب : (بترفع تقريبا) "تومي" إنني أحتقر شركة "مدراس" . يمكن لـ "ستات" أن يشتريه ، ويفعل به ما يشاء .

(تصل "لورا" ، و "جوليا" . إنهما أول من يصل من الكنيسة . بفساتين وقبعات يوم الأحد ، وأفضل القفازات ، والمظلات ، وكتب الصلوات)

جولـــــــيا : أوه ، يا لها من مفاجأة!

فيلــــــــيب : نعم . . نزلنا . آه ، أنتم لا تعرفونه . دعيني أقدم لكم الرائد "هيبسلي توماس" . . ابنتا عمي ، الآنسة "جوليا

هاكستابل"، والآنسة "لورا هاكستابل"

جوليا : كيف حالك؟

توماس : كيف حالك . .

لورا : كيف حالك . .

جوليا : هل جئت لتري العمة "آمي" ؟

فيليب : لا . . أباك

جوليا : سيرجع معها . . أخشي أن يكونا الأخيرين .

لورا : هل ستبقي للعشاء؟

فيليب : لا . . لا أعتقد

لورا : من الأفضل أن أخبرهم أنك لن تبقي . ربما يعدون لك مكانا . .

(تخرج "لورا"، متفادية بشكل مهذب أن تصطدم مع "إيما"، التي تتبدى في مثل مظهر الأخريين، وتدخل في اللحظة نفسها)

فيليب : أهلا . . "إيما"!

إيمـــــــــا : حسنا . . يا للمفاجأة!

فيلـــــــيب : أنـت لا تعرفينه . . الرائد "هيبسلي توماس"، الآنسة "إيما هاكستابل" . . .

تـــــوماس : كيف حالك؟

إيمـــــــــا : كيف حالك؟ هل ستبقي للعشاء؟

فيلـــــــيب : لا ، لـن نـستطيع (هـذه الـصيغة تكـتمل للمـرة الثانية ، فينوع في الشرح) لقد أحضرت "توماس" سيرا ليساعدني فقـط في أن أنقـل إلي عمي "هنري"، قليلا من الأخبار . أبي سيعود إلي إنجلترا غدا . .

إيمـــــــــا : (بفم مستدير) أوه!!

جولـــــــيا : إنه صباح جميل للتجوال ، أليس كذلك؟

تـــــوماس : رائـع في شـهر أكتوبـر . . (هـذان الاثـنان ينظـران أولا أحـدهما للآخر ، ثم لخارج النافذة . تحدق "إيما" بتساؤل إلي "فيليب")

إيمـــــــــا : أعتقد أنه يعرف . .

فيلـــــــيب : من النوع الذي يعرف . .

إيمـــــــــا : لماذا تبدو غريبا يا "فيليب" ؟ ("فيلبب" يتهلل كثيرا مع "إيما"، عن الأخريات)

فيلــــــيب : "إيما" . . لقد أغريت غريبا بالمناسبة كي يكون حاضرا ، ولذا لن يستطيع أبوك وأمك - من قبيل الاحتشام- أن يخوضا معركة عائلية معي مرة ثانية . أعرف أن في الأمر حيلة ومكرا ، ولكننا أردنا السير معا . كما أن هناك اجتماعا في الغد .

جــــــين : (تزقزق عبر الباب) أنت؟؟ يا أمي! (تستدير إلي الصالة ، ومن الصالة يأتي صوت السيدة "هاكستابل" الفخم: نعم يا "جين"!) ابن العم فيليب!

(تهل السيدة "هاكستابل"، وتكثف كل التحيات العائلية في واحدة)

م. هاكستابل: يا للمفاجأة!! . . هل ستبقي للعشاء؟

إيمـــــــــا : (متيقظة لفضول في الكلام مؤكد) لا يا أمي . . لن يستطيعا .

فيلــــــيب : يمكنني أن أقدم صديقي . . الرائد "هيبسلي توماس" . . خالتي السيدة "هاكستابل" .

م. هاكستابل: (بهيبة وترفع) كيف حالك ميجور "توماس" ؟

فيلـــــيب : "تـوماس" هـو مدير فرع شركة السيد "يوستاس ستات"، في لندن .

تـــــوماس : كيف حالك؟

(السيدة "هاكستابل" تأخـذ مقعدا ذا مساند ، بروح من ترتقـي عرشـا ، ومن هذا الموضع الممتاز تشرع في محاورة مهذبـة . تـوزع بـناتها أنفـسهن ، وكـذلك "فيلـيب"، و"توماس")

م. هاكستابل: لست في الجيش إذن ، يا ميجور "توماس" ؟

تـــــوماس : كنت في الجيش . .

إيمـــــا : "جيسكا" بخير تماما يا "فيليب" ؟

فيلـــــيب : نعم . . أشكرك .

إيمـــــا : و"ميدرد" ؟

فيلـــــيب : بخير . . لقد عادت إلي المدرسة .

م. هاكستابل: خريف دافئ بشكل رائع ، أليس كذلك؟

تـــــوماس : بالضبط . .

م. هاكستابل: هل تعرف تل الدنمرك جيدا؟

تـــــــوماس : ليس تماما . .

م. هاكستابل: عـشنا دائمـا هنا . أحسب أن المكان صحيّ ، ولكن لندن مكان صحي فيما أعتقد . أوه! عفوا . . ابنتي "جين" . .

جـــــــــين : أهـلا بـك (يتـصافحان بالأيـدي بـشكل رسمـي . "إيما" بتعقل تذهب إلي النافذة لتنشيط الأجواء)

إيمـــــــــا : لدينا حديقة رائعة جدا ، وهذا شيء واحد . .

تـــــــوماس : (لـيس بـريئا كلـية من محاولة الهروب من مضيفته ، يخطو للنافذة أيضا) لاحظتها . أنا تواق للحدائق .

م. هاكستابل: (وقد تشتت انتباهها بخطى "جوليا" ، نحو الباب) إلي أين يا "جوليا" ؟

جولـــــــيا : لأصـعد بحاجياتي ، يا أمي . . (ترحل "جوليا" . حين كن فتيات صـغار جـدا ، كانـت السيدة "هاكستابل" تسألهن دائما: إلي أين؟ عندما تتركن الغرفة ، وأين كنتن؟ وقتما تدخلن إليها ، ولم تسقط قط هذه العادة . أما هن فاستأن فقط منها ، بالصبر البالغ في ردودهن)

إيمـــــــــا : (باستمتاع) ذلك قصر الكريستال .

تـــــــوماس : حقـا؟ (يـتطلع كلاهمـا بتقدير بالـغ إلـي هـذا المعلـم الـشهير . وقـد اكتسب سكان تل الدنمرك اهتمام التملك تقـريبا نحـو قـصر الكريـستال والغـرب . وبعـد تتحدث السيدة "هاكستابل "بصرامة مفاجئة لابن اختها)

م. هاكستابل: "فيليب "، أنا لا أزج بصحة أمك في كل شيء

فيلـــــــيب : (بشيء من اللين) ليست كذلك ، خالتي "كات "

م. هاكستابل: (معترفة بعدالة الرد السريع) هذا صحيح .

فيلـــــــيب : عمي "هنري "، يتحسن للأفضل فيما أظن

م. هاكستابل: أفـضل بمـا يكفـي الآن . أنـا نفـسي أصـبت بنـزلة بـرد خفيفة . أحقا سيظهر أبوك مرة أخرى في إنجلترا؟

فيلـــــــيب : نعم . . كان زاهدا فحسب ، وسيصل غدا

م. هاكستابل: أنا آسفة

جـــــــين : أمـي! (تقـذف الـسيدة "هاكـستابل "أسفها بمثل الصرامة المـضاعفة الـتي احـتجت بهـا "جـين ". علـي أية حال في اللحظـة نفـسها يـصل الـسيد "هاكستابل "نفسه بابتسامة

سارة)

هاكستابل : آه ، فيليب . . كان لدي فكرة إنك ستأتي . . ستبقي للعشاء . "جين" . . أخبري عمتك . . إنها تخلع غطاء رأسها . . ("جين" تطيعه . يلمح ظهر الرائد في الشرفة) من بالخارج ؟

فيليب : "هيبسلي توماس" ، كان لدينا رغبة في المشي . لا نستطيع البقاء . .

هاكستابل : أوه !!

م. هاكستابل: هل جئت في شغل ؟

فيليب : حسنا . .

م. هاكستابل: يوم الأحد ؟

فيليب : ليس تماما . . (تهز رأسها باستهجان متجهم . يأتي "توماس" من الشرفة)

هاكستابل : كيف حالك ؟

توماس : بخير يا سيدي . . كيف حالك ؟

هاكستابل : بخير ، صباح رائع ، أليس كذلك ؟ فرصة سعيدة . .

رأيت قصر الكريستال؟ (بينما يستدير "توماس" بأدب تام ليري هذه الظاهرة مرة أخرى، يسترضي "فيليب" خالته)

فيليب : سترين يا خالتي "كاثرين"، أن لدينا في ظهيرة الغد المؤتمر الحقيقي الأول مع السيد "ستات"، حول شراء الشركتين، وسيمر أبي في انجلترا ثانية، ليحضر المؤتمر.

م. هاكستابل: طبعا يا فيليب، إن كان هذا عملا، فأنا لا أعرف عنه شيئا. ولكن أليس من المقترح أن يحضره عمك أيضا؟ (يتمتع صوتها بجاذبية جديدة. ويصبح فيليب منتشيا جدا، وكذا السيد "هاكستابل"، الذي يعود لينضم إلي المحاورة)

فيليب : بشكل طبيعي، يا خالتي العزيزة..

هاكستابل : ما الأمر؟

م. هاكستابل: (الكلمة الواحدة التي تعبر عن حجم المسألة) قنسطنطين..

هاكستابل : (ببراءة متقنة) هذا مؤكد الآن، أليس كذلك؟

م. هاكستابل: لقد ألحت إلي ذلك بالأمس يا هنري..

هاكـــستابل : أظن . . أظن أنني فعلت . (عينه تتحول بشعور الذنب)

م. هاكستابل: مستبعد الأمر تماما ، فيما يبدو ليّ . . (تعود "جين")

جـــــــين : خالتي "ماري" قادمة . .

هاكـــستابل : (بشوشا مرة أخرى) أوه! ابنتي "جين". . رائد "توماس"، رائد "توماس". .

جـــــــين : (بشيء من التعقل) نعم . . يا أبي

م. هاكستابل: (بلباقة) أنت لا تدرك بشكل طبيعي أيها الرائد "توماس"، أنه لأسباب عائلية ، لا نحتاج أن نخوض فيها ، لم يتكلم السيد "هاكستابل" إلي أخيه غير الشقيق لعدة سنوات . (تلتقي عين "فيليب"، بعين "توماس"، في معاناة هزلية . ولكن السيد "هاكستابل" أيضا يستغرق بابتهاج في الموضوع المحرم)

هاكـــستابل : ثلاثون سنة ، فترة بسيطة جدا! . مذهل ، أليس كذلك؟ أهتم بالعمل نفسه . ألم يكن سهلا أن أواصله . .

تـــــوماس : سمعت . .

هاكـــستابل : أوه ، نعم . . سمعته سيئة

م. هاكستابل: (ناقمة) وقد تكون حسنة . . يا هنري . (تدخل السيدة "مدراس". من الواضح أن "فيلب" ابن أبيه وليس ابنها . إنه يبدو كذلك ككل ، ولكنها هدية أمه ، متي تعلق الأمر بلمسة من التقديس الذاتي التي غالبا ما تكون عن سوء تقدير للحقيقة . وتظهر فيها- هذه الأيام - أقل قابلية للحب كنوع من المزاعم المريبة عن حقوقها وأخطائها في مواجهة القلاقل التي كانت قوية جدا لها . إنها سيدة عجوز شاحبة ، ومنكمشة ، فرت الحياة منها .)

هاكستابل : (ومازالت بعض الصرامة باقية) "آمي". . زوجك في انجلترا مرة أخرى .

فيليب : (يقدم خده كابن ، فتقبله) كيف حالك يا أميّ؟

هاكستابل : (هامسا) لباقة يا "كاثرين"، لباقة!!

فيليب : لعلك تذكرين "ريجي توماس" ؟

توماس : أنا كنت مع "فيليب" في مارلبور ، يا سيدة "مدراس".

م. مدراس : نعم . . أهو حقا يا "كاثرين؟ (بعدما تقدم لتوماس يدا هزيلة ، وتبدي أختها تلك الاستجابة الأبرد ، تجد طريقا إلي أريكة ، حيث تجلس صامتة مشغولة بنفسها . تحتفظ

السيدة "هاكستابل" بقبضة ملكية ، علي موضوعها)

م. هاكستابل: إنني عاجزة يا "فيليب"، عن رؤية السبب الذي يتطلب أن يخترق عملك قواعده؟

هاكستابل : أنت معنا يا فيلب؟!

فيليب : بالطبع . . بالطبع . . من الأفضل لعمي "هنري" أن يقرر . .

هاكستابل : طبيعي . . طبيعي (مازلت عينة مناشدة "فيليب"، الذي يعني به)

فيليب : منذ تقدم السيد "ستات" بعرضه ، لا يمكن أن تتعلق الصفقة ببيت "مدراس" فقط . . ولكن لابد أن تتضمن بيت "روبرت" و "هاكستابل" . . لو أن المالكين الأصليين لا يستطيعان أن يلتقيا به حول مائدة مستديرة لحل المسألة . .

توماس : (دبلوماسيا بشكل بالغ) نعم . . المسألة محرجة كثيرا . . إذا أمكنني أن أقول ذلك بصفتي ممثلا للسيد "ستات"، يا سيدة "هاكستابل" . .

م. هاكستابل: لا تحسبها كذلك ، وهل تظن يا رائد توماس ، أن أي

قـدر من الحرج ، ينبغي أن يقنعنا بأن نتجاوز عن تصرف مـشين شـرير بهذا الشكل؟(بهذا تهوي المقابلة إلي مثل هذا الصمت المخزي ، بحيث يستطيع المسكين "هاكستابل "فقط أن يضيف . .)

هاكـستابل : أوه ، تحدثي عن شيء آخر . . تحدثي عن شيء آخر

(بعـد لحظـة يتـبدى صـوت السيدة "مدراس "الشاحب ، بينما تستدير إلي ابنها)

م. مـدراس : ومتي سمعت من أبيك؟

فيلـيب : خطـاب مـن "مارينـباد "مـنذ يـومين أو ثلاثـة مـضوا ، وبتلغراف وصل صباح الأمس .

م. هاكستابل: (بـسلطة المضيفة تـسترد الأدب الآن ، والصوت الهادئ للمحـاورة) تـركت الجـيش مـنذ فـترة طـويلة يا ميجور توماس؟

تـوماس : من أربعة سنوات .

م. هاكستابل: وما الذي جعلك الآن تقبل علي تجارة الأزياء؟

فيلـيب : (موضـحا بدقـة) الـسيد "سـات "خـبير مالـي أمريكـي يـا خـالتي "كاتـي "اشـتري دار "بـرو "المكـان الفـسيح في

المدينة ، ويوشك أن يشتري دارنا أيضا ، ربما . .

م. هاكستابل: آمل ألا نكون حجر عشرة . .

فيليب : أوه ، لا . . لا . .

م. هاكستابل: لا ، لا شك أن "هنري "كان سيخبرني ، إذا ما كنا حجر عشرة (بينما تنحي الموضوع بهذه الرشاقة ، تظهر هناك وعبر الشرفة خطى آخر القادمين من الكنيسة: "ميني "، و "كلارا ". جانب الذكور من المجموعة يعيد ترتيب نفسه)

هاكستابل : أهلا وسهلا . . أين كنتم؟

ميني : كنا نتريض بالمشي . .

م. هاكستابل: (بمفاجأة عميقة فيما يبدو) تتريضين بالمشي يا "ميني "، أين؟

ميني : فقط علي طول الطريق إلي البيت . . اعتقدنا أن أمامنا وقت .

كلارا : هل لاحظت كم كانت العظة قصيرة؟

م. هاكستابل: أوه ، يمكنني أن . . ابنتي "كلارا "يا ميجور توماس ، ابنتي "

ميني . . ميجور توماس . .

ميني : (تبدأ الأنشودة التقليدية) كيف حالك . . ؟

توماس : بخير ، كيف حالك ؟

كلارا : كيف حالك ؟

ميني : كيف حالك فيليب ؟

فيليب : بخير ، كيف حالك ؟

كلارا : كيف حالك ؟(تنتهي الأنشودة ، ويعم الاستقرار المجموعة ، بينما "هاكستابل "يُسكِت فيليب في هذه الأثناء بروح من يؤمن علي سر) .

هاكستابل : بالمناسبة . . لا تنس يا فيلب أن تذكرني بشيء أود أن أسألك عنه قبل أن تنصرف . . شيء هام إلي حد كبير .

فيليب : سأذكرك حيث تكون في الصباح . سيتفقد "توماس" ، بعض المعالم الهامة

هاكستابل : (بغمز منتظم) نعم . . لن أمانع

فيليب : اجتماع السيد "ستات" ، في شارع "بوند" ، في الثالثة تماما . .

هاكستابل : أعرف . . أعرف (يجد نفسه منتشيا ، فيستأثر بالمحاورة) لقد تراخيت عن العمل يا "توماس"، تراخيت منذ ألمّ بيّ المرض . . كنت متراخ . .

م. هاكستابل: أنت بصحة جيدة الآن يا "هنري"

هاكستابل : هذا ليس الموضوع . . أريد الراحة . . كما تعرفين . . الراحة ، وقتا للقراءة ، للتفكير قليلا .

م، هاكستابل: هراء !! (تضيف بتصحيح) سيعذرني ميجور توماس .

هاكستابل : (عن هوايته) أوه ، حسنا ! . . الإنسان ينبغي أن يخصص . . جانبا من حياته للقراءة

توماس : تمام . . أنجزت معظم قراءاتي في وقت مبكر من حياتي . .

م. هاكستابل: الوقت الطبيعي للقراءة . .

هاكستابل : آه . . محظوظ! من المفترض أنك متعلم . وأنا لم أكن كذلك . حصلت علي الكتب لسنوات طبعات رائعة ، وددت لو رأيت مكتبتي . ولكن أولئك العباقرة يتطلبون أن تستعد لهم لو أن المرء أراد أن يلاحق كما تعرف الفكر في العالم . "ماكولي"، هربرت سبنسر ، تاريخ

الإغريق الذي وضعه "كريت"، كلهم حصلت عليهم في مكتبتي هناك . . (لا يجد استجابة أكثر من ذلك . فتملأ الفراغ السيدة "هاكستابل")

م. هاكستابل: رأيتُ أن العظة كانت مملة هذا الصباح ، أليس كذلك يا "آمي" ؟

م. مدراس : (بشكل غير متوقع) لا ، لم أرها كذلك . .

ميني : (لتأخذ بنصيبها من التسلية) أمي ، كان ينبغي أن يتكلم أحدهم عن هؤلاء الأولاد . . يا له من أمر معيب . لقد تعين أن يستدير السيد "فيفيان" إليهم بالفعل من عزف الأرغن ، أثناء الترتيل الأخير . (تظهر "جوليا" ثانية بعدما غيرت ثيابها . يلاحظها "هاكستابل")

هاكستابل : آه . . ابنتي جوليا . . الميجور . .

جوليا : (بإباء لا يخلو من عصبية خالصة) لقد تعارفنا يا أبي . .

هاكستابل : (منكسرا بما يكفي) أوه!! معذرة . .

م. هاكستابل: (تستهجن أي ثقة بالنفس ، وتنحدر إلي صورة الآثم ، الذي- لسبب خفي أو بغير سبب علي الإطلاق- لا يستهجنه الآخرون في أغلب الأحيان) أغلقي الباب من

فضلك يا "جوليا"

جوليـــــيا : أنـا آسـفة يـا أمـي (يغلق "فيليب" الباب الجارح ، وتخفي "جولـيا" نفـسها في مقعـد . والحـوار يوشـك أن يـتوقف بـتأثير هـذه المـشاجرة البـسيطة . وأخـيرا تـبذل "كـلارا" جهدا)

كـــــلارا : هل "جيسكا" بخير تام يا فيليب؟

فيلـــــيب : نعم . . شكر كلارا . .

م. هاكستابل: وعزيزتي الصغيرة "ميلدرد" ؟

فيلـــــيب : نعـم . . شـكرًا خـالتي كاتي (مازال التوقف يهدد المحادثة إلي حد بعيد فتحاول "ميني")

مــــــيني : أمازلت تحب لها هذه المدرسة؟

فيلـــــيب : (ببراعة) يبدو أن تحقيق كل إنجاز يمكن شراؤه بالمال . .

م. هاكستابل: (تكتـشف انفـتاحا مـؤكدا) هـل كـنت بعـيدا خلال هذا الصيف يا ميجور "توماس" ؟

تــــوماس : (علـي نحـو مـبهم ، يـبدو مـربوط اللـسان بشكل مؤثر عاطفيا) أوه . . نعم . .

فيليب : أنا وتومي وجسكا قضينا الأجازة ، متجولين بالسيارة في ميونخ ، ومنها إلي الأوبرا . .

م. هاكستابل: وهل كانت ممتعة؟

فيليب : جدا . .

م. هاكستابل: وأين كانت الصغيرة "ميلدرد" ؟

فيليب : مع خالتها أغلب الوقت . . أخت "جيسكا" غير الشقيقة كما تعرفين . .

ميني : السيدة آمز؟

فيليب : نعم . .

م. هاكستابل: (ببراءة ، وإن تكن متكبرة بصدق) يناسبها تماما . .

هاكستابل : كقاعدة . . . نأخذ بيتا في "ويموث" .

م. هاكستابل: هل تعرف "ويموث" ، ميجور توماس؟

توماس : لا ، لا أعرفها . .

م. هاكستابل: اعتاد جورج الثالث أن يقيم هناك ، ولكنه فندق حاليا . .

هاكـــستابل : احتفظ بمدخراتك في البلاد ، كما تعرف . .

م. هاكستابل: أوه . . هـناك كـل مـا يمكـن أن يحـتاجه المرء في "ويموث" (ولكـن حتـى هذا الموضوع ينقطع) أعرف أنك تفكرين أكثر في "بوجنور"، يا آمي . .

م. مـــــدراس : لأعـيش فـيها يـا "كاثـرين" لا أكثـر . (لقـد بذلـوا آخـر جهـودهم ، ولكن المحادثة ماتت . يشعر "هاكستابل" بعدم ارتياح مادي فجأة)

هاكـــستابل : سأغير معطفي . .

فيلـــــــيب : أعتقد أننا ينبغي أن ننصرف . .

هاكـــستابل : لا . . لا . . لا . . ! لـن أسـتغرق دقـيقة . . لا تـنـصرفوا يـا فيلـيب ، هـنا رفـاق ممتازون . . (يتركهم ويلاحظ أن محادثـة "هاكـستابل"، تتكون أساسا من أسئلة . بعد برهة يسقط الزوار في العادة نفسها أيضا)

فيلـــــــيب : وهـل تحـبين هـذا البـيت يـا "كـلارا"، أفضل من البيت القديم؟

كـــــــلارا : يحتوي كما تعرف غرفا أكثر

م. هاكستابل: هل تعيش في لندن ، ميجور توماس؟

تـــــــوماس : لا ، أعـيش في "وكـنج"، أذهـب إلـيها وأعـود مـنها كل يوم . أظن أن البلدة أفضل للأطفال

م. هاكستابل: ليسَ مكانا مفرحا ، أليس كذلك؟

تـــــــوماس : أوه! . . مفرح جدا . .

م. هاكستابل: اعتقدت أنه ليس كذلك لسبب ما . .

إيمـــــــــا : بسبب المقبرة يا أمي

م. هاكستابل: (تقبل الاقتراح بإباء) ربما

كـــــــلارا : وبالطـبع هـناك حديقـة فـسيحة جـدا . . لدينا حديقة في البيت المجاور رائعة . .

جـــــــين : ليس كل حديقة البيت المجاور

كـــــــلارا : حـسنا ، أغلـبها . . (هـذا لاخـتلاف المـثير في الـرأي ، يأخـذهم إلـي الـشرفة ، ويتـبعهم فيلـيب ، وجولـيا تتبع فيليب . وتغادر "ميني" لتغيير ثيابها)

جولـــــــيا : أرأيـت كـيف يـبدو قـصر الكريـستال قـريبا؟ هـذا يعني المطر . .

فيليب : طبعا . . يمكنك رؤية قصر الكريستال .

م. هاكستابل: جوليا . . ألا تعتقدين أنك قد تصابين بالبرد في الشرفة بدون القبعة؟

جوليا : (وديعة، ولكن أمام الزائر، وتقرر) لا أعتقد ذلك يا أمي . .

م. هاكستابل: (تستدير، نحو الرائد "توماس"، بأدب إضافي) نعم اعتدنا ألا نعيش بعيدا عن التل لفترة طويلة . . لقد كان بالتأكيد بيتا أصغر .

فيليب : (فيليب في الشرفة، يتلقى مزيدا من المعلومات) ذلك بيت "روسكين"، أليس كذلك؟ نعم إنني أرى أوعية المدخنة

م. هاكستابل: ما كان ينبغي أن أنتقل، أنا نفسي، ولكن غلبت علي أمري . .

إيما : أمي . . كبرنا عن "هوليبنك".

م. هاكستابل: غلبت علي أمري . . ولكن تجري الأمور علي غير ما تعودنا إلي جد كبير، ولست أأيد ذلك

تـــــوماس : بالطبع عائلة الإنسان تكبر . .

م. هاكستابل: الناس تبدد أموالها في هذه الأيام . أتذكر أن سياسة أبي كانت أن يعيش علي نصف دخله . علي أية حال ، لقد خسر الجزء الأكبر من ثروته بالاستثمارات غير الحكيمة في البداية . أعتقد أنها كانت كذلك . كنت في المدرسة وقتئذ ، في "بريجتون" . وقد علمني أكثر مما يطيق عمري . (في هذه اللحظة تندفع "كلارا" من الغرفة الزجاجية ، إذ حدث شيء)

كـــــلارا : جين . . لقد ظهر "الأجابنثوس"[1] ، أخيرا

جــــــين : أوه !! (يتزاحمان ليريا النبات ، ويندفع فيليب للداخل أيضا ، ولا تتحرك السيدة "هاكستابل")

م. هاكستبل: قيل لنا إن الأغنياء فخاخ صيد يا ميجور توماس

تـــــوماس : هذا أمر دائما ما كنت أجد من السهل تجنبه ، يا سيدة "هاكستابل" .

م. هاكستابل: (تتجاهل النكتة ، التي لم تكن تتوقعها في الحقيقة في مثل

(١) "Agapanthus" نبات جنوب افريقي ، من عائلة الزنبق ، وله زهور زرقاء علي شكل قمع ، تنمو في عناقيد دائرية .

هذا الموضوع) ولاحظت أن تملك الأغنياء نادرا ما يطور شخصية الناس في مراحل حياتي . إنني أجهل طبعا شئون زوجي . . هذا ما يمكن قوله ، إنني أحتفظ بجهلي بقدر ما يمكن . . ولكنها رغبتي أن نظام عائلتنا ينبغي أن يبقي كما كان حين تزوجنا في البداية .

توماس : (يجهض تثاؤبه) تمام . . هكذا بالضبط . .

م. هاكستابل: (تأخذ نفسا) عائلة البنات . . يا ميجور توماس . .

إيما : (معذبة قليلا) أمي . . !

م. هاكستابل: ما لك ، إيما؟

إيما : (تراجع نفسها ، وتتجه لتنضم إلي حفل "الأجابنثوس") لا شيء يا أمي . . معذرة . .

م. هاكستابل: (تلتقط أنفاسها ثانية) ماذا كنا نقول . . ؟

توماس : (مستسلما للأدب) عائلة البنات

م. هاكستابل: نعم . . هل كنت في الحرب؟ (المباغتة المتميزة بهذا السؤال ، وإن تكن غير قابلة للفهم توقظ الميجور قليلا)

توماس : نعم كنت في الحرب

م. هاكستابل: رأيت دائما أن الناس ينظرون بشكل مختلف للحياة العائلية ، عمّ اعتادوه . ولا يبدو أن الرجل مستعد للزواج ومساندة زوجة وعائلة ، بخبراته الهشة . أعتبر ذلك مثيرا للشفقة

تـــــوماس : (قريبا من تثاؤب آخر) تمام . . تمام . .

م. هاكستابل: طالما قررت أن البنات ينبغي أن يخترن لأنفسهن فقط ، فذلك ما يضمن سعادتهن . أي رجل محترم مؤهل ممن يزورونا باستمرار ، يخضع بحساسية للفهم ، حيث لا يحتاج أن يتوقع شيئا من السيد "هاكستابل"، أكثر من موافقته . قلت إنك متزوج فيما أعتقد يا ميجور "توماس" (هذا يوقظه تماما ، مع أن السيدة هاكستابل بريئة فعلا من توريطه)

تـــــوماس : نعم . . أوه!! عزيزتي . . نعم . .

م. هاكستابل: وعندك عائلة؟

تـــــوماس : أربعة أطفال . . أصغرهم لديه ثلاثة سنوات فقط

م. هاكستابل: حبيبي الجميل! .

تـــــوماس : لا ، المتسول الصغير القبيح ، ولكن له شخصية . .

م. هاكستابل: ينبغـي أن أغير ثيابي قبل العشاء . ستعذرني . إن لم يكن المرء حريصا علي نفسه . .

تـــــوماس : تمام . . تمام . .

م. هاكستابل: ألا نستطيع إقناعك بالانضمام إلينا؟

تـــــوماس : شـكرا جـزيلا . . ولكن يجب أن نقابل السيدة "فيليب"، علي الغذاء في المدينة في الثانية

م. هاكستابل: أنـا آسـفة . . (توماس يفتح لها الباب بانحناءته الأفضل، بيـنما تـرحل بـرقة، شـاعرة أنها أثارت إعجابه إلي حد بعـيد . "كـلارا" التي كانت تغير ثيابها تعبر الغرفة ويتبعها فيليب من الشرفة، وتقول له)

كـــــلارا : سـأخبر أبـي يـا فيلـيب، سأصـعد إليه في الدور العلوي (يفـتح لهـا "تـوماس" الـباب، بانحـناءة ملائمـة، ويتنهد مستديرا إلي "فيليب")

تـــــوماس : فيليب، كان لابد أن ننصرف

فيلـــــيب : انتظر حتى تري عمي ثانية .

تـــــوماس : بكل سرور . .

(يـصعّد تنهـيدة أخرى ، ويجلس . طوال هذا الوقت كان هـناك الـسيدة "مـدراس "علي أريكتها ، صامتة ، ومنسية مـثل أي قطعـة أثـاث أخـرى لا حـاجـة إلـيها في الوقت الحالـي . يـذهب إلـيها "فيلـيب "الآن ، وحـين ترد عليه تبدو هامدة)

فيلـــــــيب : كم مكثت في المدينة يا أمي ؟

م. مـــــدراس : كنت هنا من أسبوعين ، وعموما أقضي ثلاثة أسابيع .

فيلـــــــيب : كانـت "جيـسكا "تـنوي أن تدعـوك إلي حدائق "فيلمور " مرة أخرى .

م. مـــــدراس : حقا ؟

فيلـــــــيب : (بقلـيل مـن الـشعور بالـذنب) وقـتها مشغول جدا . . . بشيء أو بآخر

م. مـــــدراس : (تستفز حواسها فجأة) أريد أن أرى أباك يا فيليب

فيلـــــــيب : (في شك) لن يبقى هنا طويلا يا أمي

م. مـــــدراس : لا ، واثقـة أنـه لن يبقى . . (بثلاثة خطوات واسعة وتنم عن الذوق واللياقة ، يدفع توماس بنفسه إلي الشرفة)

فيلــــــــيب : "تومي "لبق . . ! حسنا . . سأقول له إنك تودين أن تريه

م. مـــــدراس : لا . . أرجـوك لا تفعـل . قـل لـه إنني أعتقد أنه يجب أن يأتي ويراني . .

فيلــــــــيب : لن يأتي يا أمي . .

م. مـــــدراس : لا ، أعـرف أنـه لـن يأتـي . . جاء انجلترا في مايو ، أليس كـذلك؟ ، وبقـي هنا حتى يوليو ، أليس كذلك؟ هل من الكثير أن يبعث إليّ برسالة؟

فيلــــــــيب : (بصبر قاس) لا ، يا أمي . .

م. مـــــدراس : ماذا كان يفعل كل هذه المدة يا فيليب؟

فيلــــــــيب : لم أره كـثيرا . إنـني حقـيقة لا أدري مـا الذي أعاده علي الإطـلاق . كـان يمكـنـا إنجاز هذه الصفقة بدونه ، وعلي أيـة حـال لم تـتحقق حتـى الآن . ولعـل هـذا السبب في مـروره علـي انجلـترا مـرة أخـرى . ولا أعـتقد أن هناك الكثير لتكسبيه برؤيتك له ، كما تعرفين .

م. مـــــدراس : أنـت قاسـي القلب يا فيليب! (لما كان ذلك حقيقيا ، فإن فيليب يستاء منه قليلا)

فيلــــــــيب : أمـي العزيـزة ، أنـت وأبي انفصلتما منذ . . منذ متي كان

الانفصال؟

م. مـــــدراس : (بإكـراه باهـت) أنـا مازلـت زوجـته . . هذا ما يجب أن أتمـناه . لقـد ابـتعد عـني منذ كان شابا ولكن لم أنس قط واجـبي . والآن حيث أنه رجل مسن ، واقترف في ماضيه مـثل هـذا الـذنب ، وحـيث أنـني امـرأة مسنة ، فمازلت مـستعدة لأن أكون سلواه في سنوات تدهوره والحق أنني يجـب أن أرتـضي أن أخـبره بهـذا . ولا يجـب أن تـترك زوجتك تضعك في مواجهة أمك ، أنت يا فيليب .

فيلــــــيب : (متحيرا) حقا!

م. مـــــدراس : أعـرف كـيف تفكـر فيّ "جيسكا . "جيسكا " ماهرة وذكية جدا ، ولا صبر لديها مع الناس الذين يبذلون فقط ما في وسـعهم ليكونوا طيبين . . . أفهم ذلك . حسنا! . . ليس مـن واجـبها أن تحبني . . علي الأقل قد لا يكون واجبها أن تحـب أم زوجهـا . . أو ربما . . لست أقول إنه ممكن . ولكنه واجبك أنت . . أحيانا أظن يا فيليب أنك لا تحبني أكثـر ، ومـع ذلـك تخـشي أن تقولها . . (الالتماس ينتهي بـشكل مـثير للـتعاطف ، حـيث يـصبح فيلـيب مـراوغا

بلطف)

فيليب : إن لم أكن أحبك يا أمي العزيزة ، ينبغي أن أخشي من قولها . .

م. مدراس : متي ستري أباك؟

فيليب : طلبنا منه أن نلتقي علي العشاء مساء الغد (عند هذه اللحظة تدخل "إيما" بحيوية جد مزعجة لأعصاب السيدة "مدراس" المرهفة ، فتستدير إليها)

م. مدراس : "إيما"، لما تدخلين واثبة بهذا الشكل ، بينما أحاول أن أتبادل كلمة خاصة مع فيليب؟

إيما : غرفة الاستقبال ، يا عمة "آمي"، لكل إنسان بالفعل . .

م. مدراس : لا أعرف بصدق لماذا آتي وأبقي هنا علي الإطلاق . إنني أكره أمك بشدة . .

إيما : إذن بالله عليك لا تقلي لي هذا . . لا رغبة عندي أن أكون قليلة الأدب معك .

فيليب : (بهدوء) "إيما" . . أعتقد أن عمي "هنري"، ينبغي أن يحضر اجتماع الغد . .

م. مدراس : (تبدأ البكاء) طبعا لابد . . من هو ، ليستمر علي هذا النحو مع "قسطنطين"! منديلي في الطابق العلوي

إيما : (بما لا يخلو من توبة) سأحضره لك يا عمة "آمي" ؟

م. مدراس : لا ، لن أكون عبئا علي أحد

(تتراجع جريحة . "فيليب" يستمر هادئا بقصد)

فيليب : المثير أن عمي فعلا يريد حضور الاجتماع .

إيما : أنا آسفة . . كنت وقحة . . ولكنها تثير أعصابنا كما تعرف . .

فيليب : لماذا تدعونها؟

إيما : (بمرح شديد معه) أوه . . كلنا مغرمون جدا بالعمة "آمي"، وعلي كلٍ ، أمي تعتقد أنه واجبنا . ومع ذلك لا أري كيف يمكنها أن تستمتع بالحضور . . إنها لا تخرج لأي مكان ولا تنضم أبدا لأي حوار . . فقط تجلس لتعني بنفسها .

فيليب : (بسخرية تقريبا) كلكم طيبون جدا يا إيما

إيما : نعم . سمعت أنك مازحت "جوليا" في الشرفة

الـزجاجية . ولكـن إذا توقـف المـرء عـن القيام بواجبه ، لكـم سـينقلب العـالم رأسـا علـي عقب . (صوتها يتخذ الآن تلـك النـبرة الـتي تحـل بـشكل جـيد مكـان الغمز) أقـول . . من المفترض ، أنني ما كان يجب أن أحدثك عن "جولـيا"، ولكـنها دعابة إلي حد كبير . تعرف . . "جوليا"، تصبح هستيرية أحيانا ، حين تعاني من الصداع . .

فيلـــــــيب : صحيح؟

إيمــــــــا : حـسنا! ياقـة قمـيص تخـص "لـويس ولـر"، رجعت من المغـسلة مـن باب الخطأ بدلا من واحدة لأبي . لا أعتقد أنه يقيم قريبا من هنا ، ولكنه صاحب واحدة من محلات الغـسل والكي البخارية الكبرى . وعثر عليها "مورجان" الطـباخ ، وأعطاهـا إلـي "جولـيا" . . . "جوليا" احتفظت بهـا . وحـين اكتـشفتها أمي ، ظلت تصرخ طول النهار . قالـت إن هـذا يكـشف عـن عقل طائش . (وجه فيليب الساخر ، يصبح متجهما)

فيلـــــــيب : لا أعتقد أن هذا الأمر مسلٍ يا "إيما"

إيمــــــــا : (بدهشة صادقة) لا تعتقد؟

فيلـــــــيب : كم عمر "جوليا" ؟

إيمـــــــــا : أربعة وثلاثون (وجهها يتجهم أيضا) لا . . إنه أمر مخيف إلـي حـد بعيد ، أليس كذلك؟ (ثم تقطب جبينها كما لو كانـت متحيرة) إنه لا يليق تماما بواحدة تريد أن تتزوج . أعتقد أن أمي علي حق بهذا الشأن . .

فيلـــــــيب : أي شأن؟

إيمـــــــــا : حسنا! . . في وقـت مـا تقدم رجل محترم لخطبة "جين" . وقالـت أمـي إن الأمر قد يكون مرعبا جدا لو أن الرجل تحـدث إلـي أبـي أولا ، وأن "جـين "كانـت الأصـغر ، وصـغيرة جـدا لنعـرف رأيهـا الشخصي . حسنا ، تعرف أنهـا في الـسادسة والعـشرين . وبعـد ذلـك سمعـوا عن شـيء كـان قـد فعله ذات مرة . . ووضع له حدا . كانت "جين" متمردة جدا ، وأمي بكت . .

فيلـــــــيب : وهل تبكي دائما؟

إيمـــــــــا : نعـم . . تبكـي ، لـو كانـت منزعجة بشأننا . وأعتقد أنها كانـت علـي حق . لا ينبغي أن يغامر المرء ليصبح تعيسا في الحياة ، أليس كذلك؟

فيليب : وهل كلكم سعداء الآن ، إذن؟

إيما : أوه ، بكل تأكيد . أعتقد أننا سعداء . ينبغي أن نكون ، ومن الجحود ألا نكون سعداء . . متى كان للمرء بيت جيد ، و . . ! ولكن بالطبع نعيش معا ، نخرج معا ، ونكون معا كل الوقت ، والمرء قد يكون عصبيا من حين لآخر . وأظن أن هذا سبب جلوسنا صامتين كالديدان حين يكون عندنا ضيوف ، إننا نخشى الشجار والخصام .

فيليب : وهل تتخاصمون؟

إيما : ليس كما تعودنا . تعرف . . حتى نتحرك داخل هذا البيت ، لدينا فقط غرفتي نوم بيننا ، ملعب الطفولة ، وملعب الطفولة الليلي القديم . والآن لكل من "لورا" و "ميني"، واحدة ، وهناك واحدة نأخذها بالتناوب . . لم يكن ثمة بيت أكبر نحصل عليه هنا ، أو استطعنا أن نحصل عليه فيما أعتقد . لقد كرهوا فكرة الانتقال بعيدا . ومن الغريب إلي حد ما أن أبي - كما تعرف - يخشى فيما يبدو أن ينفق المال ، ومع ذلك لا بد وأنه يحصل علي الكثير . ويقول ، إذا أعطانا أكثر فإننا لا

نعرف ماذا نفعل به . . وطبعا هذا صحيح .

فيلـــــــيب : ولكن أي وظائف لكن أنتن البنات؟

إيمـــــــــا : إنـنا دائمـا مـشغولات . أعـني أن هـناك الكثير لنفعله في البـيت ، والدعوات ، والدروس ، والاحتياجات . "جوليا" اعـتادت الرسـم بشكل جيد تماما . لا ينبغي أن تظن أنني أتذمـر يـا فيلـيب . . أعرف أنني أتكلم كثيرا جدا ، قالوا لي ذلك . .

فيلـــــــيب : (معلقا بسؤال نصف جاد) ولماذا لا تهربون أنتن الست ، أو لنقل خمسة منكن؟

إيمـــــــــا : (مفتوحة العينين) نهرب!

فيلـــــــيب : (وكأنها يفهّمها) خارج البيت . .

إيمـــــــــا : (بعين أكثر اتساعا) إلي أين؟

فيلـــــــيب : (بتنهيدة إليها) آه! . . هذه هي المسألة . .

إيمـــــــــا : كـيف للمـرء أن يفعلـها . . ! وهـذا قـد يزعجهم بشكل مخيـف . أبـي وأمـي لا يدركون أن واحدة منا تشعر بمثل هذه الرغبة في أي وقت . . سيحزنون جدا

فيليب : (يستدير إليها بتورية لطيفة) "إيما". . الناس كانوا يضايقون أباك في الدكان مؤخرا بعوائق ومشكلات المعيشة في النظام، لماذا لا تسألونه أن يعيد النظر في البيت من أجلهم؟

(يعود السيد "هاكستابل" مستريحا في سترة. يربت علي كتف ابنته بمودة)

هاكستابل : انصرفي الآن يا "جين". . أعني يا "إيما"، أريد أن أنفرد بكلمة مع ابن عمك . .

إيما : حاضر يا أبي . . ("إيما" تختفي في طاعة، وفيليب يرمق عمه جانبا)

فيليب : وأنا انتهيت كما طلبت مني .

هاكستابل : لم أطلب منك

فيليب : ألحت . .

هاكستابل : (بخجل تقريبا) هل ألحت؟ لا أكاد أذكر . .

فيليب : ولكن ينبغي أن تسرع وتتخذ قرارا بشأن اجتماع الغد . أنا وتوماس يجب أن نرحل .

هاكــــستابل : "فيليب" . . يخيل إلي أنك تتكالب علي البيع . .

فيلـــــــيب : تمام . .

هاكــــستابل : مازلت صغيرا ، وبيت "مدراس"، لا يعني لك شيئا

فيلـــــــيب : (بجفاء) لا شيء لا يقبل البيع يا عمي . .

هاكــــستابل : حـسنا ! . . حـسنا ! ، حسنا ! (ثم في هياج مكتوم) حسنا . دقـيقة واحـدة يا بنيّ ، قبل أن تنزل خالتك . . لقد كانت ورائـي في الـدور العلـوي ، كمـا تعـرف . . ! . لابد وأن تفعـل شـيئا مـن أجلي غدا مثل زميل طيب ، في الدكان صـباحا (يـصبح فجـأة مـنذرا) هل سمعت بشأن الآنسة "ياتيس"، حتى الآن ؟

فيلـــــــيب : لا . .

هاكــــستابل : مشين ! . . مشين !

فيلـــــــيب : تقـدمت بـشكل رائـع في فـرع شـارع "بـوند" . . تعلمت المعاملة اللائقة . . . تراجعت لبضعة أسابيع فقط .

هاكــــستابل : (ينخـر باسـتهزاء) تعلمــت المعاملــة اللائقــة ! (يلمـح "تـوماس" في الـشرفة ، فيحـيه) أوه !! تعـالى أيهـا الـرائد توماس . (يخفض صوته بتوجس) أغلق النافذة بنفسك ،

لا نريد أن تسمعنا النساء . (يغلق "توماس" النافذة ، ويهيئ السيد "هاكستابل" نفسه للمتعة المشينة بإعلان الفضيحة) أقول لك يا بني ، فوق في مكانك . . بلغني أنها كانت مع واحد من الزملاء . . أحد زملاء نادي الطرف الغربي . . أظن . . ووضعها في . . حسنا ، أقول لك ! وسيعذرني الرائد توماس . . ليست فتاة غضة ، فاهم ! . ولكن الاستعمال الأول في غرفة ثيابنا . كنا سنجعل منها مشتريا ، وكل شيء !

فيليب : (مقطبا من الأخبار ومن أسلوب عمه في إعلانها) وماذا تريدني أن أفعل ؟

هاكستابل : (أكثر نذيرا مما كان) انتظر . ليس هذا أسوأ ما في الموضوع . تعرف "بريجستوك"

فيليب : وهل أعرفه ؟

هاكستابل : أوه ، نعم . . الرجل الثالث في قسم الجوارب والثياب الداخلية . .

فيليب : صحيح . .

هاكستابل : حسنا . . من أكثر من أسبوع مضي ، يبدو أن الآنسة

"شانسلر" ضبطتهما يقبل أحدهما الآخر .

فيلـــــــيب : (وقـد تـصاعد نفـاد صبره من أسلوب العرض) ضبطت من يقبل من؟

هاكـــستابل : أعـرف أن المسألة غـير واضـحة . لـنعد إلـي البداية . . وسيعذرني الرائد "توماس" .

تـــــــوماس : (مبديا الإحساس الأصح) ليس علي الإطلاق .

هاكـــستابل : عـصر الأربعـاء ، "ويلوبـي" - وهـو طبيبـنا- يـصعد كالمعـتاد ، الآنـسة "ياتـيس" دخلـت كـي تـراه . الآنـسة "شانـسلر" - وهـي مـشرفة الفـرع ، يـا رائد "توماس" - أصـغت إلـيهما مصادفة تماما ، بحسب قولها . . بعد ذلك اتهمتها بالمسألة . .

فيلـــــــيب : طيش . .

هاكـــستابل : لا ، لا . . واجـبها الواضح . . . إنها تعرف مبدأي بشأن هـذه الأمـور . ولكـن بعـد ذلـك تذكـرتُ أمر التقبيل ، وذلك ما انتشر بين شاباتنا العاملات . واحد غبي هناك ، أتفـق معك . . ولكنك تعرف ماذا تعني هذه الأمور . ثم بلـغ الآنـسة "ياتـيس" . . وانتـشر في كل الفرع . وبعدها

اتضح أن "بريجستوك" رجل متزوج . . متزوج من عامين . سرا عنا . . فاهم! لأنه يعيش في الترويج وعليه ، وكل ما يتبع ذلك . وفي صباح الأمس ، تظهر زوجته في مكتبي ، بحالة هسترية ، وتقول إن زوجها تعرض لافتراء تشويه السمعة .

فيليب : لست أري سببا لأن تقترف الآنسة "ياتيس" ، أي شائنة في أماكن عملنا . الفتاة تبعد عن أبصارنا فقط في نهايات الأسبوع ، وبعدها من المفترض أن نعرف أين تذهب .

هاكستابل : (مازال منتشيا بنفسه بشكل غريزي ، وإن كانت نظرة كئيبة تزحف إليه الآن) حسنا . . سألتها أن تصعد إليّ بالأمس . ولم أدر ما الذي يتوارد علي ذهني . وبختها تماما . . كنت علي حق في كل ما قلت! . . ولكن . . ألم تسمع قط صوتك فجأة يقول شيئا؟ حسنا أنا سمعت ، وبدا كأنه صوت كلب ينبح بأكثر مني . . ورحت أهذي ضاحكا في كل موضع ولذا قلت لها أن تغادر الغرفة . (يبدو مكتئبا وجذابا) يجب أن تواجه المسألة يا فيليب . يجب حلها وتسويتها في الغد . الآنسة "يايتس" يجب أن تعفي ، ولست واثقا إذا كان من الأفضل أن يعفي

"بريجستوك" أيضا . لا نود أن نخسر الآنسة "شانسلر"، ولكن إن لم تستطع أن تلجم لسانها طوال عمرها . . حسنا . . من الأفضل أنها . .

فيلـيب : (نافد الصبر) أوه! هراء . . هراء ، يا عمي!

هاكستابل : (شخصيته القديمة غير المتسائلة ، تتبدي للحظة) لا . . لن أقبل هذه الفضائح في المحل . كنا دائما خالين منها . . دائما تقريبا . لا أريد أن أكون قاسيا علي البنت . لو أن رجلا في خدمتنا ، واكتشفته أنت . . عاقب المذنب بالإضافة إلي البريء . . . أنا مع كل هذا . (يستنفد هذا النفس . ويستمر بتأثير إلي "توماس") ولكني لا أدري ما الذي يتوارد ليّ . قبل أن يلم بيّ المرض ، كان يمكنني التحكم في هذا العمل بغمضة عين . ولكن حين ترقد لفترة طويلة في الفراش . . لم أمرض هكذا من قبل . . . لا أدري كيف صار الأمر تظل تفكر ، وتفكر . . والأمور التي اعتدت أن تكون واضحة تماما ، إذا بها لا تبدو جد واضحة . . وفيما بعد ، حين تشرع في أن تفعل أو تقول شيئا اعتدت أن يصدر بشكل طبيعي ، إذا به لا يصدر بشكل طبيعي كما كان . . . وهذا ما ينحيك جانبا

عـن . . . (يقاطعه إعادة ظهور السيدة "هاكستابل"، وقد غطـت رأسـها بقـبعة ذات شـرط مـزين، ومـستعدة للعـشاء . إنها عند درجة الخلاف الذي نشب مع زوجها في الـدور العلـوي، والـذي يـبدو بوضـوح أنـه ثبت في منتصفة)

م. هاكستابل: هـل صـحيح يـا فيلـيب أن عمـك إن لم يحـضر اجـتماع الغـد، فـإن صـفقة العمـل مـع الـسيد . . أوه! نـسيت اسمـه . . . . الـرجل الأمريكي . . الصفقة التي لا أعرف بالطبع شيئا عنها، سينزعج بجدية؟

هاكـــستابل : (منـضما للمعـركة) "كـيتي" . . لا أري سببا يوجب علي الحـضور . لـو أن "قنـسطنطين" اختار أن يظهر . . . فهذا شـأنه وعملـه . . لـست أحـتاج أن أتكلم إليه مباشرة . . هذا ما أقول .

م. هاكستابل: (تقـذف بهـذا الـسهم المخـتار مـن مفـرداتها) تلاعـب، يا هنري!!

هاكـــستابل : لو غادر انجلترا للأبد . .

م، هاكستابل: ولكنك تتصرف كما يحلو لك طبعا .

هاكستابل : (كئيبا مرة أخرى) وأحب أن تكوني مقتنعة .

م. هاكستابل: لا تراوغ يا هنري! . . ها هي أختك تخلي الغرفة . من الأفضل أن نسقط الموضوع . (وفي دخلة السيدة "مدراس"، يحصل السيد "هاكستابل" علي ما يمكن أن يعتبره بشكل أو بآخر، مخرجا كليا)

هاكستابل : والآن . . إذا كانت "آماليا" هنا تعتزم أن تراه . .

م. هاكستابل: هنري!! . . . . . قليلا من التفكير!

هاكستابل : (ينقر علي الحقيقة) حسنا! . . أريد أن أذهب يا "كيتي"، وهذا كل ما يتعلق بالموضوع . وقد أسقطتُ رفضي، نعم . . وأوعزت إلي "فيليب" أن يأتي، ويعاونني بشأنه معك . اعتقدت أنه يمكنه أن يجعله يبدو عملا ملحا . . ولا يمكنه أن يجرح مشاعرك أقل جرح لأنني كنت سأخبرك به فيما بعد، أو ربما تسرب إليك بطريقة ما . حسبي الله!! ها هي دار مدراس، التي أغرقت فيها أموالا كافية خلال السنوات العشر الأخيرة لأبني منه سفينة حربية، تقريبا، سفينة حربية صغيرة . . كما تعرفين . . سيباع، لأن فيليب لن يقف بجانبي، وأبوه لا

يهتم بتفصيلة صغيرة الآن . لا شيء إلا أن "قنسطنطين" - في كل الأحوال- كي يتزوجك يا "أميليا"، تصرف كذوق وملاك كبير، خليط، لثمانية عشر شهرا، وبعد ذلك . . . .

م. هاكستابل: (بأداة الاستهجان أمام الزوار) هنري!

هاكستابل : ليكن . . ليكن! . أنا لن أكون حاضرا هذا الاجتماع، لو سمحت . !(تنحسر الزوبعة)

م. مدراس : ستباع الدار، أليس كذلك؟

فيليب : نعم يا أمي . .

م. مدراس : (إلي أخيها) بدأ بمالي، وبمالك . .

هاكستابل : يستردها . . ولا يستحق ملاحظة

فيليب : نعم يا أمي . . نعرف .

م. مدراس : وإذا كان ذلك كل ما خسرته بسبب "قنسطنطين"، فلست أري أنك علي حق في أن تشعر بكل هذه المرارة ضده .

(مازالت تتجاهل السيد "هاكستابل"، فرحة تماما ثانية،

تستمر بشيء من اللين)

هاكـــستابل : تعـرف يا ميجور "توماس"، أن منذ عشرين سنة مضت، عندما بدأت هذه الدكان في أن تكون حديث لندن، كان معـروفا أن الـدوقات يـذهبن له، بكل النوايا والمقاصد، بـل وتجـثين علـي ركـبهن، ليصمم لهـن ثوبا . وما كان يفعلـــها إلا حـــين يحـــس بالمـــتعة، لا حـــين يرتـــضي شخـصياتهن . . كـان مجتمع الإعلان كله رهن إشارة من إبهامه . .

م. هاكستابل: (من قمة الاحترام) لا شك أنه يعرف شغله . .

هاكـــستابل : (في نـشوة) يعـرف شـغله! . . يعـرف شغله!!، يا بني في الأيـام الخوالـي . . كـان مطلـوبا في كل مكان مثل واحد مـنهم تقـريبا، الأول مـن نـوعه الذي يكسر هذا الحاجز الطبقـي . تعـرف أنـه في اعـتقادي لـو كانـت الـسيدة" جلادسـتون" أصـغر ثلاثين سنة، وامرأة علي الموضة . . لأمكنه أن يحظى بلقب فارس . .

م. هاكستابل: (بوضـوح) كـان زائفـا بالنـسبة إلـي زوجته يا هنري . . (بهـذه الـنقطة يـصبح "هاكـستابل" رجـل أخـلاق مـرة

أخـرى . وهـذه الـتغيرات المفاجـئة ، تـشبهه تمامـا . إنها أصلية ، ولكنه نصف واع فقط بتحولاتها المفاجئة) .

هاكـــستابل : نعم أعرف . . وقد فعلت "آمي" ما كان ينبغي أن تفعله . وكمـا تـرى ، لم تكـن الحالـة عادية يا ميجور "توماس" . كـان ثمـة بـنات في الـدكان ، وبالـرغم من ذلك أخذهم خـارج الـدكان . وهذه وصمة علي التجارة كلها . رجل في مثل مركزه . . . لا يمكن أن تتغافل ذلك .

م. مـــــدراس : (مـؤكدة نفـسها علي نحو شاحب) كان يمكنني أن أتغافل ذلك لو أنني اخترت . .

فيلــــــــيب : (وقـد رأي أن كـل أولـئك عقـيم ويتـسم بالحمـق) أمي العزيـزة ، كنت تعيسة مع أبي ، وقد تخليت عنه . . الأمر كان جد بسيط . .

م. مـــــدراس :. عفوا فيليب . . لم أكن تعيسة معه . .

م. هاكستابل: آمـي . . كـيف يمكـن أن تكونـي سعيدة مع رجل لم يكن مخلـصا لـك؟ يـا للهراء!! ("جين" و "جوليا" من الشرفة يجـدان أن الـنافذة مغلقـة ، ينقران بأظفار أصابعهم علي الـزجاج . حـدة الـصوت تنـبه الـسيد "هاكـستابل" مـرة

أخرى)

هاكستابل : لا . . لا . . لا يمكن أن تدخلا (يبدي حركة من فمه لهما عبر النافذة) لا يمكن أن تدخلا ("جين" ترد بحركة من فمها) ماذا؟ (ثم يتوارد إليه المغزى ، فينظر إلي ساعته) لا ، ليست هي . . دقيقتان حتى الآن(ويستدير بعدما يخرج عقله البريء من هذه المناقشة غير المناسبة . ولكن في هذه اللحظة نفسها تدخل "لورا" من الباب ، فيتبدد صبره) أوه! اللعنة . . حسنا . . معذرة!(ثم في تأدب يائس) اسمح ليّ أن أقدم ابنتي "لورا"، الميجور "توماس"

لورا : (تستجمع نفسها) لقد تقابلنا يا أبي . .

هاكستابل : (معطيا إشارة بالصعود) حسنا! . . كيف أتكلم . . وهناك الكثير منكن!!

م. هاكستابل: (بجدة) أعتقد يا هنري ، من الأفضل أن تذهب إلي اجتماع الغد . .

هاكستابل : (مكتئبا للحظة) تعتقدين أنني يجب أن أذهب؟

م. هاكستابل: تعرف أنه لا يجب عليك . .

هاكستابل : (يواجهها برجولة) لا . . لا أعرف ، أنه لا يجب عليّ . .

ليس من السهل معرفة ما يجب وما لا يجب ، كما تقولين دائما يا "كيتي". أتصور أنني لا بد وأن أفعل شيئا خاطئا ولو مرة ، وأري ما يمكن أن يحدث . .

م. هاكستابل: هنري ، لا تقل مثل هذه الأمور .

هاكستابل : (بشكل متعقل إلي "توماس") حسنا . . منذ أن ألمّ بي المرض . . (ولكن في هذه اللحظة تدخل "إيما"، و"ميني"، وتجد "جين"، و"جوليا" أن منفاهم غير معقول إلي حد ما ، يطرقان بشدة علي النافذة ، والسيد "هاكستابل" يعطي إشارة ثانية بالصعود)

م. هاكستابل: أوه! ، دعهم يدخلون يا فيليب . . هنالك رفيق جيد!!

توماس : اسمحوا ليّ (ويتقدم ليفتح لهن)

إيما : (بهشاشة) أوه!! . . ما الذي كان يجري؟

م. هاكستابل: لا عليك يا إيما . . (تقولها إلي "إيما"، كما كانت تقولها لطفلة في الرابعة ، وفي هذه الأثناء يتعافى "هاكستابل")

هاكستابل : أتعرف يا ميجور "توماس" إن "قنسطنطين" أمكنه دائما أن يفوز عليّ في الصغائر ("جين" تلمح "ميني"، وبغلظة تعبر عرض الغرفة ، تعلن مأساة)

جـــــــين : "ميني" . . ضفدعتك ماتت . . في الغرفة الزجاجية . .

مـــــــيني : (شاحبة) أوه . . عزيزتي !!

هاكـــستابل : وبعـد الخلاف بـدأت أكـتب إلـيه بصفته السيد العزيز ، وإلـي هـذا الـيوم يرسل خطابات عمل إليّ تبدأ بعزيزي هنري!! ("ميني" تهرع إلي غرفة الموت الزجاجية)

جـــــــين : أنا دفنته . .

هاكـــستابل : بـراحته دائمـا . . كمـا تعـرف . . (يهرب منه "توماس". ينحني "فيليب" علي أمه ، بشكل أكثر عطفا)

فيلـــــــيب : سـأحاول أن أراك مـرة ثانية قبل أن تعودي إلي "بوجنور" ، يا أمي . (في هذه اللحظة يدق جرس . جرس هائل تحبه الطـبقة الوسـطي الإنجليـزية الـتي تقيم بيوتا تبدو صغيرة صـوت أجـوف ، يطـن في بطـنه الفارغـة . "جين" التي لم تـبدل ثـيابها بعـد ، تعلن صوتا ملتاعا خفيفا وتندفع نحو الـباب ، وتــصطدم مــع "كــلارا" المهــندمة . الــسيدة "هاكستابل" تهز إصبعها)

م.هاكستابل: تأخير مرة أخرى ، يا "جين" . .

فيلـــــــيب : سنرحل يا خالتي "كاثرين" . .

م. هاكستابل: (بإنسانية عامة لم تبدها من قبل) فيليب . . لا تظن أبدا أنني أنتوي أن أكون منصفة بشأن أبيك . ولكنه جعل أمك جد تعسة ، حين كنت صغيرا جدا لتعرف شيئا عن ظلمه لها . . وهناك مثال للآخرين ، أليس كذلك؟

فيليب : نعم ، بالطبع . . خالة كاتي . أعرف بالضبط شعورك نحو هذه المسألة . . . ولا أنا مغرمٌ به . (لابد وأن فيليب مستاء قليلا ، وترد بالعودة فورا إلي تكوينها الظاهر ثانية)

م. هاكستابل: ولدي العزيز . . وأبوك !(من الشرفة ، تسمع إشارة تسلية "جوليا" مع الرائد "توماس" . كلاهما كان يحدق في الأفق)

جوليا : نعم ، الجو ينذر بالمطر . . عندما تري السماء صافية علي هذا النحو .

(رسائل الاستئذان للرحيل تبدأ الآن)

فيليب : أراك غدا عمي "هنري" . .

هاكستابل : نعم ، أعتقد ذلك . . أوه . . وفيما يتعلق بالمسألة الأخرى . .

فيليب : ماذا يمكنني أن أفعل؟

هاكستابل : سأتصل بك تلفونيا في الصباح . .

فيليب : إلي اللقاء يا أمي . .

توماس : إلي اللقاء مدام "هاكستابل" . .

م.هاكستابل: (بإنعاش نهائي للياقة والأدب) أمل أن تغفر هذه المناقشة العائلية ، ميجور توماس . ستحدث أحيانا . .

توماس : كنت مستمتعا جدا . . ("ميني" تعود حزينة من مقبرة الضفدع)

فيليب : إلي اللقاء "كلارا"

كلارا : إلي اللقاء يا فيليب . .

هاكستابل : ألن تبقي حقا للعشاء . . ؟

فيليب : إلي اللقاء يا لورا . .

تـــــوماس : شكرا جزيلا . . لا ، نلتقي في الغد (الرسائل العامة تتسارع ، والجوقة تبدو مضطربة)

لـــــورا : إلي اللقاء . .

تـــــوماس : إلي اللقاء . .

جـــــين : إلي اللقاء . .

تـــــوماس : إلي اللقاء . .

فيلـــــيب : إلي اللقاء "إيما" . . . أوه ، معذرة . . (هنالك اضطراب الأيدي المتقاطعة . انسحابات ، أعذار . . دوس علي أصابع الأقدام . . مزيد من الاعتذارات)

إيمـــــا : مع السلامة رائد توماس

فيلـــــيب : والآن مع السلامة يا إيما . .

تـــــوماس : بالسلامة مدام مدراس . .

فيلـــــيب : مع السلامة . .

تـــــوماس : مع السلامة (تستمر جوقة الرسائل العامة حتى يهرب كل من "فيليب"، و"توماس"، إلي مركباتهم وغذائهم ، بينما تجلس عائلة "هاكستابل" بكل مراسيم عشاء يوم

الأحـد: لحـم بقـري مـشوي ، نبات فجل الخيل ، حلوى يوركـشاير ، بطاطـا ، كـرنب بروكـسيل الـصغير ، فطيرة تفاح ، مهلبية ، كريم ، جبن وحلوي)

* * * * *

(الفصل الثاني)

(مكاتب عمل مؤسسة "روبرت"، و"هاكستابل"، وقد تجمعت في الدور الأول، في مكان ما خلف بيت الأزياء الكبرى. غرفة الانتظار.. الغرفة التي يجلس فيها موظف برجفة الإعداد لاجتماعات رب العمل.. بجانب هذا المشهد الصامت الأكثر بؤسا من أي مكان علي الأرض، هي واحدة من أقبح الغرف التي يمكن أن تطرأ علي عقل البناء والمقاول. أربعة حوائط من الطوب أو الجص، ومقاعد تحيط بها، جعلت منها غرفة انتظار خالصة وبسيطة. ولكن يد صانع المال القبيحة كانت فوقها. أما شخصية المقاول، فقد طبعت علي الغرفة التعسة- خلافا لكل الأخريات- كل ما يمكن يغفر سعره ويخفي ربحه. فإذا بدأنا بالحوائط، كانت من الأخضر المخلوط غير الكريه، ولكن قد تبدو بسيطة ورخيصة، وقد أضيف إليها إفريز من اللون الحجري اللطيف، وتوِّجت بكتابة علي أحد الأنماط الإغريقية بالأحمر القذر.

والمدفأة مصممة- فيما يبدو- لتستنزف كمية العمل القصوي الممكنة من الولد التعس الذي ينظفها، وهو نفسه مستخلص من منافسة رصت بشكل جيد السواد. أما رف المدفأة، فخبير فقط في مثل هذه الفظاعة يعرف مما صنع، ولكنه يدَّعي- بمعاونة قفزات دودية الشكل من الدهان- أنه من الرخام الأسمر. قد توحي بالارتياح كثيرا، ولكنها مهينة للكرامة جدا، وينبغي تنظيفها، ولكن لا يحدث عادة.

الخطوط المربعة للنافذتين الطويلتين، التي تطل علي أعمدة تهوية من طوب المرافق الصحية، أفسدها بعناية ألواح الزجاج العلوية التي اتخذت شكلا بيضاويا. الباب نصف الزجاجي الذي يفتح من الممر، يتخذ شكلا خاطئا، والباب المبطن بالجوخ الذي يفضي إلي غرفة "فيليب"،

يتخذ لونا خاطئا .

وبعد ذلك يأتي التأثيث! تلك الكراسي الصفراء المنجدة بقطيفة قطنية من لون لحم الإوز الأحمر ، وتلك الأريكة ذات الظهر من القطيفة وضعت بين النوافذ معرضة لتيارات الهواء . وهناك منضدة مكتب معقولة في منتصف الغرفة . وعلي الحوائط ، أولا: صور فوتوغرافية للسيد "روبرت" و "هاكستابل" . "روبرت" رجل من "ويلز" ، ويشبه أهلها ، لا كتاجر أقمشة ناجح في لندن ، ولكن بما له من سماتهم . وهناك صورة مثالية أيضا للمباني ، وإن تكن فعليا تخطيط إعلاني عنهم . وهناك لوحة زى عمرها عشر سنوات: عشرون سيدة مكتملات تعنين بوظائف ملائمة للمرأة ، أو هادئات يفتقرن لأي منها . وهناك تقويم ضمان ، يعد الشيء الوحيد الذي ينتمي للجمال بالغرفة . وعلي رف المدفأة يقبع دليل لندن ، القطعة الوحيدة باللون الحقيقي . ويد صانع المال التي انتزعت من النمط الإغريقي المنحرف علي الحائط ، استقرت أيضا علي الأربعة الذين يجلسون في انتظار السيد "فيليب" ، ظهيرة يوم الاثنين ، ولتشويه مظهرهم جميعا بدرجة أو بأخرى .

السيدة "بريجستوك" تجلس بجمود علي الأريكة القطيفة ، وترتدي قبعة ملفوفة ومعطف وتنورة ، ويمكن للمرء أن يخمن أنها موظفة كتابية من نوع ما . إنها تفتقر إلي اللون ، والارتياح . . وإذا توقف المرء معتقدا أنها امرأة جميلة ، فلن يراها مفتقرة إلي شيء . ولكنها نتاج خمسة عشر عاما من ساعات العمل الطويلة ، وقليل من الغذاء . وبالتأكيد لا تبدو في هذه اللحظة في أفضل أحوالها . إنها تجلس وقد ثبتت يدها ذات القفاز ، تسحب خيطا طليقا ، وأحيانا تعقده . وفيما عدا ذلك تعض شفتيها ممطوطة الوجه ، تحدق أمامها بلي عينيها ، وأحيانا نحو زوجها الجالس

علي كرسي بلا ارتياح ، علي بعد بضعة أقدام .

وإذا شئنا أن نقيم حجم السيد "بريجستوك" ، فلا يمكن للمرء أن يقول شيئا ضده ، فمركز الرجل الثالث في قسم الجوارب والثياب الداخلية ، لا يتطلب أية مواهب خاصة ، وإذا كانت لديه مثل هذه المواهب فلن تبقى طويلا . السيد "بريجستوك" يظل في موقعه ، الذي يحتويه كما يحتوي ملايين مثله ، فإن قلنا إنهم في شبابهم كان لديهم الطاقة للدخول إلي موقعهم ، ففيما بعد يعانون من الذعر . . أو أحيانا لأن أرباب أعمالهم ليس لديهم القلب لطردهم . . فيبقون في مواقعهم . ورغم ذلك أحيانا ، يمتلك أرباب العمل مثل هذا القلب فيفعلونها . ماذا يحدث بعد ذلك؟؟ باعتباره رجلا بدلا من كاسب أجر . . ليس من المعتاد لنا أن نعتبره كذلك . . إنه واحد من أولئك الذين- علي نحو لا يخلو من سعادة لأنفسهم- يتزوجون من النساء اللائي لا يرغب كثيرا رجل آخر أن يتزوج منهن . وخضوعا لما يعمل فيه ، يرتدي مثلما يجب أن يرتدي الرجل الثالث في قسم الجوارب والثياب الداخلية . وهو – في هذه اللحظة نفسها- مهتاج مثل زوجته ، ولما كان لا يملك القوة العصبية التي يهتاج بها ، فهو في حالة بؤس أعظم .

في الجانب الآخر من الغرفة تجلس الآنسة "شانسلر" . إن كل تاجر جوخ ذا معيشة كبيرة ينبغي أن تكون له مدبرة منزل بعمر معين ، يمكن أن تجسد في شخصيتها المزايا التي ستتوقعها في شابات أصغر منها . فالحشمة والياقة ، رزانة التفكير ، التنظيم ، واحترام الناس ، كل أولئك من القيم اللازمة عموما في مساعدة إنقاذ متجر ، وتشع بها الآنسة "شانسلر" . إنها قيم أصيلة فيها أيضا . إنها تستقر الآن في مقعدها باعتدال بقدر ما يمكن ، وفي سلطة بسيطة ، ولكن تتطلع بدقة وعناية ،

وقد يظن المرء أن الاستياء-الوقورّ ما يبقيها بلا حراك .

في منتصف الغرفة ، بجوار منضدة المكتب ، تجلس الآنسة "ياتيس" . بينما ينتظرون كل هذا الوقت الطويل ، فالثلاثة الآخرون يحاولون بصعوبة أن يبعدوا أعينهم عنها . ولم يكن الأمر سهلا ، جزئيا لأنها في منتصف الغرفة ، وهم ليسوا كذلك . ولكن علي أية حال وفي كل مكان ، فالآنسة "ياتيس" تعد الشخصية التي تتطلع إليها ، ومع ذلك يمكن بجهل أن تتساءل عن السبب . إنها بلا شك جميلة ، ولا تحاول أن تجتذبك ، ولكن تتطلع إليها كما تتطلع إلي نار أو ضوء في حجرة خالية . إنها ليست من طبقة راقية ، ولا هي جيدة التعليم ، وعشر سنوات كمساعدة متجر تركت بصماتها عليها . ولكنها خبرة . برؤية العين تتألق في هذه الغرفة مثل فحم حيّ! . فيها عبقرية . . ولها حياة وإن كانت منخفضة المستوي ، يمكنها ، أو يمكن لعالمها ، أن يوظفها . وعامة الناس خاملون بجانبها .

إنهم ينتظرون في صمت ، ويتصاعد التوتر . وأخيرا يتنهدون بارتياح لوصول "فيليب" . يدخل في عجلة ، وعليه قبعته ، وعددا من الخطابات المغلقة في يده . يهمون لاستقباله بدرجات متفاوتة من الاحترام والتوجس .)

فيلـــــيب : صباح الخير آنسة "شانسلر" . صباح الخير آنسة "يايتس" صباح الخير "بريجستوك"

بريجستوك : (يقدم زوجته) السيدة بريجستوك . . ("يومئ "فيليب" بسرور إلي السيد "بريجستوك" التي تزم شفتيها بطريقة لا

تخلو من حنق وخوف ، وتجلس ثانية. ثم يضع قبعته علي رف المدفأة ، ويحتل بنفسه الموقع الرئيسي علي منضدة المكتب)

فيليب : أخشي أن أكون قد أبقيتكم في الانتظار قليلا . حسنا ، والآن . . (هناك طرق حاد علي الباب) ادخل . (إنه "بيلهافن" في السابعة عشر من عمره ، ربما ، ترقى من خادم مكتب إلي كاتب ، ويعد من النمط العادي . يحييه "فيليب" بسرور") أوه ، صباح الخير بيلهافن

بيلهافن : أدخلت الميجور "توماس" في حجرتك ، يا سيدي . . كما أن الأوراق هناك . ولكن حجرة السيد "هاكستابل" خالية ، فإذا أردت أن . .

فيليب : لا ، هذه تفي بالغرض . .

بيلهافن : قال الميجور "توماس" إنه يود لو تحدثت إليه لدقيقة ، بمجرد حضورك . .

فيليب : سأدخل إليه الآن . .

بيلهافن : شكرا يا سيدي . .

فيليب : (إلي المنتظرين الأربعة) اسمحوا لي بدقيقة واحدة ، من

فضلكم . ("بيلهافن" يعود إلي مكتبه الخارجي من أحد الأبواب . . طريقته في الفتح والمرور منه تعد اختراعا موفرا للجهد . "فيليب" يتخذ طريقه إلي "توماس" من الباب الآخر . يعم الصمت علي الأربعة لثانية ، ويطبق عليهم توتر أكثر مما كان . وأخيرا ، السيدة "بريجستوك" الأقل قدرة علي احتماله تتململ ملتوية في يأس ، ينظر إليها "بريجستوك" باستهجان ويقول)

بريجستوك : هل تجلسين هنا يا "فريدا"، لو كنت تشعرين بتيار الهواء؟ (يعم الصمت ثانية ، إلا أن "فيليب" الذي يدخل من الحجرة الأخرى ينتهكه ، قاذفا من أعلى كتفيه آخر كلماته القليلة مع "توماس" : "عظيم جدا يا "تومي" . (إن "تومي" دائما ما يرفه عنه بسرور ، حتى أثناء العمل الممل . ثم ينتصب للمرة الثانية خلف منضدة المكتب ، طيبا في محاولة للاسترضاء)

فيليب : حسنا ، والآن . . (السيدة "بريجستوك"، ما أن تسمعه ، حتى تقرر أن تسمح بذلة لسان تعبر عن سيل غضبها)

م.برجستوك: هذا افتراء ، يا سيد "مدراس ، وطالبت بإزالته علي الفور . . قبل أي شخص آخر . . في الصحف

العامة . . . . بالإعلان . .

برجـــستوك : (في همس معذب) أوه ، فريدا . . لا تكني متهورة هكذا .

("فيليب" بارد بشكل متعمد ، وبمزاج رائق)

فيلـــــــيب : آنسة "شانسلر" . .

آ. شاتـــسلر : (باردة علي نحو أكثر تعمدا ، ووقورة) نعم يا سيدي . .

فيلـــــــيب : أعتقد أنه أمكننا أن نخبر السيدة "بريجستوك" ، أننا نأسف أن الاتهام أصبح شائعا بهذا الشكل . . ومن الطبيعي أن يسبب لها بعض الألم .

م. برجستوك: (مصعّدة الانفعال) لست أصدق الاتهام . . لا أصدقه ، وإذا كنت أصدقه . .

بريجـــستوك : (متدخلا) أوه ، فريدا !!

آ. شانـــسلر : (بشكل جد محدد) لقد رأيتهما يقبلان بعضيهما . ولا أعرف أن السيد "بريجستوك" رجل متزوج . وحتى لو كنت أعرف . . رأيتهما يقبلان بعضيهما . .

آ. ياتـــيس : (تفتح فمها لأول مرة ، وتكشف عن نفاذ صبر بسيط ، من غضبهم وهيئاتهم أيضا) أوه . . أي نوع من

القبلات؟

آ. شاتسلر: وهل هناك أنواع مختلفة من القبلات يا آنسة "ياتيس" ؟

آ. ياتيس: حسنا . . ألا يوجد؟

م. برجستوك: (تصبح صارخة الآن) يعترف بأنه فعل ذلك . . ويعرف أنه ما كان ينبغي أن يفعلها ، وسألني أن أغفر له . . يخص من هذا إن لم يخصني؟؟

بريجستوك : (يتدخل بلا جدوى هذه المرة) أوه . . فريدا

م. برجستوك: (تقفز إلي الهستيرية) لتتركه الفتاة الوقحة . . الوقحة . . . الوقحة!

فيليب : (يضيف قليلا من الصرامة إلي بروده) مسز "بريجستوك" . .

آ. يايتس : (متلطفة بقدر ما يمكن) عظيم . . يا سيد "مدراس"، أنا لا أهتم . .

فيليب : ولكنني أهتم . مسز "بريجستوك"، لن أحاول تصفية هذا العمل ، ما لم نحتفظ بهدوئنا .

م. يايتس : (تشرح ببرود) كنت والسيد "بريجستوك" أصدقاء طوال الاثنتي عشر سنة الماضية ، دخلنا الشركة معا . . وأعرف

أنـه متـزوج . . . ربمـا كـنت الوحـيدة الـتي تعرف ذلك . وحيـنما أخبرته . . بكل ما اخترت أن أخبره ، باعتباره ما حـدث لـيّ . . طلـبت منه أن يقبلني ، فقط لأتأكد من أنه لـن يظـن الـسوء بـي . . . وقد منحني قبلة واحدة . . هنا (تـشير بإصـبع واحـدة إلـي الركن الأعلى يسار جبهتها) وهذه هي حقيقة المسألة .

فيلـــــيب : كان يمكنك أن تقدمي هذا التفسير إلي الآنسة "شانسلر" .

آ. بايـــتس : ما كانت لتصدقه .

آ. شانـــسلر : ولست أصدقه . .

م. برجـستوك: (تستجمع قوتها) وليام! . . وليام! . . وليام . .

بريجـــستوك : (يحتـشد بقلـيل مـن الـسلطة) فريدا ، اهدأي . . ألم أقسم بذلك علي التوراة لك؟

آ. شانـــسلر : (تطـرح الآن قضيتها) يمكنني أن أقول إنني عرفت شابات أخـريات في مأزق ، وما إذا كن تصرفن بشكل صحيح أو غـير صـحيح في هــذه الظـروف . . عـرفتهن يتـصرفن بكلـيهما . . . إنهـن لا تـثقن في أصـدقائهن المحترمين . . . بدون أسباب معقولة .

فيلـــــــيب : لا يوجد سبب لأن تفقدن الثقة ، يا آنسة "شانسلر"

آ.شانـــسلر: لا تثقن .

آ.ياتـــيس : حسنا . . أنا وثقت . .

آ.شانـــسلر: لا رغبة عندي في إثارة فضيحة . لا أعرف كيف حدثت .

آ.ياتـــيس : سلي صغيرتك المفضلة ، الآنسة "جوردون"، كيف حدثت . .

آ.شانـــسلر: (هذه الطلقة تدوي فيحتد صوت "شانسلر") سيد "مدراس" لو أنني سأتهم بالمحسوبية

فيلـــــــيب : نعم . . . نعم . . لن نخرج عن الموضوع فيما أعتقد

آ.شانـــسلر: إن لم يكن السيد "بريجستوك"، الرجل . . .

م.برجستوك: (وقد مسها الربيع) وليامّ!!

آ.شانـــسلر: لما لا يتعين عليها أن تخبرني ، بمن فعلها معها؟

آ.ياتـــيس : ولما أخبرك؟؟

آ.شانـــسلر: ألست هنا لأهتم بأخلاق أولئك الشابات ، أم لا؟

م.برجستوك: مجموعة الشابات الوقحات . .

بريجـــستوك : (في معاناة) فريدا . . ستتسببين في إعفائي من العمل!

فيلـــــــيب : بريجستوك . . لو أنني أردت أن أعطي الإعفاء لأي أحد، لما تعين عليّ أن أمضي في مناقشة المسألة معكم جميعا- فيما آمل- بطريقة معقولة .

م. برجستوك: (بالغة الاستياء من المعقولية، تقف الآن لخوض معركة) أعطه الإعفاء من فضلك، يا سيد "مدراس"، إنه الوقت الملائم ليراعي مصلحته . .

بريجـــستوك : لا، يا فريدا . .

م. برجستوك: وجدت طريقك لتكون في الدنيا، أليس كذلك؟، وصل إلي البداية علي حسابه، مثل الآخرين، أليس كذلك؟

بريجـــستوك : (شاعرا بالأمان، وموقفه يتبدد) بمرور الوقت، يا فريدا . .

م. رجستوك: وهذا وقته . إن لم تكن مريض الحياة، فلتتول أمر نفسك . . تراني مرة أسبوعيا لساعة أو اثنتين وبعدها أنا أكون . وهذا التشهير والافتراء، ينبغي أن أعتقد، أنه يدوي حول القشة الأخيرة

فيلـــــــيب : منذ متي وأنت متزوجة يا مسز "بريجستوك" ؟

م. برجستوك: أربعة سنوات . .

فيلـــــــيب : أربعة سنوات!

م. برجستوك: (محبطة قليلا بكياسته المطردة) أربعة سنوات!

فيلـــــــيب : (بنفاذ صبر ذاهل) عزيزي "بريجستوك"، لماذا لم تأت إلي الشركة وتخبرهم؟ كان ذلك يكفل ترتيب الأمر لتعيش مع زوجتك . . .

بريجستوك : حسنا ، كنت أفكر في هذه المسألة مؤخرا يا سيدي ، ولكن لم يبد لي أبدا أنني وجدت اللحظة المناسبة . أخشي ألا أكون صالحا للعمل في قسمي بالمبيعات . .

م. برجستوك: لا عيب فيه . .

بريجستوك : وأحيانا شيء صغير جدا يصنع الفارق بين بائع رائج وآخر باق . . . عندما يصفي كل أولئك الذين لا يكونوا مرغوبين ، بعد وقت البيع ، أعني علي سبيل المثال . والثلاثون "باوند" سنويا- بالطبع- يسمحون لك أن تعيش علي ما يقيم أودك . . لا فائدة من أن أقول إنهم يقيمون أودي . . وحين تكون متزوجا . .

م. برجستوك: (التي تستجمع شكاواها ثانية) أوفق علي هذا . فعندي

مهنتي أيضا . وكنا ندخر أسرع كانت مدخراتنا ثلاثمائة باوند الآن ، لم تكن سوي مبلغ ضئيل . . ويكفي لنبدأ به . ولقد وضعت عيني علي المبني ، إنه قريب من هنا ، لم أهتم بأن أخبرك . . لما لا ينبغي أن نعمل مثل الآخرين . . ونركب عربة لنا ، حين يصبح دخلنا خمسون باوند سنويا .!

بريجستوك : (مستنكرا مثل هذا التفاؤل المفرط) حسنا . . سألت النصيحة . .

م. برجستوك: تفكر كثيرا في النصيحة . ويا ليتك تقدر نفسك علي نحو أفضل! أعطه الإعفاء من فضلك ، يا سيد "مدراس" ، وسأقول لك شكرا . . (تنتهي ، وفجأة توافق الآنسة "يايتس" علي هذا الجزء من الحكاية تماما عمّ عداه)

آ. يايتس : سألني النصيحة وقلت له أن يبقي حيث هو .

م. برجستوك: (وقد انقطع نفسها) أوه! حقا!!

آ. يايتس : إنه مستقر بقدر ما يمكن . ولكن مظهره ضده . .

م. برجستوك: (تستعيد نفسها) حسنا ، لست مستقرة . .

بريجستوك : البائع يفكر في المستقبل يا "ماريون" . .

آ. ياتـــــيس : ما كنت لأفكر لو كنت مكانك . لا أدري إلي أين كنا نصل ، لو كان دخلنا خمسين! . لم ألتق أبدا بأي إنسان فكر في المستقبل ، ولسنا أصحاب محل لفترة أطول ، معظمنا ، أليس كذلك؟ ولا نركب عرباتنا . .

م. برجستوك: أتصور أن هذا ممكن أن يحدث . .

آ. ياتـــــيس : مباني بالقرب من هنا ، وثلاثمائة باوند . . حماقة تامة ، و"وليام" ، كان لابد أن يعرف أن الأمر كذلك . هذه الشركة ستبيعك برخص التراب ، وتلتهمك وتلتهم عشرة مثلك . والمكان الذي يعتمد علي مدخراتك ، سيبيع كل قشة ، وستكون هناك في الحضيض . نصحته أن يعترف لك(تومئ إلي السيدة "بريجستوك") ويعيش ، ويبذل ما في وسعه .

م. برجستوك: (أكثر انغمارا في الماء البارد مما ستعترف) أنا ملتزمة برأي . . واثقة . . . وعندي رأيّ

فيلـــــيب : (الذي كان يدرسها بقلق إلي حد كبير) أليس لديك أطفال ، يا مسز "بريجستوك" ؟

م. برجستوك: (التي تبهت) لا . . ليس عندي أطفال . كيف يمكنك

الادخار وعندك أطفال؟ ولكن لو أن طفله سيكون لهذه الوقحة، واعتقدت أن الله لن يسقطه ميتا علي الفور، لأسقطه بنفسي.. ويعرف أنني كنت لأفعلها.

بريجستوك : ألم أقسم لك يا فريدا؟

م. برجستوك: وكيف أتأكد إذا ما كان ينطق بالحقيقة.. أسألك كيف أتأكد؟ إنني أرقد متيقظة بعيدا عنه طوال الليل، حتى أكاد أصرخ من التفكير في الموضوع. وأصرخ عاليا بقدر ما أستطيع.. لا توقظي البيت. وإن لم يفتح أحدكم هذه النافذة سأنفجر..

فيليب : افتح النافذة من فضلك سيد "بريجستوك".. (صوت "فيليب" جاد، ومع ذلك لم يقل إلا شيئًا بسيطًا. يفتح "بريجستوك" النافذة كما قد يفعل رجل في حجرة مرض، بلا حيلة، وذاهلا قليلا. ثم يستدير عائدا إلي زوجته التي تجلس وقد مالت برأسها علي الظهر الحاد للأريكة الفاخرة، مغلقة العينين، مفتوحة الفم. والآنسة "ياتيس" فقط، متأهبة بقليل من الارتياح العملي)

آ. ياتيس : انظري إليّ.. لا تقلقي نفسك. كان يمكنني أن أتزوج

"وليام"، لو أنني أردت ، وهذا ينبغي أن يكون برهانا كافيا .

بريجستوك : وهناك أنت يا فريدا

آ. ياتيس : قبل أن يعرفك . .

م. برجستوك: (تفتح عينيها) هل طلبتها؟

آ. ياتيس : لا . . لم يطلبني أبدا . . . . ولكن تعرفين ما أعني . (تعطي تأكيدا علي ما تعني ، بما يخشى المرء أن يصفه بأنه غمزة . تنظر السيدة "بريجستوك" إلي "بريجستوك" الموافق علي ما قيل ، وتعترف بالورطة)

م. برجستوك: نعم . . أعرف . أوه ، لم أصدقه حقا . (تستريح ، وتجد منديلها وتتمخط ، وبعدها تستفسر الآنسة "شانسلر"، بصوتها الأكثر أدبا ، وقد كانت جالسة في صمت طوال هذا الوقت وساخرة)

آ. شانسلر : أمازلت ترغب في أن أبقي يا سيد "مدراس" ؟

فيليب : لحظة واحدة . .

آ. ياتيس : أوه ، ستعذر سندي يا سيدي (وتدور إلي المنضدة ثانية)

فيليب : لا أعتقد أنني أحتاج لاحتجازك لفترة أطول يا سيد "بريجستوك"، ولا زوجتك . إن شخصيتك واضحة تماما الآن في عين الشركة ، يا سيد "بريجستوك"، وسأبحث تلك الترتيبات التي أعدت لك لتعيش فيها في المستقبل . إنني أعتذر لكليكما عن كل تلك الكراهية . (يهم كلاهما عند هذه اللحظة ، ويبدأ "بريجستوك"، في تردد)

بريجستوك : حسنا . . شكرا . . سيدي . . و . .

م. برجستوك: لا ، يا وليام . .

بريجستوك : ليكن ، فريدا . . ليكن(يكافح في حديثه المعد) إننا ملتزمون جدا بكم يا سيدي ، ولكن لا أري كيف يمكنني البقاء في الشركة ، ما لم يكن هناك ، بالنظر إلي الاتهام الذي وجه إليّ ، مراجعة . .

فيليب : (قريبا من نفاد صبره) رجلي الطيب . . سحبنا الاتهام .

م. برجستوك: علنيا . .

فيليب : كلام فارغ ، مسز "بريجستوك"

م. برجستوك: (تهدئ نفسها ثانية) الاتهام في الحقيقة . . كيف تحبه؟ (تصبح بعدها واعية بنفسها) حسنا . . إننا آسفون جدا

للآنسة "ياتيس"، وأتمني لو كانت متزوجة . .

آ ياتيس : (بشيء من الذوق) وكذا أنا . .! (فجأة تنفجر الآنسة "شانسلر").

آ. شانسلر : إذن فأنت فتاة شريرة . . لماذا لم تقلي ذلك من قبل . . حين أردت أن أكون طيبة معك؟ ما كان ينبغي لنا جميعا أن نتكلم بهذه الطريقة الشنيعة المخلة بالآداب . لم أفعلها أبدا في كل حياتي . . لا أدري كيف انقدت لهذه الجلسة . . ألم أحاول أن أكون طيبة معك؟

آ. ياتيس : (غير مقهورة) نعم، وحاولت أن تبكي عليّ . لا . . . لا أتمني لو كنت متزوجة .

بريجستوك : بالطبع لا تقوليها ليّ، يا "ماريون"، ولكنه الأسلوب الذي ستتبعينه الآن لإخراس ثرثرة الشابات الأخريات؟ (نغمة الخلاف تحتد الآن بشكل خطير إلي حد بعيد)

م. برجستوك: كيف سيبقى السيد "بريجستوك" في الشركة، لو بقيت الآنسة "شانسلر" ؟

فيليب : هذا شغلي، يا مسز "بريجستوك" ؟

آ. شانسلر : ماذا . . . بعدما رأيته يقبلها . . . . يقبلها!

م. برجستوك: وليام!

فيليب : هذا تم تفسيره . .

آ. شانسلر : لا ، يا سيد "مدراس"، مادمت أنا المراقبة ، فلن أسمح بالتصرفات المنحلة . لست أصدق كلمة واحدة من هذه التبريرات .

فيليب : هذا محض عناد يا آنسة "شانسلر" . .

آ. شانسلر : وبشكل شخصي ، أود لو كررت كل شيء قلته . (والآن يتدنى الموقف إلي شجار)

م. برجستوك: إذن سيتعامل معك القانون . .

آ. شانسلر : يمكنك أن تطردني علي الفور ، لو أردت يا سيد "مدراس" . .

م. برجستوك : هذا تشهير . . . افتراء!!

بريجستوك : أوه ، فريدا . . . اسكتي . . .

م. برجستوك: نعم . . وستوضع في السجن بسببه . .

آ. شانسلر : لو بقيت الآنسة "ياتيس"، والسيد "بريجستوك"، في الشركة . . سأرحل . .

م. برجستوك: وستوضع في السجن . . القطة!

بريجستوك : اسكتي ، يا فريدا . . !

م. برجستوك: القطة الشرسة!! . . هل تقسم أن الأمر مختلق يا وليام؟

فيليب : ابعد زوجتك يا بريجستوك . (عنف "فيليب" المفاجئ يدفع السيدة "بريجستوك" مباشرة إلي فقد السيطرة علي نفسها ، وتتجاوزه)

م. برجستوك: نعم . . ويبتعد بنفسه . . يغادر الشركة ، لابد وأن أعتقد ذلك ، ومن المؤسف بما يكفي أنك ستكونين أمامنا قبل أن نخرج ، وسأري ما قد يقوله القانون بشأنها . . ولن يكون مشروعنا إلا علي بعد مائة ياردة . . وعلي الجانب الأفضل من الشارع أيضا . . وبنافذة ذات لوح زجاجي كبيرة مثل نافذتك . .

بريجستوك : اهدأي . . . يا فريدا

م. برجستوك: (في هستيرية الآن) كل ذلك بثلاثمائة باوند ، وكم كان يملك "مابل" عندما بدأ؟ ، أو "وايتلي" ، . . والأضرار وما هو أكثر . . وأنا أتحمل الحياة التي اخترتها . . (ينتظرون حتى تنتهي النوبة . . "فيليب" في نفاد صبر كظيم . .

والـسيدة "بريجستوك" كتلة من نشيج أما "بريجستوك" ففي اعـتذار صـامت . . ثـم يقـود "بريجستوك" زوجته في اتجاه الباب)

فيلـــــــيب : انتظـر . . انتظـر . . لا يمكـنك أن تخـرج إلـي الممـر بهذه الضجة .

بريجـستوك : أوه ، "فريدا" . . أنت لا تعنين ما قلت . . . .

م. برجـستوك: (تائـبة وفي ارتـياح) آمـل بكـل ثقة لو لم أقل شيئا لا يليق بسيدة . . لا أقصده . .

فيلـــــــيب : علي الإطلاق . . من الطبيعي أنك يجب أن تنزعجي . .

م. برجـستوك: ونحن ممتنون كثيرا بنواياك الطيبة نحونا . .

فيلـــــــيب : انتظري حتى تهدأين تماما . .

م. برجـستوك: شـكرا جزيلا (بلمسة جرح وكرامة واستياء أخيرة تنفض عـنها قبـضة "بريجستوك" الخجولة) لا تحتاج أن تمسكني يا "ويلـيام" (يتـبعها "ولـيام" للخارج ، لينسى ويجعلها تنسي كـل مـا كـان بأفـضل مـا يـستطيع . يعـود "فيلـيب" إلـي مقعـده ، مـازال مـرحا ، وإن لم يكـن مـسرورا بدوره من العمل)

فيلـــــيب : أخشي أن تكوني قد وضعت نفسك في الخطأ ، آنسة "شانسلر" . .

آ. شانـــسلر : غالبا ما يقع المرء في الخطأ يا سيدي ، أثناء أداء واجبه . . (ثم يرتفع صوتها فيما يشبه أغنية البجعة) قضيت ثلاثين عاما في هذه الشركة . . فقط ثلاثين عاما . وسأتركها غدا

فيلـــــيب : أتمني لو أدركت أنه لن يكون خطأي ، إذا ما تعين عليك أن تتركيها .

آ. شانـــسلر : الآنسة "ياتيس" ، يمكنها أن تزيل الخطأ ، لو تعين فقط أن تقول الحقيقة .

فيلـــــيب : (يبذل الآن جهدا آخر ليكون صريحا ، وبمودة) آنسة "شانسلر" ، هل نقدر الموقف تماما من وجهة نظر الآنسة "ياتيس" ؟ ، افترضي أنها متزوجة . .

آ. ياتـــيس : لست متزوجة . .

فيلـــــيب : ولكن لو قلت لنا أنك متزوجة . . لتعين علينا أن نصدقك . .

آ. شانـــسلر : لماذا يا سيد "مدراس" ؟

فيلـــــيب : (بابتسامة) سيكون تصرفا طيبا أن نصدقها . ينبغي أن

نصدق ما يقال لنا في هذه الدنيا

آ. ياتيس : (وقد لحقت به تماما) حسنا . . قصدت أن أنتزع ذلك منك . . لو أراد أي أحدٍ أن يعرفه ، لقد اشتريت خاتم زواج ، ولبسته عندما رأيت الدكتور "ويلوباي" . ولكن عندما دخلت علينا بوجهها الكئيب ، وبقولها ، ماذا يمكن أن أفعل لك طفلتي المسكينة؟ حسنا . . لم أستطع . . . أتصور أن الشيطان أغواني ، وأخبرتها بالحقيقة .

فيليب : ذلك ما فكرتِ فيه حتى الآن . آنسة "ياتيس" . . هل معك خاتم الزواج هذا؟

آ. ياتيس : نعم . . معي . . إنه ليس من الذهب الحقيقي .

فيليب : ضعيه في إصبعك . . (بعدما تتصيد الآنسة "يايتس" الخاتم من تنورتها الداخلية ، تلبسه في إصبعها بدهشة تقريبا . يستدير "فيليب" مازحا بسخرية إلي الآنسة "شانسلر") والآن . . إلي أين وصلنا آنسة "شانسلر" ؟

آ. شانسلر : أعتقد أننا نسخر بشيء مقدس يا سيد مدراس .

آ. ياتيس : نعم . . ولن أسخر الآن (بعملية انفعالية مباغتة ، تخلع الخاتم وتدق به علي المنضدة ، يتأمل "فيليب" للحظة

حقيقة أن ثمة بعض الأشياء في الحياة مازالت صعبة المنال ، وفق منطقه المرح)

فيلـــــيب : صح . . صح . . التمس من كليكما العفو . ولكن لنفترض أن المشكلة لم تجر بهذا الشأن آنسة "ياتيس" ؟

آ.ياتـــيس : حسنا . . لابد وأن أعاني مرضا لفترة طويلة ، لطيفة . وهذا كله يتوقف علي ما إذا كنت تريد بما يكفي ، أن تستبقي مكاني شاغرا .

فيلـــــيب : أنت موظفة ذات قيمة للشركة . .

آ.ياتـــيس : حسبت أنك تريدها . إن الآنسة "ماكلنتاير" يسرها أن تشغل مكاني قليلا الآن ، فقد تشاجرت مع خطيبها . بالطبع ، إذا ما كنت أعمل فقط خلف طاولة البيع . .

آ.شانـــسلر : (التي تلتقط أنفاسها الأطول ، من هذا التكبّر المحسوب) هكذا تقلب المسألة بوقاحة عليّ يا سيد "مدراس . . وهذا بالضبط ما قلته للسيد "هاكستابل" ، وسوف تغفر قولي إنه تبنى وجهة نظر جد مختلفة عن المسألة ، عمّ يبدو أنك تتبناها .

آ.ياتـــيس : أوه ، لابد وأن أنصرف الآن ، أنا اكتشفت . . لن أجادل

في هذه المسألة .

آ. شانسلر : (بصرامة) سيد "مدراس" ، أي نوع من الأفكار تتبناه في عقل هذه الفتاة التعسة؟

فيليب : (بلطف كاف) كنت أحاول ولو للحظة أن أضع نفسي مكانها . .

آ. شانسلر : ستسامحني يا سيدي ، إن قلت إنك رجل . .

فيليب : لا ، مطلقا . . نكتة بسيطة ، ولكن الآنسة "شانسلر" ، ستبقى غير واعية بها . .

آ. شانسلر : لأن امرأة مستقلة وتكسب معيشتها ، لن تفكر أنها يمكن أن تعيش كما تهوي . لو أنها تتمنى أن يكون لها أطفال ، فالعناية الإلهية هيأت طريقا في مؤسسة الزواج . الآنسة "ياتيس" - فيما استنتج - قد تجد صعوبة صغيرة في أن تصبح متزوجة . . .

آ. ياتيس : أكسب عيشي هنا ، من اثنتي عشر سنة !

آ. شانسلر : وهل كنت سجينة يا آنسة؟ ألا تذكرين أن هناك مائتين وخمس وثلاثين موظفا هنا .

آ. ياتـــــيس : ومن المفترض أن أحب أيا منهم؟

آ. شانـــسلر : عزيزتـي الآنسة "ياتيس"، لو أنك تبحثين بشكل مجرد عن زوج مـثل . . . حسنا . . كلنا مخلوقات الله، فيما أظن . . شخصيا، لا أري اختلافا كبيرا بين الرجال، بأي حال .

آ. ياتـــــيس : ولا أنا . .

آ. شانـــسلر : افتقار لضبط النفس .

آ. ياتـــــيس : أهو كذلك!!

آ. شانـــسلر : واحـترام الـنفس، مـا يجـب أن تكـون المـسألة . هل نحن وحـوش الغابـة، أحـب أن أعـرف؟ إنني لا أفهم ببساطة هـذا الموقـف الـذي لا يلـيق بـسيدة، نحو حقائق الحياة . ألـيس هـناك شـيء تفعلـه امرأة في الدنيا سوي أن تجري وراء الـرجال، أو تتظاهـر بأنهـا تفـر بعـيدا عنهم؟ أنا في الثامـنة والخمـسين، وقـضيتهم- والحمـد لله- مـشغولة وسـعيدة، وآمـل حـياة نافعـة . . . ولم أفكر أبدا قليلا أو كـثيرا في الـرجال، عمّ فكرت في أي كائن بشري آخر أو بـشكل مختلف . إنـني أنظر إلي العنوسة كحالة مخيفة كما تعلمـني الـتوراة . الـرجال مختلفون ولكـن بعـض النساء

يتزوجن بسعادة و . . حسنا . . كل النساء لا تستطعن . . وبعضهن لا يمكنهن الزواج علي الإطلاق . هذه الحقائق ينبغي أن تواجه ، وواجهتهم .

فيليب : يمكننا أن نفترض أن الآنسة "ياتيس"، تواجههم .

آ. شانسلر : نعم . . يا سيدي ، وبأي روح؟ لقد سعيت دائما إلي التأثير علي الشابات تحت سلطتي بفضائل التواضع والحشمة . . ولذلك يمكن اعتبارهم سواء ، بعقل حيادي . وإن لم يعد في مقدوري أن أفعل ، فمن الأفضل أن أتخلى عن مهمتي . وسأقول أمام هذا الشابة ، أنا آسفة ، القصة يجب تداولها . ولكن حين يقترف أي امرئ نقيصة ، يبدو لي روحانيا من يعرف بها .

فيليب : (يجنح إلي السخرية) أتعتقدين ذلك حقا؟

آ. شانسلر : أتريدني أكثر من ذلك الآن؟

فيليب : يسعدني أنني حظيت بتفسيرك . سيكون بيننا حديث خاص في الغد .

آ. شانسلر : شكرا يا سيدي ، أعتقد أنه كثير علي النظام أن يقبل حديثنا . عمت صباحا . .

فيلـــــــيب : عمتِ صباحا (وقد عبرت الآنسة "شانسلر" عن نفسها برضاء كامل، تتراجع بنظام محمود. الآنسة "ياتيس" تبهت جامدة بشكل غير واع، إلي أن يختفي عدوها تماما، ثم تنهار بشكل مثير للشفقة. و"فيليب" يبدأ علي راحته أخيرا في توبيخها بأسلوب أخوي)

آ. ياتـــــيس : أنا واثقة أنها علي حق تام في كل ما تقول . .

فيلـــــــيب : قد لا تكون. ولكن أأنت من نوع المرأة التي تضع نفسها في ورطة من هذا القبيل؟

آ. ياتـــــيس : يسرني أنك لا تعتقد أني كذلك يا سيدي . .

فيلـــــــيب : إذن أي شيء علي الأرض يستحق أن ترحلي وتفعليها من أجله؟

آ. ياتـــــيس : لا أدري. لم أقصد أن . .

فيلـــــــيب : لماذا لا تتزوجي؟

آ. ياتـــــيس : هذا شغلي. (ثم كما لو كانت تكفّر عن اندفاعها) أوه . . فكرت في الزواج في أي وقت خلال هذه السنوات الاثنتي عشر. ولكن انظر لأسرة "بريجستوك".

فيلـــــــيب : لا . . لا . . لا، ليس هذا ما أقصده. لماذا لم تتزوجي

حتى الآن؟

آ. ياتـــــيس : لا أفضل الكلام . .

(تستأنف آنسة "ياتيس" جو التكتم بشكل طبيعي بما يكفي ، ولكن ثمة شيء فريد قليلا في هذا التكتم ، ولذا يفكر "فيليب")

فيلـــــيب : حسنا جدا . .

آ. ياتـــــيس : لا أفضل أن أتكلم عن هذا الجانب من الموضوع معك يا سيدي ، إن لم يشغلك . (ثم تنفجر مرة أخري) خاطرت مرة ، وعرفت فيها نفسي . أردت أن يكون لي نصيبي منه ، وكان ممتعا لفترة قصيرة . أعرف أن ذلك يبدو مريعا ، ولكن هذا ما كان .

فيلـــــيب : (يراقبها) آنسة "ياتيس" . . كنت أدعمك ، أليس كذلك؟

آ. ياتـــــيس : نعم . .

فيلـــــيب : لأن لي آراء غير تقليدية . . ولكني لا أفعل أشياء غير تقليدية .

آ. ياتـــــيس : (بسذاجة وتلقائية) ولماذا؟

فيلـــــــيب : لا ينبغي أن أفعل هذه الأمور جيدا . والآن تلمحين إلي هـذه المغامـرة مـصدقة لكـل ما يقوله الناس ، ولذا لست سعيدا بـك . كـرجل لرجل ، يا آنسة "ياتيس"، أكنت في مركز يسمح لك بإدارة هذه المخاطرة؟

آ.ياتـــيس : (بأمانـة تفكـر قبلَ أن تتكلم) نعم . . كنت سأحصل علي مائـة وأربعـين باوند سنويا للمعيشة . وقد خططت لذلك كلـه (تـصبح مؤتمـنة بـسعادة) ثمة شقة بطابقين في منتزه "رينـز"، وكـان يمكـنني أن أحظى بفتاة رخيصة تعني بها ، وتـرعاه . . . سـأدعو الطفـل بـابن أخـي ، كمـا اعـتادت باباوات روما . . . أو لماذا لا يمكن أن أكون أرملة؟ يمكن أن أربـيه ، وأجعله ملائما للحياة . وسيكون التأمين قاسيا قليلا ، في حالـة إذا مـا حـدث أي شـيء لـي! . ولكـنني حـصلت علـي مائـتين باونـد تقـريبا مدخـرة في البـنك لمساعدتي حتى الصيف القادم .

فيلـــــــيب : وأين تذهبين عندما تتركين الشركة؟ ، أي علاقات لك؟

آ.ياتـــيس : عندي عمة . . أكرهها .

فيلـــــــيب : وأين تذهبين في الشتاء؟

آ. ياتــــيس : ايفركريش

فيلــــــيب : وما هذه؟

آ. ياتــــيس : لا أدري . تــصل إلــيها مــن "واتــرلو" . وجــدتها في الأبجدية . .

فيلــــــيب : (في احتجاج) ولكن يا فتاتي العزيزة . . !

آ. ياتــــيس : حسنا . . أريد مكانا لا يعرفني فيه أحد . ولذا من الأفضل أن أذهب إلي مكان لا أعرفه أليس كذلك؟ دائما ما أكّون أصدقاء ، فلست أخشي الناس . ولم أكن في البلاد أبدا في الشتاء . وأريد أن أعرف كيف تكون هذه الإيفركريش!

فيلــــــيب : (يستسلم مهزوما في هذا الموضوع ، ويقبل آخر بمزيد من الجدية) حسنا . . أوافق ألا تريدين زوجا . . ومن واجبك الواضح أن تجعلي الرجل يساعدك مراعاة لطفله .

. ياتــــيس : (مستعدة لذلك ، وجادة أيضا) أجرؤ أن أقولها ، ولكن لن أفعلها . عرفت بنات أخريات في مثل هذا النوع من الفوضى ، واحدة أو اثنتين . . مع كل شخص يكون رحيما بهن ، ويزدريهن . وهناك جلسن وبكين ، وقد

خجلن من أنفسهن؟ وما الخير في ذلك؟ بينما الرفاق كرهنهن . حسنا . . لا أريده أن يكرهني . يمكنه أن ينسى كل ما يتعلق بالأمر إذا أحب . . وسينسى بالطبع . بدأت أبكي بشدة . وبعدها فكرت أنني إن لم أستطع البهجة ، وأتظاهر بأي حال أنني مسرورة وفخورة بشكل مرح ، فمن الأفضل أن أموت . هل تعرف أنني عندما كنت أتظاهر قليلا وجدت أنني بالفعل كنت مسرورة وفخورة . وأنا بالفعل فخورة وسعيدة بهذا الآن ، سيدي . . لست أتظاهر . أجرؤ أن أقول إني اقترفت خطأ . . ربما تعين أن أصل إلي الأسى إجمالا ، ولكن (عند هذه اللحظة يدق تليفون المنضدة بعنف ، وتتأسف . . مشيرة إلي التليفون ، فيما يبدو) أوه . . معذرة .

فيليب : عفوا (ثم يرد علي التليفون) نعم ، من؟ لا . . لا . . لا ، "ستات". سيد "ستات"، صله بيّ (يصله به بوضوح) صباحا! من؟ أبي . . لم يصل حتى الآن . . من "مارينباد"

(تنهض الآنسة "ياتيس" فيما يبدو لتنسحب بلباقة ، ولكن تنظر بذهول قليلا أيضا)

آ. ياتـــــيس : أنا س . .

فيلـــــيب : لا . . لا ، كل شيء علي ما يرام . (يطرق "بيلهافن" الباب ، ويدخل ويقف بجوار "فيليب" الذي يستمر في المحادثة) نعم؟ حسنا؟ ومن "مارك" ؟ "أوروليوس". لا . . لم أكن أقرؤه مؤخرا . . بالتأكيد سأقرؤه . . "توماس" هنا يعمل بالأرقام . . . هل تريده؟ سأوصلك به . . لا انتظر . سأستدعيه هنا ، إن يكن الأمر خاصا جدا (مناديا) "تومي" . .

بـــــيلهافن : الرائد "توماس" في مكتب المحاسبة يا سيدي . .

فيلـــــيب : أوه . . (ثم عبر التليفون) لو ستبقى علي الخط ، يمكنني استدعاؤه في دقيقة . قل له إن السيد "ستات" علي التليفون ، يا "بيلهافن" .

بـــــيلهافن : نعم يا سيدي . . والسيدة "مدراس" ، تحت في سيارة أجرة يا سيدي ، وتود الحديث إليك ، هل تصعد إليك ، أو . . ستنزل إليها ، إذا كنت مشغولا جدا وتخشي المقاطعة . .

فيلـــــيب : أمي ؟؟

بـــــيلهافن : لا ، ليست أمك . . السيدة "مدراس" يا سيدي .

فيلـــــيب : دعها تأتي . . وأخبر الرائد "توماس" . .

بـــيلهافن : نعم يا سيدي . (يرحل بشيء من اللزوجة . ويستدير "فيليب" عائدا إلي الآنسة "ياتيس")

فيلـــــيب : إلي أين وصلنا . . .

آ.ياتـــيس : (بشكل غير متتابع) الجو حار هنا ، أليس كذلك؟

فيلـــــيب : النافذة مفتوحة

آ.ياتـــيس : سأغلقها؟ (تستدير وتذهب إلي النافذة ، ويمكن القول بأنها تهرب منه)

فيلـــــيب : (يراقبها بانتظام) ما الأمر يا آنسة "ياتيس" ؟

آ.ياتـــيس : (تعود أكثر رباطة جأش) بالتأكيد لم تكن تتوقع الآنسة "شانسلر" أن أتزوج واحدا مثل هذا . . أيمكنها؟

فيلـــــيب : تتزوجي من؟

آ.ياتـــيس : لست أقول أي شيء ضد السيد "بيلهافن" . . إنه شاب جد لطيف . والحقيقة حاول أن يتقدم للخطبة في عيد الميلاد الماضي . والحقيقة- كما تعرف- إنه الشاب الوحيد الذي لم يسألك أن تزوجه هنا : حين يتقدم بهم

السّن ، يبدون وقد فقدوا الرغبة . . أو يعتقدون أنها مكلفة كثيرا جدا . . . أو . . ولكن واثقة علي أية حال ، بأن الأمر لا يهم . (هذه الثرثرة غير المناسبة جدا للمكان تتهاوي بتأثير نظرة استفسار "فيليب" الصارمة)

فيليب : هناك شيء آخر أخشي أنني كان يجب أن أسألك بشأنه . إن المشكلة التي نحن بشأنها لم تحدث بإرسالنا لك إلي فرع شارع "بوند" ؟

آ. ياتيس : (تغوص في عديد من الكلمات. ثانية) أوه ، بالطبع . . كان خيرا عظيما منك أن ترسلني إلي شارع "بوند" لصقل سلوكيات الإنسان . . ولكن أقول لك . . لم أستطع إيقافه طويلا . . أولئك النساء اللائي أدخلتهن هناك . . حسنا ، مسألة تحطم أعصابك فحسب . ما يتابعنه ، والأشياء التي تقلن يجب أن تسمعها ، والأشياء التي سيقولنها عنك نصف الوقت . . . الذي لا يجب أن تسمعه . . . وتستبقي صوتك منخفضا وحلوا ، وتترك ذراعيك تتدلي في استسلام . . . يمكنك أن تعمل مزيدا من الساعات في هذا المكان ، وأجرؤ أن أقوله إنه عاميّ ، ولكن العملاء ودودون جدا معك .

فيليب : كما ترين ، لأنني والسيد "هاكستابل" ، كنا نود أن نشعر بمزيد من المسئولية ، لو قليلا لو أن أي أحد ارتبط بنا . . من . .

آ.ياتيس : (بقنوط تام) لا ، لا تحتاج . . لا تحتاج . . حقا لا تحتاج . . سأقول أن ثمة شيء في هذا المكان الآخر يجعل ذهنك يشغل بالرجال . ما رآه فيّ ، لم أعتقد أبدا . . بأمانة ، لم أستطع ، ومع ذلك ، أأكد لك أنني أفكر في نفسي بتقدير كبير . وكان خطأي أنا ، وكذلك كل ما تبقى منه ، سيكون . . خطأي أنا . . (إن وصول الرائد "توماس" ، كان للآنسة "ياتيس" ، المقاطعة التي ترحب بها كثيرا ، كما يبدو ، بنظرة "فيليب" المنتظمة ذات التنويم المغناطيسي ، ليصبح أقرب كثيرا إلي معرفة ما لا تقصد إليه . "توماس" يدخل في سرعة ينظر خلفة بطول الممر ، ويقول)

توماس : هنا "جيسكا" . .

فيليب : "ستات" علي التليفون

توماس : شكرا لك . . (ويتجه إلي التليفون ، بينما تصل "جيسكا" إلي الباب المفتوح . وتعد زوجة "فيليب" خلاصة تلك

الثقافة الجمالية التي يمكن أن تعمل من أجل امرأة . وأكثر من هذا ، هي النتيجة . ليست في الثالثة والثلاثين من العمر ، ولكن ذات نقاء متراكم لثلاثة أو أربعة أجيال . قد تكون جواد سباق! ، ولدت لتفكر فيه ، ومن الأشياء المذهلة جدا ، أن تجني هذا المحصول من الأنوثة . مخلوقات ، ريانة العقل والجسم ، لطيفة التفكير والكلام ، فاتنة ، رقيقة ، حساسة ، رشيقة ، عفيفة ، سهلة التصديق لكل خير ، تدِينً قبح العالم وصراعه العنيف ، بيسر وجودهن وابتهاجهن . . عصيات الإرضاء . . عصيات الإرضاء . وفي السنوات الثلاثة الأخيرة أيضا بما لها من ألوان جاذبية تُبِّلت كثيرا بإضافة التعليم والفكاهة . أليست المرأة الكاملة ، وربما أكثر منجزات المدنية إثارة للإعجاب ، وتستحق نفقة تربيتها ، وعناء وكدح كل الآخرين؟ . "جيسكا مدراس" أكثر حتى من امرأة ، نظرا لأنها تعي أنوثتها . إنها تقدر مزاياها وفتنتها ، وفخورة بثقافتها ، وتعني بها ، فهي سلاحها الذي يبررها . وبينما تنساب الآن في الغرفة القبيحة متأنقة من رمش عينيها إلي حذائها ، فهي لراحة عظمى أن تلمحها فقط)

جيسكا : هل قاطعتكم؟؟

فيليب : لا ، ادخلي . . يا عزيزتي .

توماس : (في التليفون) آلو . . !

فيليب : حسنا آنسة "ياتيس"، أريد أن أري ، إذا أمكن ، أنك لم تعاملي بكثير من الغبن ، عن الناس الذين دائما ما يبدون آراءهم بشجاعة .

توماس : آلو . . . !

فيليب : أوه ، أنت لا تعرفين زوجتي . "جيسكا" هذه الآنسة "ياتيس" التي تعمل في قسم الثياب أنت لا تعملين الآن- فيما أتصور- في قسمك الآن؟

آ.ياتيس : (كمن تتحدى كل فضيحة) أعمل . .

توماس : (مازال مع التليفون غير المستجيب) آلو . . آلو . .

فيليب : (يجد الآنسة "ياتيس"، متجاوزة احتماله) حسنا جدا ، هذا ما سيكون الآن . . (ولكن الآنسة "ياتيس"، بظهور "جيسكا"، تصل إلي سلوكها الأفضل في قسم الثياب . يمكنها أن تستأنف بإرادة- فيما يبدو- صوت جديد ، ويمكن أن تصبح- في الحقيقة- كائنا من فصيلة أخرى ،

بملمس الحرير الأسود)

آ. ياتيس : شكرا لك يا سيدي ، آمل بالتأكيد ألا أكون قد تحدثت كثيرا . دائما ما كنت ثرثارة يا مدام . .

فيليب : لديك بعض الأمور الهامة لتقوليها يا آنسة "ياتيس" . .

آ. ياتيس : ليس علي الإطلاق يا سيدي . . عمت صباحا يا مدام . .

جيسكا : عمت صباحا . . (وتخرج نهائيا الآنسة "ياتيس". وفي هذه الأثناء يدفع التليفون توماس إلي غضب عاجز)

توماس : قطعوا الاتصال . . (وبينما يدير مقبض التليفون ليكسره ، تكشف "جيسكا" عن برقية مفتوحة ، وتسلمها إلي فيليب)

جيسكا : وصلت بعد أن غادرت البيت مباشرة

فيليب : عزيزتي ، تتجشمين عناء كل هذا الطريق بها . ! لماذا لم تحدثيني تليفونيا؟

توماس : (يسمع شيئا أخيرا) آلو . . هل هذا مكتب السيد "ستات" ؟ لا ! ، حسنا . . مكتب المحاسبة ، أمازلت فيه؟

جيسكا : (تراقب بابتسامة تسلية) إنني أكره التليفون! خصوصا

التليفون الموجود هنا . أصغي إليك يا "تومي"، تعس مسكين! إنهم يوصلونك من مكتب إلي مكتب . . ستة موظفون مختلفون . . . كلهم أغبياء ، وكلهم ذوو أصوت بشعة . ("فيليب" يقرأ البرقية الآن)

فيلـــــيب : (يتغير وجهه) حسنا ، أظن أن السيدة مدراس ينبغي أن تأتي ، لو أرادت

جيـــــسكا : ماذا سيقول أبوك؟

فيلـــــيب : فتاتي العزيزة . . لها الحق في أن تراه ، لو أصرت . . حماقة بالغة! "تومي"، أنا . . (يأخذ منه التليفون ويتعامل معه بمهارة وخبرة) أريد إرسال برقية . ضاعف ثلاثة أضعاف "أوه" مركزي ، وصل الخط إلي غرفتي . . ليس هنا . . غرفتي .

تـــــوماس : (بحماس) أشكرك

جيـــــسكا : تغلبت علي غضبك من مسرحية الأمس؟

تـــــوماس : أوه ، نوع من المسرحيات ينبغي أن تتوقعينه لو ذهبت إلي المسرح يوم السبت . أغرقتني . (يتلمظ بعدما يقدر "جيسكا" وفستانها . يجلس "فيليب" ليدبج رد البرقية . أما

"جيسكا" فتكتشف ألا يوجد شيء جذاب تجلس عليه ،

فتتردد)

فيليب : يمكن أن تقبلينها للمساء؟

جيسكا : نعم . .

فيليب : سأدعوها للعشاء . . ؟

جيسكا : ستصرخ من الحساء . . ولكن هذا لا يهم .

فيليب : العشاء في الثامنة . . ؟

جيسكا : أبدو غير مضيافة . .

فيليب : حسنا ، قلت بالضبط إننا سنكون سعداء . .

جيسكا : ولكن أمك تكرهني كذلك . ومن الصعب أن أري منها الكثير .

فيليب : لم تكني صبورة عليها كثيرا ، أليس كذلك جيسكا؟

جيسكا : وأنت؟؟؟

فيليب : (بشكل متقلب) عرفتها لفترة أطول منك . .

جيسكا : (بمزاح ألطف) أتمنى فحسب ألا تكتب رسائل سخيفة

عن الله لابنتنا "ميلدرد"

فيلـــــيب : امتياز للجدة . .

جيـــسكا : أرسلت لـيّ الطفلة خطابا آخر هذا الصباح . . هل أخبرتك؟

فيلـــــيب : لا . .

جيـــسكا : الآنسة "جريشام"، تكتب أيضا ، تضمن الدِّين بشكل ألطف . ولكنه فظيع للمدرسة أن تكتشف ما فيه من كلام عن الدين . .

بـــيلهافن : (ينزلق داخلا) نعم يا سيدي . .

فيلـــــيب : أرسل هذه البرقية فورا من فضلك . .

بـــيلهافن : نعم يا سيدي (ينزلق خارجا . ثم يبدأ "فيليب" العناية بكوم الرسائل التي أحضرها معه . بينما تشعر "جيسكا" بالإهمال ، تحوم علي نطاق أكثر اتساعا)

جيـــسكا : هل ستخرج لتناول الغذاء يا "فيليب" ؟

فيلـــــيب : يا إلهي! . . أحان وقت الغذاء!؟

جيـــسكا : سيحين قريبا . سأتغذى مع "مارجريت إنمان"،

و"والترميورهيد"، في"الديودوني".

فيلـــــــيب : إذن لن تكوني وحيدة

جيـــــسكا : (مؤذية) قد تكون"مارجريت"، وإن لم تأت . .

فيلـــــــيب : لا أستطيع يـا"جيسكا". أنـا لا أكـاد أجد وقتا لعملي . (تـسترخي بجـوار منـضدته وتـبدأ العـبث فـيما عليها من أشياء، تجد أخيرا نشافة ملطخة، مما يرضيها)

جيـــــسكا : فيليب . . يمكنك أن تخرج معي، أكثر قليلا مما تفعل . .

فيلـــــــيب : (بمزاح نهائي) عزيزتي . . ليس علي وقت الغذاء . .

جيـــــسكا : الشابة الوقحة التي كنت توبخها . . حينما دخلت .

فيلـــــــيب : لست أفكر بهذا الشكل . .

جيـــــسكا : وهل الشابات القبيحات، جذابات مثل الرجال القبيحة؟

فيلـــــــيب : وهل تعرفين . . لا أجد أن النساء تجذبني . .

جيـــــسكا : يا للزوج!!

فيلـــــــيب : أتريدين أن تجتذبيني؟

جيـــــسكا : نعم . . من الناحية النظرية .

فيلـــــيب : لماذا "جيسكا" ؟

جيـــــسكا : (بـبراعة فاتنة) من أجل خاطري . آخر يوم لصور "والتر" . لقـد بـاع خمـسة تقـريبا . . . وهـناك واحـدة أود لـو أن تشتريها . .

فيلـــــيب : لا أستطيع أن أتحملها . .

جيـــــسكا : لا أتـصور يـا "فيلـيب" أنك نادم إجمالا علي الزواج مني؟ (مـع أن "فيليب" متعود بما يكفي علي فتنتها ولا منطقيتها المقبولة ، يقفز بالفعل)

فيلـــــيب : يـا للـسماء!! "جيـسكا" ، لقـد خرجنا احدي عشر عاما ، أليس كذلك؟

جيـــــسكا : (تمـيل برأسها جانبا ، وتصبح نصف جادة) هل أنت علي الأقل راضيا بالزواج مني؟

فيلـــــيب : عزيزتـي . . لـست أفكر في ذلك يا "جيسكا". لا أستطيع البقاء في لعبة الرد السريع . .

جيـــــسكا : (تبـتعد بنفـسها في الحـال ، جريحة ونصف منهورة بجدية) آسفة . أعرف أنني قاطعتك

فيلـــــيب : (نادمـا في الحـال ، نظـرا لأنهـا جـد جمـيلة) لا ، لا . .! لم

أقصد ذلك . هذه أمور غير هامة (ولكنه يستمر مع خطاباته . وتقف "جيسكا" ناظرة إليه ، ويقسو وجهها قليلا)

جيسكا : ولكن هناك وقت لتنهي خطاباتك ، حينما أتعب في انتظارك .

فيليب : أعرف . . أنني لا أنهي خطاباتي تماما هذه الأيام . انتابتك نوبة قلق مملة هذا الصباح وهذا ما جاء بك ورائي . هل سنستأجر سيارة لنهاية الأسبوع؟

توماس : (منخرطا في محادثة ثنائية ، وهو يدخل) سيقدم لك عرضا عن المكان هنا يا فيليب .

فيليب : عظيم . . !

جيسكا : (تقف هناك ناظرة لأجمل ما فيها) "تومي" ، لتخرج للغذاء . . لن يخرج "فيليب" .

توماس : أخشى ألا أستطيع . .

جيسكا : سألتقي مع "ماجي إنمان" ، و "ميورهيد" الشاب . سيغازلها طول الوقت ، وإن لم يكن هناك رابع ، سأتجمد من البرد بشكل مخيف .

فيلــــــــيب : (مغلوبا بمثل هذا الانقلاب أو الارتداد) أوه . . جيسكا!

تـــــــوماس : (عـصبيا فـيما يـبدو . علـي الأقـل لا هو مستعد ولا هو جـسور) نعـم . . سـتخرجين بالطـبع ، ولكـن أخشي ألا أستطيع .

جيـــــــسكا : (في قنوط فرح) حسنا ، لن أسوق مرة أخري إلي "بيكهام" في الصباح . يوم الأربعاء إذن ، هل ستتصل بيّ؟

تـــــــوماس : الأربعاء؟

جيـــــــسكا : حفل سيمفوني . .

تـــــــوماس : (بجديـة مفاجـئة) أتعرفين . . أخشي ألا أستطيع أيضا ولا يوم الأربعاء

جيـــــــسكا : ولم لا؟

تـــــــوماس : (مـع أن تظاهـره يتلاشـى أمـام الحـدة المؤكدة في سؤالها) حـسنا . . أخـشي ألا أستطيع . (من الواضح أن "جيسكا" لـديها مـزاج تمخـض عـن نقطـة السيطرة التي ربما تجعلها كـريهة . تـصبح الآن فاتـرة جـدا ، ومـتحفظة جـدا ، ومتسرعة جدا)

جيسكا : أكدنا الموعد فقط في الليلة الماضية . ما الساعة؟

فيليب : تقترب من الخامسة . . .

جيسكا : لابد أن أنصرف . . سأتأخر .

توماس : (باهتمام عظيم) ستأخذين سيارة أجرة؟

جيسكا : أعتقد ذلك . .

توماس : ربما أمكننا أن نلتقي في الموعد التالي .

جيسكا : ليكن "تومي" . . لا تكن معذب الضمير . ولكن عندما تغير رأيك عن الخروج معي ، سيكون أكثر إمتاعا لو أنك وجدت بعض الأعذار . وداعا لكليكما . .

فيليب : (وقد خرجت "جيسكا" ينادي وراءها) سأكون هناك في السابعة يا عزيزتي . ("توماس" ينظر بارتياح قليلا ، ثم يصبح قلقا إلي حد ملحوظ ، وفي الحقيقة يعبس بشكل منذر بالشر . "فيليب" يتخلص من رسالته الأخيرة) هكذا نظمنا دنيا العمل بينما تكوين صداقة بين الرجال والنساء شيء بالغ الاصطناع . .

توماس : (دون اهتمام) حقا؟

فيلـــــــيب : أعتقد ذلك . ما الذي علينا أن نقره قبل العصر .

تـــــوماس : ليس كثيرا . . (ثم يبدو مشغولا بشيء ما) ولكن أريد ثلاثة دقائق أتحدث فيها معك أيها الكبير !!

فيلـــــــيب : أوه !! (ينهض ويتمطى)

تـــــوماس : هل تظن بي أنني قد أقول شيئا فيه سفالة ؟

فيلـــــــيب : لا . .

تـــــوماس : انتبه ، ولا تجعلني مقربا جدا من بيتك . .

فيلـــــــيب : (ينظر إليه لنصف دقيقة متحيرا) ولم لا ؟

تـــــوماس : إنني أرى زوجتك أكثر من اللازم (إنه جاد جدا بشكل حاد لما قال ، حيث يمكن حتى أن يتظاهر "فيليب" بالكاد ، إنه صدم)

فيلـــــــيب : عزيزي "تومي" !

تـــــوماس : لا أعني كلمة واحدة منفصلة عمّ قلت .

فيلـــــــيب : (بطبيعة طيبة) "تومي" كنت دائما تغازل "جيسكا" . .

تـــــوماس : لا أريد أن تعتقد أنني أعشقها ، ولو بأقل قدر .

فيلـــــيب : لا ، بشكل طبيعي . . . فلك زوجتك التي تخصك .

تـــــوماس : (في اتفـاق شديد بشكل أخوي) صحيح . تلك فطرة جاد سليمة .

فيلـــــيب : ومـع ذلك باعتباري زوجها . . أنا منفتح في هذه المسألة . ولا أعتقد فعلا أن "جيسكا"، عاشقة لك .

تـــــوماس : (بسخاء شديد) ولا لدقيقة واحدة .

فيلـــــيب : إذن فيما القلق ، أيها الحمار السخيف؟

تـــــوماس : (يـبدأ الشرح ، وإن يكن بشكل ملتو قليلا) حسنا "فيليب"، الأمـر يـبدو كعـالم ملعـون وغير ملحوظ . . لا أدعي أنني أفهمـه ، ولكن مع كبر السن ، تهيأ لي نوع من الحكم عن خـبرة العمـل المكـتبي ، يمكنني أن أعمل بها ، وهي- كما لعلك لاحظت- دفعت ثمنها .

فيلـــــيب : حسنا . . وبعد؟

تـــــوماس : "فيلـيب". . أنا لا أحب النساء ، ولم أحبهن أبدا . . ولكن أكـاد أبالـغ كـثيرا عـندما أقـول إنـني تـزوجت ببـساطة لأتخلـص مـن عـادة أن أجـد نفـسي- ولـو مـرة كل ستة شـهور- في موقـف مـع واحـدة مـن أولـئك اللائـي من

المفترض أن أعاشرهن .

فيلـــــــيب : (ممتعا نفسه) وماذا ترين فيك يا "توماس" ؟

تـــــوماس : أالله أعلـم ، يا كبير . . أنا لا أدري . والوقت صدّق عليه! بالطـبع كـنت أعشق "ماري "كثيرا بقدر ما تحب ، وإلا ما استطعت أن أسـألها أن تتـزوجني . ولولاها لما كنت شيئا ولا أبـا لأطفـال ، نظـرا لكـل ما عشته . ولكن لا أصدق أنـني كـنت سـأخرج عـن مساري لأنال بيتي ، إن لم أنقاد إلـيه ، يـا كبير . . أنقاد إليه . أنا لن أبدأ اللعبة القديمة مرة ثانية الآن (يهز رأسه بحكمة)

فيلـــــــيب : ومـا الاتهـام الموجه إلي "جيسكا" ؟ دعنا نحدده بكثير من الكلام الواضح .

تـــــوماس : (يـستجمع نفـسه لإصدار المديح المبرر بفعالية) إنها منتج غايـة في الروعة ، فاتنة جدا ، وامرأة ذات حلاوة طبيعية . وأعتبرها زينة للمجتمع .

فيلـــــــيب : (بحمـية مماثلـة) أنـت علـي حـق تـام يا "تومي" . . وماذا سنفعل معها؟؟

تـــــوماس : (بعبارته المفضلة) ماذا تقصد؟

فيلـــــــيب : حسنا . . وما مشكلتك معها؟

تـــــــوماس : (مـازال يـتحدث بـشكل ملـتو) لا مـشكلة حتى الآن . . ولكـن . . حـسنا . . كـنت أخـشي أن" جيـسكا "، طـوال الأسـابيع الـثلاثة الماضـية ، بـدأت تـتحدث معي عنك . وهـذا سـبب أنني أتحدث إليك عنها . (ثم بمتعة أكيدة من صدمة تسيب سلوكه) أنا وغد . . !

فيلـــــــيب : (مـازال لاهـيا . . وإن يكـن بمـذاق حمضي إلي حد كبير) تأيـيدي لمجلـس المقاطعـة يجـب أن يكـون موضـوعا أكثر خطورة . .

تـــــــوماس : ولكـن هـذا الموضـوع مـا بـدأ . ثـم هـناك تلمـيحات . . تلمـيحات جمـيلة تمامـا . . عن الطريقة التي تتواصلان بها مـع بعـضكما . لـيلة الأمـس في سـيارة الأجـرة ، كانـت تتحدث عن فترة صباها . .

فيلـــــــيب : عدت إلي بيتي . زوجا لبقا !

تـــــــوماس : "فيليب" . . . لا تكن فرنسيا .

فيلـــــــيب : (يـستدير إلـيه ، جادا بشكل مفاجئ) ولكن ،" تومي" هل تتخيل أن" جيسكا" تعيسة معي؟

تـــــوماس : لا ، لا أتخيل . ولكـن تنـتابها الكـثير مـن الهـواجس . . عـندما تمـلّ بدعوة الناس ، وموسيقاها وصورها . . . وما أن تـبدأ التعـبير عــن مـشاعرك بالكلمــات . . تكـبر الهواجس . .

فيلــــــيب : ولكن إن كانت تعسة ، أفضل أن تثق فيك . .

تــــــوماس : (يهز رأسه بعنف) لا . .

فيلـــــــيب : ولما لا يتعين أن تثق ؟ ، أنت صديق .

تــــــوماس : نعـم . . لا يـوجد سـبب . . . ولكن أقول لك ، إن الأمر يبدأ دائما بهذه الطريقة

فيلـــــــيب : أنـت جحـش سـخيف . . ألا تـستطيع أن تـترك امـرأة تتحدث إليك بجدية دون معاشرتها ؟

تــــــوماس : أمـر ملعـون ، هـذا مـا تقلن . . ولكن لا يؤدي أبدا لأي اختلاف .

فيلـــــــيب : "تومي" . . . أنت طفل كامل !!

تــــــوماس : أتذكر أنني حينما كنت في الرابعة والعشرين ، كانت هناك امـرأة . . أكـبر مـني بـسنين ، ولديها ولد ناضج . أخذت تـوبخني علـي تضيع وقتي في المغازلة . أخبرتني أنها فعلتها

بنفسها مرة . أخبرتني لماذا فعلتها ، امتنعت عن تقبيلها لستة أسابيع ، وسأقسم أنها لم تشأ مني أن أقبلها . ولكنني قبلتها .

فيليب : وهل ضربتك علي أذنك؟

توماس : لا . . قالت إنها لم تستطع أن تعاملني بجدية . حسنا . . لو أنني ابتعدت لكان في ذلك حذلقة . ولو أنني بقيت لكنتُ فعلتها ثانية .

فيليب : (بإيذاء) وما الذي فعلته؟

توماس : أوه . . لا تهتم أبدا .

فيليب : (بأدب عال) حسنا . . لديك ترخيص أن تقبل "جيسكا"، لو أنك تعتقد أنها تريدك .

توماس : شكرا لك ، يا كبير . . موقف فيه مهارة شديدة ، وعصري جدا ، وما إلي ذلك . . ولكنني طلبت منك أن تبعدني عن البيت علي مسافة ما . . .

فيليب : لا ، لن أبعدك . .

توماس : إذن . . فلست صديقا ليّ . . .

فيلـــــــيب : لننظر للأمر بهمجية تامة . لو اختارت "جيسكا" أن تكون غير مخلصة ليّ ، فكيف ليّ أن أمنعها . . حتى لو ليّ الحق أن أمنعها؟

تـــــوماس : إن لم تكن مستعدا للتصرف كرجل راق متزوج ، فليس من حقك أن تتزوج . . تصبح خطرا .

فيلـــــــيب : أيضا يا "تومي" لو أنك ضبطتني أعاشر زوجتك ، قد تتكلم معي . . ولكن ما كنت تتكلم معها عن ذلك .

تـــــوماس : (بلمسة عاطفية) "ماري" مختلفة . (ثم يحتج ثانية) كما أنني لم أعاشر زوجتك . قلت لك ذلك . .

فيلـــــــيب : إذن لو عاشرتك . . أنصحك بالهرب لمصلحتك . . .

تـــــوماس : إنها لا تعاشرني . ولكن إن لم تستطع أن تلمح . .

فيلـــــــيب : ألمح!! . . حسنا ، أنا محطم . . !

تـــــوماس : حسنا ، يا كبير . . قدمت لك تحذيرا صريحا عن نوع الأحمق الذي أكونه . . ولن أتحمل مزيدا من المسئولية بهذا الشأن .

فيلـــــــيب : (في يأس هزلي) لا تحذرني ، حذر "جيسكا" . . قل لها

إنك تخشى أن ترتكب حماقاتك معها . .

تـــــــوماس : (يـرتفع حاجبيه) ولكن هذا خيرٌ مثلما يفعله إله خيّر ، لا يمكنك أن تتصرف مع النساء كما لو كن رجال!

فيلـــــــــيب : ولم لا؟

تـــــــوماس : تجربها . .

فيلـــــــــيب : دائما ما أجرب . .

تـــــــوماس : لا عجب ، أنها تود أن تفضفض لي عن تذمرها منك . .

فيلـــــــــيب : (يعامله بجدية مرة أخرى) اسمعني ، "تومي" ، أنا أعرف "جيسكا" جيدا . إنها لا تريد أن تكون عشيقة . .

تـــــــوماس : (بإيجابية وشكل نهائي) بل تريد . (ثم بفروسية حقيقية) لا أعني باستياء ، ولكن النساء كلهن كذلك . بعضهن تردن التقبيل ، وبعضهن تردن الكلام في السياسة . . ولكن المبدأ واحد . . .

فيلـــــــــيب : (باحتقار مترفع) أي عالم تعيش فيه .

تـــــــوماس : والصعوبة بالنسبة ليّ ، أنه إذا حاولت أن أتكلم في السياسة ، أكتشف أنهن لا تعرفن ما يكفي عنها . . . أو

أنهن علي العكس تعرفن الكثير جدا عنها . . . ومن الأسهل تقبيلهن وأن تفعلها . .

فيليب : أوه ، أسهل كثيرا !!

توماس : (يعود إلي نقطة بدايته . . . مثيرا للشفقة) ولكنني متزوج الآن . وأريد حياة هادئة . . (طرق علي الباب ، يقاطعه)

فيليب : ادخل . . (يدخل "بيلهافن")

بيلهافن : ستتناول الغذاء يا سيدي ؟

فيليب : ماذا عندك ؟

بيلهافن : أخشي أن يكون ما هو معتاد ، يا سيدي . .

فيليب : أيمكنك تقبُّل ما هو معتاد ، يا "تومي" ؟ ، وما هو "بيلهافن" ؟

بيلهافن : لحم ضأن مسلوق ، حلوى مربي فيما أعتقد يا سيدي (ثم كاعتراف بنوع من السوقية) كعك ملفوف .

توماس : (بقبول عظيم) أوافق ، وأتمني لو كانت مربى فراولة .

فيليب : بالتأكيد ممكن . ضعه في غرفة السيد "هاكستابل" . . فهمت ؟ ، أنها أكثر تهوية . .

بـــــيلهافن : نعم يا سيدي (ينتهي ويخرج)

تـــــوماس : ليس "برقوق".. تعرف أن البرقوق لا يصلح .

فيلــــــيب : (يستجمع أوراقه) سأعطي رسالتك للمرأة الشريرة . .

تـــــوماس : (يتلقى إنذارا لم يفكر فيه) لا . . تصرف بمبادرتك الذاتية ، فلن تبالي بعد ذلك .

فيلــــــيب : "تومي". . لا أستطيع تصور أنني بعمامة التركي . إحساسي بالمزاح ، وإحساسي بالرقة نحو النساء ، لن يفارقني . .

تـــــوماس : (مقطبا) أعتقد من الأفضل ألا أخبرك . .

فيلــــــيب : (غير متعاطف) ولم لا؟ بجانب إخبارها ، الشيء البديهي يتم . .

تـــــوماس : لن تفكر بهذا الشكل . .

فيلــــــيب : سيتعين عليها أن تفكر(هناك شيء أشبه بالوحشية في هذه الكلمات التي يحدق فيها "توماس"، ثم يقول بشكل ارتدادي)

تـــــوماس : فيليب ، ألم تحمد الله قط أنك لست امرأة؟

فيلــــــيب : لا . .

تـــــوماس : حين أفكر في أن أغلبهن ينبغي أن تخترن بين بلهاء طيبي القلب مثلي ، وشياطين قساة القلوب مثلك . . أدهش أنهن تتحملننا كما تفعلن .

فيلــــــيب : (يحدق إليه تباعا بابتسامة شاذة ، ثم بينما يستدير ليخرج) فعلتها ثانية يا تومي .

تـــــوماس : ماذا؟

فيلــــــيب : ملاحظتك الوحيدة المعقولة . . تعال ورائي (ويخرج)

تـــــوماس : (يتبعه محتجا) اسمعني . . ماذا تقصد بملاحظتك الوحيدة المعقولة . . وكأنها ملاحظتك الجهنمية . . (يسحب الباب وراءه . وتبقى الغرفة وحيدة بقبحها)

* * * * *

(الفصل الثالث)

(في عـام ١٨٨٤ ، انـتقلت دار "مـدراس" إلي مبانيها الحالية في شارع "بـوند"، في هذه الأيام كان التزيين غالبا ما يعني بالدهان وأوراق الحائط ، ولكـن الـسيد "قنسطنطين مدراس"، لم يتابع إلي أن يجمِّل الدار التي تمثل انتـصاراته المهنية . فلم يمكنه الرسم ولا التلوين ، ولكنه صمم الدار ونظر إلـيها كلها بنفسه ، وكان رجل قوة الشخصية ، الذي تمخض مع ذلك عن شـيء غـير ملائـم حتى الآن وإن يكن صادقا بطريقة فعالة . وقد أضاف إلي سمعته وإلي جاذبية دار "مدراس".

كانـت هـناك تغـيرات في سـت وعشرين عاما ، ولكن غرفة واحدة لم تمـس من وقتها حتى الآن . إنها مكان دائري البناء ، فسيح ، عال ، بنافذة سـقف صـممت بأسـلوب مراكشي . الحوائط من الرخام الأسود بارتفاع رجـل ، ومن عند هذا الحد إلي السقف الأحمر القاتم . السقف من الأزرق الـسماوي ، وفي المنتـصف نافـذة سقف الشمس الذهبية ، ذات أشعة تمتد مـن مظهـرها الإنـساني اللطـيف ، وتأخذ تأثيرها من بعض الضوء الذي تعترضـه . مـدخل ممـر يتخذ من أعلي شكل قوس متموج ، ويفضي إلي بقـية المؤسـسة . مـدخل آخـر خلفـه رصـيف ، أعلي بخطى قليلة ، معلق بالقطـيفة الـسوداء . المـدفأة الـضرورية- كانـت هـناك أنابيب ماء ساخن ١٨٨٤ ؟- تختفـي بـستارة ثقيلة متعددة الألوان ، ومثيلتها معلقة فوق باب صـغير مقابـل . علـي الأرضـية سـجادة فارسـية تتسم بـبعض الجمـال الحقيقـي . علـي الحـوائط نـتوءات أنابـيب الغاز- (١٨٨٤ مرة أخري) . اللمـسة الـشرقية تحققت في أشكالهم الهلالية . حول الحائط آرائك ، بكثير مـن الوسـائد ، أمـامهم مقاعـد مقهـى صغيرة . هذا كل شيء عن الطابع المراكـشي ، مـثلما في محطـة شـارع "بيكر"، ولكن الأثر العام ، مضحك ،

ممتع وحتى غير مخجل .

في الأيام الكبرى الخوالي لدار "مدراس"، كانت القاعة الدائرية المُربّي السعيد الذي يصون الزبائن ذوي الخصوصية، أولئك الذين يضع الرجل العظيم عينه عليهم . ولو كنتَ هناك وتحدثت عن الدار بشكل عرضي، في الحقيقة، لتكون خالية من القاعة الدائرية، لما وجدنا امرأة حسنة الثياب، ومعترفًا بها من كل المجتمع بحد ذاته . منذ تقاعد السيد "قنسطنطين مدراس"، كانت دار مدراس في طريقها لأن تصبح تقريبا مثل أي دكان آخر، فخاصة الزبائن، دون تحديد نوعية، والإدارة المنحطة في القاعة الدائرية، التقوا علي التفكير في اختيار نماذج الموضة الجاهزة من باريس . منضدة بيضاوية كبيرة كان لابد أن تستورد، وستة مقاعد مراكشية . وفيما يبدو - لمفاجأة الرجل المحترم الذي ذهب ليطلب مثل هذه الأشياء - كان هناك ذلك العدد فقط في الوجود . إن مشهد الأمجاد السابقة، ربما يصبح الآن مشهد انتقال دار "مدراس"، إلي أيدي غريبة .

الساعة الثالثة من عصر يوم الاثنين، حيث يتعين بحث الصفقة، وإنجازها إذا أمكن، وهي الآن تجاوزت الثالثة بخمس دقائق . وهناك يجلس الرائد "توماس"، إلي المنضدة، وقد انتشرت أوراق، حيث يقدح فكره في بعض الأرقام النهائية، وهناك "فيليب"، بمزاج صبي مدرسة إلي حد بعيد . إنه يجلس إلي المنضدة مؤرجحا ساقه . السيد "هاكستابل" هناك أيضا، مرتديا أفضل ثيابه، بأهمية وعصبي، ويتحدث إلي السيد "إيستوس بيرين ستات" .

"السيد "ستات" أمريكي، ولوأن مجلة أدب أمريكية اقتربت منه بأي شكل، فلن يشبهه أمريكي علي الإجمال، له وجه من النوع القاسي

الحديدي المفعم بالدم ، كاذب تماما بنظراته الناعمة المبتسمة ، كاذب بحق أيضا ، نظرا لأنه كوّن ثلاثين أو أربعين مليون بالأسلوب الألطف . . قدر ما يعرف ، وقد لا تعتبره صانع ثروة . وفي واقع الأمر لا يحب المال ، وقليلا ما يحتاج إليه نظرا لأذواقه البسيطة . ولكن صناعة المال المهنة المخيفة في بلاده ، ولديه غريزة الانقلاب علي المال ، وكذلك ملكة صناعته بدرجة كبيرة جدا . الصدمة في شعره الرمادي تجعله يبدو أكبر مما يحتمل أن يكون ، كما أن صوته يشبه كثيرا الأطفال في حلاوته . ولدية الكرامة والكفاءة للقيادة التي تخولها السلطة .

ومن القبة السماوية يأتي السيد "ويندلشام"، المدير الحالي للمؤسسة . إنه خياط ترزي مطبوع ، وقد تخلى عن الخياط ليبدأ كصانع تماثيل من الشمع ، وصانع شعر مستعار . أما ثيابه فهي مثالية تماما لأن يرتديها أي شيء إلا أن يكون دُمية . وشعره وبشرته أبعد ما يكونا عن الطابع الإنساني . ليس لأنه يصبغها أو يطليها ، لا . . إنهما يبدوان فقط كذلك . صوته أيضا غير إنساني قليلا . كما يفضل الفرنسية لنفسه ، وإن تكن معرفته بها غير ناضجة غالبا ، ويتحدث الإنجليزية كثيرا كفرنسي ، مثلما تشبه لغته الفرنسية الإنجليزية ، ومحادثته تبدو غير واقعية مثل بقية شخصيته . ومن المحال أن تفكر فيه ، في أيّ من علاقات الحياة العادية . إنه موظف . والطبيعة ، المخترع العظيم ، ستطور- بخشونة علي أية حال - ما هو ضروري للاستخدام ، فصناعة قبعات النساء ، طورت بائع قبعات النساء . وبينما يدخل وله مشية طائر الذعرة المائي[1] ، يجري السيد "هاكستابل" محادثة: -

(١) "wagtail"، الذعرة أو هزاز الذيل . وهو طائل مغرد أوروبي آسيوي ، وأفريقي يعيش أصلا في الماء ، ويتميز بذيل طويل يهزه صعودا وهبوطا .

هاكستابل : مقياس تام لضغط الجو ، كما يمكن أن تقول ، حين تتعود عليه عيناك .

ويند لشام : (إلي "فيليب" ، وبهزة من رأسه للخلف إلي الغرفة الأخرى) إنهن مستعدات تماما .

ستات : (مبتسما للسيد "هاكستابل "بحسن نية) صحيح؟؟ ، قصر الكريستال! يا له من صوت!

هاكستابل : (بفخر متواضع) وموقع صحي جدا!

فيليب : تعال وقابل السيد "ستات ".(يقفز من المنضدة ، ويقبض ذراع "ويند لشام")

ستات : (متحمسا) تل الدانمرك . . مجاملة للملكة "أليكساندرا " . .

هاكستابل : (مصدوما بالمعلومة) أكان ، الآن؟

ستات : تل "هيرن" . . . "هيرن"، الصياد . . ! ذلك سحر لندن بالنسبة للأمريكي . الرابطة ، الاتحاد . . كل بقعة فيه تنطق . .

فيليب : (بينما ينضم إليهم) هذا مديرنا السيد "ويند لشام". سيعرض علينا الآن بعض النماذج .

ســــــتات : (يمد يدا بشكل مهيب ، ويكرر الاسم) السيد "ويند لشام"!

ويـنـد لـشام : سعيدا جـدا . . حسبت أنك ربما تفضل أن تري النماذج الأخيرة بالذات . . جئت بها من باريس ، بالأمس فقط .

ســــــتات : في الـوقت المناسـب جـدا! (ثـم بإشـارة ماسحة للمكان) سيد "فيلـيب"، هـذه الغرفة ملهمة ليّ ، أهي من تصميم أبيك؟

فيلـــــيب : نعم . .

ســــــتات : اعتقدت ذلك . .

فيلـــــيب : من المعتاد أن تكون مكتبه الشخصي .

ســــــتات : (بـتوقير) حقـا! . . حيث تجثو الدوقة علي ركبتيها! موقع تاريخي . مثيرٌ لي جدا!

فيلـــــيب : فيه طابع أسطوري . .

ســــــتات : (جـادا للغايـة ، يـبدو الآن وكأنـه يرتقـي منبر قاعة سرية للمناقـشات الفلسفية) وأنني أومن بالأساطير يا سيدي . . إنهـا جانـب الحقائـق الروحانـي . وتـتجه إلـي تـشكيل التقالـيد . ولا تُعطـي لإنـسان يـبني مؤسـساته في أمـان العقـل ، اللـهم إلا علـي التقالـيد . وهـذا سبب أن أعيننا

تتجه من أمريكا شرقا إليك ، يا سيد "هاكستابل".

هاكستابل : (ببعض الوجل) وهل هي كذلك الآن؟

ستات : ألم يلفت انتباهك أبدا أنه بينما كان تقدم الإنسان في مسار الشمس ، فإن أفكاره تعود باستمرار إلي مكان شروقها؟ وقد وجدتها أحيانا فكرة مستنيرة جدا .

فيليب : (عاديا وإن يكن بغير إخلال بالأدب) حسنا . . هات النماذج هنا الآن ، يا "ويند لشام"، ونحن ننتظر . .

ويند لشام : قد تلقي بنظراتك علي أولئك الفتيات الجدد ، سيد "فيليب"، أفضل ما استطعنا العثور عليه ، أأكد لك . وجوه من الصعب أن تحصل عليها ، ولكنهن رائعات . . حسنا ، هناك (يصل إلي الباب الصغير ، وينادي من خلاله) من فضلكن أيتها الآنسات ! . . لا ، لا من الباب الآخر ، علي اليسار[1] ، (ثم يعود ثانية) تجد التأثير الأفضل عبر المدخل الكبير (ويمضي لما هو أبعد لشرح النماذج ، بتخطيط واحد في الهواء) واحد ، اثنان ، لأربعة أولا . . (يستعرض بعض رسوم الثياب التي كان يحملها ،

(١) حديثه إلي الآنسات هنا باللغة الفرنسية .

يـوزع واحـدة أو اثنـتين ، ثـم ينتهـي إلـي داخـل الغـرفة الأخـرى ، الـتي يجلجـل منها صوته بالفرنسية) إلي الأمام مـن فـضلكن . . رقـم واحـد .!. . هائل!! . . رقم ثلاثة! لا ، لا يا آنستي ، ليست مريحة . . لننظر إلي الصدرية . .

هاكستابل : (متقلب الـوجه) مـا أفكـر فيه دائما ، لماذا لا يكون لدينا شاب يتسم بالرجولة ، ونحمّله مسئولية المكان هنا . .

سـتات : (بعدالـة تامـة) قـد يقـال إن الـسيد "ويـند لـشام" ، يلفت الانتـباه . سـواء أكانـت الملاحظة صحيحة أو . . . ؟ (من خـلال المـدخل الكبير يشير "وند لشام" إلي زى باريسي ، الـصيحة الأخيرة نفسها في التبرج الرصين والنفيس ، رقة في الألـوان ، نعـومة في الملمس ، إبداع . وهذا ما يتكشف علـي شـابة ذات حـضور سـار ، آسـرة بأسلوب عرضها الـذي تحققـه بخطـى بطيئة متعرجة ، وحركات لا تنقطع . تنزلق إلي الغرفة ، تتزين بابتسامة أيضا)

ويـند لـشام : الأولـي والثانية . . من طراز "لانجلير[1]" ، يا سيد "فيليب" .

---

(١) يقـصدنيكولا دي لارجلير- Nicols de Largillière/١٦٥٦ -١٧٤٦، وهو رسام فرنـسي اشتهر برسم الوجوه في عصر لويس الرابع عشر والخامس عشر ، ولم يكن فنه فرنسيا خالـصا ، إذ قـضي جانـبا كبيرا من تدريبه علي يد فنانين إنجليز ، وأدخل تأثيراتهم في لوحاته الباريسية .

لا يمكنه تحقيق التأثير الإنجليزي أليس كذلك؟ . . إطلاقا . . أنا قلت له . إلي الخارج يا آنستي[1] (الموديل لم تزل مبتسمة وتتمايل ، وتدور عبر الغرفة . تبدو غير واعية بمن في الغرفة ، وفي المقابل ، يتظاهرون علي نحو مرعب إلي حد بعيدا بأنهم لا يلاحظونها . ولكن فقط يحدقون في الزى) . . رقم اثنان . . (زى آخر ، مائل بخلاعة ، مع قبعة بشعة علي نحو متعمد ، والفتاة التي تعرضه تمشي ببطء وتتمايل مرة ثانية بابتسامة فارغة) ولكن هذا أنيق ، أليس كذلك؟ (بالفرنسية) خروج . .

ستات : (في استفسار متجهم) وما هو الأثر الإنجليزي؟

فيليب : الرجل الفرنسي يقول لك ، لإنجلترا . . ينبغي أولا أن تضع التصميم ثم تفسده . .

توماس : (وقد لفت انتباهه) ألا يتحدثن الإنجليزية؟

ويندشام : أوه ، علي الإطلاق . . أعني ولا كلمة! . . جئن إليّ بالأمس فقط . . هؤلاء الثلاثة .

توماس : لأن هذا الفستان سميك قليلا ، كما تعرف . .

---

(١) بالفرنسية "Promenez et sortez Ma'moiselle".

ويندشـــــام : (بالفرنـسية) رقم ثلاثة .! (زى ثالث . يرجى أن يكون له تـأثير بـرئ . الـشابة الـتي تلبـسه ، تتبدى عابسة بدلا من مبتسمة)

فيلـــــــيب : ما هذا؟؟ (عينه علي قبعة متعالية من القش)

ويــند لــشام : (بقلـيل مـن غمغمـة الـبهجة) إنهـا قبعة جديدة . الحسناء "هيلين" مرة أخرى!

ســــــتات : (مهـتما ، وإن يكـن مـازال متجهما) الحسناء هيلين . أهي شركة باريسية؟

ويــند لــشام : (يحـول مـا سمعـه إلـي مـزاح) حسنا . . عزيزي ، يمكنك تقـريبا أن تعتـبرها كذلك . أليس كذلك؟ (يقفز فجأة نحو الـزى المعروض ، ويوقفه تماما . بالفرنسية) أوه ، يا إلهي!! الكـريب جورجيت ، القماش الحريري . . . هل انزعجت (يـتقدم منها لإعادة ترتيب الكريب جورجيت بما يرضيه ، وأيـضا يعـدل عناصـر أخـري تـبدو انتـزاعا لأحشاء من الثـياب الداخلـية . الفتاة العارضة تبدو ممتثلة ، وعابسة في مثابرة ، ولكنه لا يبالي بوجودها المستقل . ولكن "توماس"، يصدم بشكل ملحوظ ويهمس بعنف إلي فيليب)

تـــــوماس : رأيّ . . لا يجب أن يسحبها حولنا بهذا الشكل . .

ويـند لـشام : (يقفـز متراجعـا ليـبدي إعـجابه بالنتيجة) أوه . . هكذا . . هكـذا . . (تـستأنف المـوديل دورتهـا . والأخريات مازلن تـدرن ، في تـراخ وتثني ، بينما "ويند لشام" يتجول حولهن وبينهن . المشهد كله يبدو وكأنه رقص دراويش عصريين)

فيلــــــيب : (بجمـود) الحسناء "هيلين"، يا سيد "ستات"، بغي باريسية شـهيرة . . تـصمم الكـثير مـن المـوديلات الـتي تهـواها زوجاتنا وبناتنا بعد ذلك . .

هاكـستابل : (يشعر بالافتضاح) لا تقل هذا يا "فيليب". أمر لا يليق .

فيلــــــيب : لماذا؟

هاكـستابل : أنا واثق أنه لا توجد سيدة تعيه . . .

فيلــــــيب : ولكـن ماذا يمكن أن يكون أكثر طبيعية وصوابا من تحديد فاتنة محترفة مسار الهواة

ويـند لـشام : (متوقفا في الرقص) رائعة تماما بالطبع البغي الصغيرة!

ســــــتات : (بجديـة) هـل تستنتج اختلافا يا سيد مِدراس ، في الدرجة ولكن ليس في النوع؟

فيليب : (يردد نغمته بكياسة) صحيح . .

ستات : وهي ملاحظة بعيدة المدى يا سيدي

فيليب : وهي كذلك . .

توماس : أتعرف الفتاة شخصيا يا سيد "ويند لشام" ؟

ويند لشام : (يستدير وبعض من علامة الزى في يديه ، وهكذا يحتجز الموديل بغير وعي) أوه! ، لا . . يا عزيزي لا . . بالعكس ، أأكد لك . لا شذوذ في باريس بالنسبة ليّ . شبعت بالملذات منذ عهد بعيد .

ستات : ولكن لمسة تلك القبعة يا سيد "ويند لشام" .

ويند شام : أوه ، لتكن متأكدا (بالفرنسية) انتبهي يا آنسة (يمشي علي أطراف أصابعه ، يميل قبعة القش ببراعة ، من علي الرأس الرائعة التي توضع عليها) إنها قصة سيئة دافئة (بالفرنسية) اخرجن . . (تتهادي اثنتان من الموديلات للخارج ، وتتبعهما الثالثة . يتنهد "ستات" الذي يجد صعوبة في أن يرفع بصره من عليهن)

ستات : لو أنهن فقط تبتسمن أو تغمزن ، ربما أمكنني أن أتغلب علي الشعور الاستثنائي الذي تمنحني البسمة أو الغمزة .

ويند شام : (يداعب القبعة ، ويتأهب لقصته) حسنا . . من الواضح منذ فترة ، في الخارج قبل "كاثلين" . . كانت هناك "هيلين" . . تتناول كوبا من الحليب المخضوض بعد الظهيرة . ما الذي ينبغي أن تراه سوى المدام "ارلنكورت" . . المرء لا يعرف ما يكفي عن هذه السيدة بالطبع . . في قبعة توأمها نفسه . . . التوأم نفسه . حسنا . . لك أن تتخيل . . المرء يتخبط

ستات : (مستغرقا) لا . . لا أتابع .

فيليب : أحد الجواسيس في خدمة هذه السلطة الأجنبية ، تحصّل علي خطط القبعة وانشق بها

ستات : ما اسم المدام التي أمكن أن تراها عليها ، من قبل ونسختها . .

فيليب : "هيلين" ، يا سيد "ستات" ، لا ترتدي القبعة مرتين .

ستات : خطأي !

ويند شام : ولذلك كان هناك مشهد مرتبك .

توماس : مع المدام . . ؟

ويند شام : (مستنكرا أيا من هذه السوقية) أوه ، لا . . فقط "تركت

"هـيلين" القـبعة تطـير علـي رأس وصـيفتها ، وهـي في قبضتنا ، هكذا يمكن القول . . . .

ســـــتات : (متألقا) وصيفتها ! . (ثم برهبة مضحكة) لا . . اعذرني . استمر . . استمر .

ويـند لـشام : خلعـت قبعـتها الخاصـة ، وشبكتها علي رأس أقبح صبية صـغيرة وجـدتها ، ودفعـت بالطفلـة تمـشي علـي طـول العـشب بالقبعة . ثم أرسلت إلي المطابخ بشأن واحدة من تلك السلال التي يحضرون فيها السمك . . (يلوي القبعة) أرأيـت . ثـم مـزقت شـريطا بطـول يـاردة مـن تـنورتها الداخلـية ، ولفـته حـولها . ثم خلعت كليهما . . حسنا . . الحـسناء الفرنـسية ، فهمـت؟ . . هناك شيء ما في الجو ! ، إنها الأربطة التي خلعتها . . حرير أزرق .

ســـــتات : (متطهرا) علانية ؟؟

ويـند لـشام : (باحترافـية) أوه ، . . هذا ما حدث . علقت الأربطة معا ، وشـدت قطعة الشريط حول السلة بهذه الطريقة . ببساطة جدا !! وذلك ما ارتدته بقية الظهيرة ، وعادت إلي باريس هذا ما سيؤدي إلي الغضب . (بعدما يمثل بمهارة علي نحو

صامت تخليق الطراز ، يسلم القبعة بمزاج إلي السيد "سات"، الذي يفحصها . "فيليب" لاذعا وإن يكن بابتسام)

فيليب : الحسناء "هيلين" ذات خيال يا سيد "ستات". وهي أيضا فيما قيل ليّ مدبرة! تميل إلي التدين ، ونباتية ، ولا تشرب إلا ماء "فيشي"، وفي الحقيقة . . مؤتمنة علي مهنتها . . وفي الخارج علي مهنتنا . .

ستات : (يعيد القبعة بمزاح جاد) أنا ممتن كثيرا لك يا سيد "ويند لشام"، لهذه الطرفة المنيرة .

ويند لشام : ليس علي الإطلاق . . هل ستری الثلاثة الأخريات؟

ستات : بكل السبل . .

ويند شام : لن يستغرقن وقتا طويلاً في تبديل الثياب . ولكن هناك زيّا ينبغي أن أضبطه بنفسي

ستات : لا تتعجل . . (وقد اكتسب بهجة جديدة في "ويند لشام"، الذي يشاهده يرقص بعيدا . ثم تسمع الأغنية من الغرفة التالية)

ويند لشام : (بالفرنسية) هيا . . هيا . . رقم خمسة ، رقم سبعة . . رقم

عـشرة . آنـسة "أوليفـيا " . . قمـي أنت بدورها . . (ويغلق الباب . فيليب ينظر إلي ساعته)

فيلـــــــيب : ولكنها الثالثة وعشر دقائق . . ومن الأفضل ألا ننتظر أبي (يحيطون بالمنضدة ثم يجلسون)

ســـــــتات : رائد "توماس"، هل معك مفكرتي؟

تـــــوماس : هـا هي . . . (يسلمها إلي "ستات"، الذي يتنحنح ويمسك عن البصق ، ويبدأ الخطبة الأمريكية المعتادة)

ســـــــتات : أيهـا السادة ، المشروع الذي أود من أجله لو اشتريت دار "مـدراس "، وأضـفتها إلـي استثمار "بورروز "، التي أهيمن علـيها فعلا ، هو . . أن أضمها باختصار . . هذا ، مشروع "بـورروز "الإقليمـي . . تدركون هدفه . . وأمضي بعيدا بما يكفـي بقـدر مـا يفعـل المـساهمون الـذين يعنون بمخازن الأقمـشة المحلية . وكان مهما لهم أن أكتشف أي خصائص تلائـم مـشروع "بـورروز"، وأي مـدن . . ولمـاذا . مـشكلة تلفـت الانتـباه في سيكولوجية الشروط المحلية ! ، والآن . . حذفـنا مـن الكـتلة عـددا ملحـوظا من الحالات ، التي لا تـرتبط بـنا فـيها القـوى المحلـية . وعـندكم في "لـيستر"،

و"نورويتش"، و"بلموث"، و"كوفنتري" . . هناك أسماء غير معروفة، اسم "بوروز" غير الملهم، علي مؤسسة النار الجديدة المجاورة، قد لا تكون مؤثرة بأي حال من الأحوال . ولكن عندي سبب فيما وراء ذلك . . وآمل ألا يكون سببا غير هام، أن أضع أمامكم أيها السادة، السبب في أن تكون هذه المراكز الإقليمية، التي ينبغي أن نراها لتأسيس دارنا "مدراس" . . إضافة جديدة . أواضح هذا إلي حد بعيد؟ (خلال ذلك يصل السيد "قنسطنطين مدراس". يهمل للحظة إلي جانب الباب الذي كانت تدخل منه الموديلات وينضم الآن إلي المجموعة . رجل في الستين، وتعد الستون بالنسبة له مقتبل العمر . طويل، وقور تماما بشكل درامي، رقيق، اعتزالي قليلا . إنه واحد من أولئك الذين يعتبرون الحياة فنا يصممونه ليكونوا سادة . صاحب وجه لطيف . شرقي النوع، ولحيته الطويلة فقط مشبعة باللون الرمادي . لا يلبس كالرجال الخاملين، لأنه ليس واحدا منهم . يرتدي معطفًا قطيفة، رابطة عنك بمربعات حمراء، وبنطلون رعاة منقوش، حزام أبيض، و"بوت" ماركة، وكل أولئك

يناسبه ويعبر عن شخصيته بدقة وجيدا . مزيج الأصالة الحسية والتقاليد الذي يكوّن رجلا . "فيليب" الذي لمحه أولا ، يرحب به بشكل عادي متعمدا . ولكن السيد "ستات" ينهض معجبا ، فهذه واحدة من مذهبه لمعرفة العظمة ، ويصر أن يتعرف عليها)

فيليب : مرحبا بك يا أبي!

ستات : سيد "مدراس" ، لكم أنا فخور بلقائك ثانية

قنسطنطين : (بلطف وإن يكن بارد الأعصاب) كيف حالك يا سيد "ستات" . .

فيليب : تعرف كل الموجودين يا أبي . . أوه ، "هيبسلي توماس" .

قنسطنطين : (لطيفا كما هو) كيف حالك يا سيد (ثم بابتسامة مؤذية يربت علي كتف "هاكستابل") كيف حالك يا عزيزي "هاري" ؟ ("هاكستابل" سمع بحضوره ، وأحس بنفسه يتحول إلي اللون الأرجواني ، فقد كان هذا اللقاء بعد ثلاثين سنة! وتركه يسقط عليه بلا توقع وبشكل متعمد تركه كذلك ، نظرا لأنه في الحقيقة لا يعرف ما يقوله أو يفعله . وخشي أن يلهم بأي شيء يقوله أو يفعله . والآن

آسفا ، ويحمد الطيبة ! التي جاءته متأخرة أيضا . إنه في مخاطرة مناسبة ، ويحتاج فقط لأن ينخر بعبوس)

هاكستابل : أنا بخير تماما . . أشكرك . (بربتة واحدة زائدة في اعتذار للوقاحة ، يتجه "قنسطنطين" إلي مقعده)

ستات : أكانت رحلة سارة عبر القارة؟؟

قنسطنطين : مفيدة علميا . لا تجعلوني أقاطع عملكم . سألتقط أنا الخيط . .

ستات : (يؤدي خطبة يعيد تدفئتها) كنت أتقدم في عرض بعض التفاصيل التمهيدية علي المنضدة ، عن المشروع الذي كنا قد فصلناه بعناية منذ لقائنا في يونيو الماضي ، لدعم اسمك وشهرتك في بعض المدن الإنجليزية الهامة . ولم نمض كثيرا . . (يستشير ورقه . بينما "قنسطنطين" يتبدى في صورة حامل سيجار رشيق من العنبر)

قنسطنطين : ألديك بعض الموديلات الجديدة يا "فيليب" ؟

فيليب : نعم .

قنسطنطين : الفتاة الطويلة تبدو رائعة بما يكفي . أيمكنني التدخين؟

ســــــتات : اسمح لي (يستل علبة سجائره)

قنسطنطين : سيجارة . . أشكرك ، معي سيجاري . . (يتقدم ليصنع واحدة ويشعلها . يعرض السيد "ستات" سجائره بشكل عام ، ثم يضع واحدة في يده)

ســــــتات : استمد بين الحين والحين بعض المتعة من سيجار بارد . ما كنت لأدخل للحظة في جوانب الموضوع المالية ، لأنني أعتقد لا شك أن . . من المحتمل بقليل من تعديل نسب الأسهم والنقدية . . يمكن إنهاء الموضوع . .

هاكستابل : (في محاكاة لكل هذا الجو من الارتياح والكرم) سأدخن سيجارة يا "فيليب" . . لو أنك دخنت واحدة . (فيليب يتناول سيجارة ، وكل منهم يجعل نفسه مسترخيا ، بينما السيد "ستات" يستمر مستمتعا بكفاءة)

ســــــتات : وانتابني الشك أنك لن تكون أكثر اهتماما بالمال عني يا سيد "مدراس" . أي واحد يمكنه تكوين ثروة ، لو كان لديه رأس مال يكفي . القليل الذي عندي جاء من التجارة في ألواح الخشب والخوخ المعلب . والآن ثمة شاعرية في الأخشاب . الغابة العذراء . . إنني أجلس فيها

لأسابيع كاملة . وهناك شاعرية في الخوخ ، قبل تعليبه .

أتساءل لماذا اشتريت تلك المؤسسة العامرة في المدينة؟

فيليب : (الذي يأسف فقط لأنه أحيانا ينبغي أن يتوقف) لماذا يا سيد "ستات" ؟

ستات : لأني وجدت نفسي ، يا فيليب ، رجلا وحيدا . شعرت بالحاجة إلي أن ألج تلك اللمسة التي طالما أشار إليها "جوتة"، بالروح الأنثوية . . تؤرجحنا عليها للأبد لأعلي وأسفل . وقد واتتني الفرصة ، وبدت طريقة عملية جادة توفي بالغرض .

قنسطنطين : (من خلال سحابة دخان إلي حد ما) والرضاء؟؟

ستات : عفوا؟

قنسطنطين : هل يرضي شغل التنورات الجاهزة اشتهاءك للأنثى الأبدية؟؟

ستات : سيد "مدراس" . . . ذلك تهكم مستحق . . لا يا سيدي ، لم يكن من شأن مجموعة "بوروز"، اكتشفت أنه عمل خال من المعني الداخلي . . فلا روح فيه . العمل لا يمكنه أن يكون أكثر وجودا بلا روح ، عم يمكن للإنسان . أنا

واثــق أنــك تــوافقني يــا ســيد "هاكــستابل". (المــسكين "هاكــساتبل" يكــاد يختــنق بالاســتدعاء المفاجــئ، ولكــنه يشرق بأفضل ما فيه)

هاكــستابل : أعـتقد أن الأمـر كـذلك . . تماما . (يبدأ السيد "ستات" في التوهج)

ســــــتات : كانت هنالك متعة، أتفهمني؟ . . ومازالت . . في أن تجعل بائعات القبعات النسائية في الأقاليم تتقافزن أمامك . . أن تـسدد المـسدس إلـي رؤوسهن . . قائلا اشترين بضائعنا، وإلا تـتجمدن في الخـارج . . هـذا مـا يـستبقي حـيويتي، ويـوقظهن . . ويجعلـهن رائعات . ولكن "بورروز"، ليست في التـيار، التـيار النـسائي، التـيار النـسائي العـصري العظـيم . لقـد استوعبت في البيت أن الرجل- الذي لديه الكـثير لـيفعله مـع النـساء – مـثلما يفعـل تصنيع عصب مـشدات الجـسم "كورسيهات"، مازال حتى الآن وبشكل لا واع خـارج الـتاريخ في هـذا التـيار . إلا أن تجـريف البضائع علي طاولة البيع وتكديس الأرباح . . ليس عذرا لإرهــاق الأرض . . ولا شــيء شخــصي، يــا ســيد "هاكستابل".

هاكستابل : (مستعدا هذه المرة) لا . . لا . . إنني أصغ إليك . لست عجوزا جدا علي التعلم .

ستات : افهم . . لست أقول إنني لم أكن مستمتعا في "بورروز". كان لدينا تصورات . . فكرتان مبررتان . . للقفز حيث قفز المرء من قبل . كانت هناك "نوتنجهام".

هاكستابل : أعرف "نوتنجهام" . . عندي دكان فيها .

ستات : (بفخر لا يخلو من فائدة) في سنتين حطمت مؤسسة "بورروز" المنافسة في نوتجهام . لم أزر المدينة بنفسي ، ولكن الفكرة كانت لمديرنا المحلي هناك . . فكرة بسيطة ، قسم السيدات يخدم فيه الرجال ، وقسم الرجال تخدمه النساء . . ودائما بالطبع داخل حدود الرقة والذوق . ألا تعتقد أن ذلك يعني شيئا يا سيد "هاكستابل" ؟

هاكستابل : (بعين زائغة وفم مفتوح) أوه . . حسنا . .

ستات : ولكن هل أنت الرجل الحسي الممتاز؟

هاكستابل : (معرفته باللغة الفرنسية بالكاد تساعده في هذه الترجمة المباغتة) لا . . لا أتمني . .

ستات : ولكن أنت نفسك في مكانه . محاط بالفتيات الجميلات . .

الفتيات الرائعات ، أتفهمني . . الطبقة العليا . تدفع لهم جيدا . . وتتركهن تعشن . . تدفع لأمهاتهن ووصيفاتهن لو اقتضي الأمر . . . حسنا ، محاط بالأنوثة المترفة . . . هل ينسي الرجل الحسي كم ينفق من المال ، أو لا ينسي؟ ، هل يأتي ثانية؟ أليست واحة صغيرة في صحراء يوم عمله؟ ألا تعد في جاذبيتها أفضل من الخمر ، أو ليست كذلك؟

فيليب : (بشكل قارص) أهي كذلك؟

ستات : وبعد يا سيدي(باللاتينية) لنستمع إلي الطرف الآخر . أحب أن تري قسمنا النسائي المزّين ، في أحسن أحواله . . . قبل موسم كرة القدم بالضبط .

فيليب : أعتقد سأزوره . .

ستات : كلهم رياضيون . . ولا رجل منهم أقل من الستة أقدام . . ذوو لون برونزي ، رفاق نبلاء . . الغزل غير مباح ، ولا يرضون بأي شيء مفسد . لا شيء إلا مجاملات مدنيتنا الحديثة البريئة . الخالصة . رجال محترمون مبرأة عقولهم من أي شيء عن الجنس اللطيف ، الذي يخطو في المحل

لشراء ولو كيس بشلن، أو ما شابه. ويدفعن.. سيدي النساء تأتي أسرابا

هاكستابل : (مبهور الأنفاس) أهكذا تنتوي أن تدير دور "مدراس" الجديدة؟

ستات : صبرا.. يا سيد "هاكستابل". ما هي إلا ستة شهور مضت منذ بدأت دراسة موضوع المرأة، من وجهة نظر مؤسسة "بوروز" وشركاه. أنا قصدت إلي اجتماعات النساء في لندن، "مانشستر"، وفي الأماكن أحادية الجنس أيضا. والآن، ما كانت المطالبات السياسية، سوي السمة الأضيق والأغث من الموضوع كما رأيتها. الحركة النسائية تعني تعبير المرأة عن نفسها. ولكن لننظر إلي الأمور كما هي. ما هي وسائل المرأة الرئيسية.. وكيف تكون وسائلها الوحيدة في التعبير عن نفسها؟.. علي كل حال. ما هو أول شيء تنفق مالها عليه؟ الثياب أيها السادة، الثياب. ولذلك أقول.. مع أننا يمكن أن نشعر في مجال صناعة السلاح بالأفكار الجيدة.. فإن التنورة الجاهزة متخلفة..

ويندلشام : (يندفع من الحجرة الأخرى، بالدبابيس في فمه، وألواح

الموضـة تحـت إبطـه ، وقـبعة سلة السمك في يده) سترون الأخـريات تـدخلن الآن . (ثـم يعـود خـلال الـباب ، بالفرنـسية) هيا . . . هيا يا آنساتي . . من فضلكن . . رقم خمـسة ، الأولى . (ويقلـب القـبعة رأسـا علـي عقب فوق المنـضدة) رأيت أنكم تودون لو رأيتم أنهن تركن المقابض علـيهن . ولكـن لا أظن أنه يمكننا ذلك هنا ، هل تودون؟ (تدخل الموديلات علي نحو ما سبق ، الرداء المسائي المتقن بـشكل غـير مـسبوق . وبيـنما يفـتش "ويـند لـشام" عـن التصميم) رقم خمسة

تـــــوماس : (مذهولا كثيرا) أقول . . يا له من مدهش . ! (ولكن ضوء البحث عن الجدة البارد ، يبدو منفصلا عن شأن المخلوقة المسكينة ، المـتألقة الـوردية الجمـيلة المبتـسمة التي ترتدي المـوديل ، حتـى أنهـا تـبدو- في الحقـيقة- نـصف عارية ، بيـنما حـس "ويـند لـشام" الجمالـي ، أبعـد مـا يكون عن الاهتياج)

ويـــند شـــام : (بالفرنـسية) ولكـن لا . . لا ، لا تـضعي نفسك في ضوء الـنهار . . بـل في المخـدع بجانـب القطـيفة الـسوداء . . (تتهادي الموديل نحو رصيف القطيفة السوداء)

تـــــوماس : (يـستغرق "تـوماس" في الإعجـاب) هـذا يمـنحها فرصـة التألق . يا لها من ملعونة جميلة

فيلـــــيب : (غامزا بعينه) ستفهم ذلك ، يا "تومي"

تـــــوماس : (بإيمان معقول) لن تفهم . .

ســــــتات : (دارسـا تمـوج خطـى المـوديلات) كيف تعلمن أن تمشين هكذا؟ . . ذلك ما يذهلني!

ويـند لـشام : (يـستدير علـي إطـار الأضـواء الـتي تؤثر علي الرصيف القطـيفة . لقـد اكـتملت الآن رؤيـة الحـسن الأنـثوي) هـناك . . . هـذا انقـلاب العـين المفاجئ . (الرؤية تتحول بهـذه الطـريقة ، وذلك ما يستعرض منحنيات الحسن التي قـد تكـون هـناك . كلهم يشاهدون إلا "قنسطنطين" الذي يجلـس صـامتا وغـير مـبال ، يلف سيجارة ثانية ، يدخنها بهـدوء . وأخـير يعلـو صـوت "فيلـيب" ، بكل ما ينطوي عليه من برودة وتورية)

فيلـــــيب : وهـل سـنفترض يـا سـيد "ستات" ، أن هذه المقطوعة من التـزيين الذاتـي تعـبر فعليا عن طبيعة أي امرأة؟ ، أو عن تفكير مرعب إلي حد بعيد!!

ســــــــتات : (في احتجاج) لماذا؟

فيلــــــــيب : أو لـو كـان يعبر عن رأي الرجل فيها . . فذلك أسوأ إلي حد بعيد . . !

تــــــوماس : إنه ذكاء لعينٌ ، أليس كذلك يا سيد "هاكستابل" ؟

هاكستابل : (الـذي يـتفحص عـن قـرب) لا نفـع لـنا فيه بالطبع . لا يمكنـنا أن نقلـد هذا بأقل من خمسين جنيه . انظر إلي . . . ماذا يمكن أن تدعوه؟

ويـند لـشام : (يحب للكلمة نفسها) الترتر البراق!!

تــــــوماس : (باجـتهاد) لانجلـترا فقـط ، بالطـبع ، يمكن أن تكون المادة الـبراقة ، محـددة للـثوب أكثر قليلا بالتأكيد ، حيث ينتهي الحرير الوردي ، ويبدأ بقية جسمها . . .

هاكستابل : (دون أن يكون حقيرا) ولكنه شيء جميل . .

ســــــــتات : (باكتـساح) ملائـم لتـزيين العبقـري المشرف علي صالون ثقافي وفني . وربما كان فنيا أكثر منه ثقافيا . . فمن الراجح أن يكون مركز الانفعال ، بأكثر منه للفكر !

ويـند لـشام : يمكـن أن أخـبرك تقـريبا بمـن سـنبيع لـه هـذا المـوديل . . السيدة . . السيدة . . . عزيزي . . أنت تعرف كل الأسماء

(بالفرنسية) تمام يا آنسة . . اخرجي . (يطفىء النور . الرؤية تبدي ثوبا أغلي بكثير علي نحو ساخر ، تلبسه فتاة نحيفة تكاد ترتعد بداخله ، والتي تتخلص منه هكذا بطريقة غير احتفالية . بالفرنسية) رقم سبعة . . زى آخر .

ســــــتات : ها هو ثانية ، قطيفة خضراء . . أليس من القطيفة؟

ويــند شــام : القطيفة نفسها متقلبة الألوان . . سيري من فضلك

ســــــتات : والفراء متقلب الألوان .

ويــند لــشام : عظيم يا لورد! . . . كثير من الأزرار!

ســــــتات : الشيء نفسه ، لا شك ، تترأس فيه إحدى النبيلات اجتماع غرفة الاستقبال .

فيلـــــيب : (بينما يتفحص الأزرار والفراء) إما اجتماع أعمال خيرية ، أو رابطةٍ ضد العرق! وفي الحقيقة لا تكاد تحلم إحدى النبيلات برئاسة صالون بدونه .

ســــــتات : (في تأنيب لطيف) تهكم ، يا سيد فيليب .

فيلـــــيب : (رابحا بمثل هذه الرقة) إنني أعتذر فعلا . .

ويــند شــام : (بالفرنسية) رقم عشرة . . (تظهر موديل ثالثة)

فيلـــــــيب : وماذا عن هذه؟

ســــــــتات : رمـادي مـع لمسة وردية . . الجانب الناعم جدا ، المناهض لحق التصويت العام!

فيلـــــــيب : (في استدارة إلـيه) لا ، إنه ذو فتحة مربعة عند العنق . لا بد أن أقول أنه بجانب حق التصويت العام

ســــــــتات : (يفـرك يديـه) عظـيم . . هـنالك هدف وراء هذا المزاح يا رائـد تـوماس . المـرأة تفتنـنا دائمـا بعديد من الأساليب . وإن كان لنا أن نهتم بها ، فلنفعل ما بوسعنا لخدمتها .

قنـسطنطين : يبدو أنك شاعر يا سيد "ستات"

ســــــــتات : لم أكتب قصيدة في حياتي يا سيدي .

قنـسطنطين : كـم مـن الـشعراء ينبغـي أن يتوقفوا عن نبش قصائدهم ، ويحاولـوا أن يحـيوا مـثل هذه الملاحـم التامة ، ومن المحتمل أن تتبدى في شرائك دار "مدراس"!!

ســــــــتات : (راضـيا كـثيرا) سـأفخر بـأن أكـون وريـثك (ثـم يحلـق) ولكـنها امـرأة الطـبقة الوسـطي الإنجليزية التي تنتظرني . المـرأة الـتي مازالـت تجلـس في شـرفة قاعـة الاسـتقبال في فيلـتها بالأقالـيم ، وتحدق ساهمة في غابات الغار . رأيتها

في عزلتي تمشي ، ولابد أن تحظي بفرصتها في أن تسبي القلوب وتبهر . . . . ذلك حق كل امرأة في أن تولد . . . سواء أكانت دوقة في "مايفير" أو زوجة طبيب في ضواحي ليستر . وتذكروا أيها السادة أن نساء الطبقة الوسطي في إنجلترا . . وفكروا فيهن إجمالا . . تشكلن واحدة من أعظم ماكينات الإنفاق في العالم ، رأيتها علي الإطلاق . .

هاكستابل : (بهزة من رأسه ، ويبدو أكثر ارتياحا الآن) نعم . . تزوجن من المال!

ستات : (يلتقط نفسا طويلا وعميقا ، وبنبرة عالية) كل مفكرينا الأكثر تقدمية سيوافقون علي أن استقلال النساء اقتصاديا ، إن هو إلا الخطوة التالية في مسيرة المدنية .

هاكستابل : (مغلوبا علي أمره) أوه . . معذرة .

ستات : (محلقا الآن بأكثر مما كان علي الإطلاق) والآن ها هي بذرة الحرية وقد نثرت في طبيعتهن الحلوة . . ويا لها من غابة مباركة . . . . نماء معطرٍ ، مترفٍ ، واستوائيٍ للأنوثة قد لا ينبثق حولنا ، لأننا نعيش في عالم قبيح . انظر إلي رابطة عنقي! ، تأمل صدريتك يا رائد توماس (تفتش

عينه عن تلك الأزياء ، ويجد واحدا) هذا هو كل الجمال الحي ، الذي يقبع هناك . إننا نحتاج الكثير منه . أود لو رأيت سيدة الأقاليم المسكينة منطلقة في غابات الغار ، وتجتاز الطريق . . مكسوة بألوان الطيف السبع . ("ويند لشام" كان قد احتجز الزى الناعم للغاية ، بالموديل الشابة التي ترتديه ، التي وقفت هناك لبرهة ، ومازلت تبتسم ، وإن كانت مندهشة- ربما- خلف الابتسامة ، وقد اندست بين جماعة غريبة من بائعات القبعات النسائية . يلاحظ "توماس" فجأة أنها واقفة هناك وبأدب عال يفزّ ليسلم مقعده)

توماس : أقول ، مع أنني . . . اسمحي لي .

ويند لشام : شكرا جزيلا . . ولكنها لا تستطع . ليس في مثل هذا "الكورسيه".

سـتات : عزيزي . . لم أقصد أن تحتجز الآنسة . (ثم يعدل سلوكياته ، ويبدو وكأنه يؤدي إلي حد بعيد رقية سحرية تكفل أن يحقق غرضه . بالفرنسة) صباح الخير (ترحل الشابة ، بابتسامة حقيقية تخزي الزائفة تماما) تنسي تماما أنهن هناك . إننا نوفر المال والوقت ليتقن الحركة

الميكانيكية بدلا من حركة الإنسان الآلي . ولكن أحيانا تلتصق بهن ، وأحيانا تفلت . . .

توماس : والتكلفة؟

فيليب : (بترفُّع) اللحم والدم دائما أرخص

ستات : هل صدقت علي "الكورسيهات"، يا سيد "ويند لشام" ؟

ويند لشام : أوه ، نعم . . والموديل امرأة ، كما اتفقنا . .

ستات : ألم تتعمق أبدا في سيكولوجية الموضوع؟ ، من فترة مضت ، كان عندي مؤرخ شاب وذكي في "بوروز"، وكتب دراسة صغيرة عن "الكورسيهات" . . . قدّر السعر بشلن . الشخص المحافظ يجمعه لمصلحتها . وأقمنا لها متحفا صغيرا . . في "ثاوسمبتون"، فيما أعتقد . . ولكنه لم يحقق نجاحا . رائد "توماس" . . لابد وأن نرسل نسخة من الدراسة إلي السيد "ويند لشام". ستجدها شيقة جدا .

ويند لشام : بالتأكيد سأقرؤها . أيمكنني أن أقدم لكم شيئا آخر؟

فيليب : قابلني قبل أن أرحل ، هل تفعل؟

ويند لشام : ليكن . . إلي اللقاء . (هناك سكتة ، حيث يبدون وكأنهم

يستجمعون أنفسهم، في أماكنهم. يقطع الصمت صوت "فيليب" قائلا في تأمل)

فيليب : إنني أحيانا أتساءل إذا ما كنا ندرك علي أي نحو تكون ثياب النساء.. أو ثيابنا نحن، بهذا الشأن..

هاكستابل : أي شأن؟

فيليب : هل حاولت أن تصف أبدا ثوبا، كما يتبدى لعين غريبة؟ هل فكرت في ذلك أخيرا؟، القبعة تشبه قبعة صغيرة، قد تكون شريطا مثل أي شيء علي رأس المخلوق. الزهور التي تلونها، لا يسرُ الله أبدا أن ينميها. وريشة مرصعة بالجواهر.. ريشة مرصعة بالأحجار الكريمة. والباقي يمكن أن يسمى مؤامرة، مؤامرة في ثلاثة ألوان من جانب اثنتي عشر حائكة نسائية لإقناعك أن تلك المخلوقة التي ألبسوها، لا يمكنها أن تمشي ولا أن تمضغ غذاءها، ولا تربي أطفالا. والآن.. هل هذا أمر جميل؟

ستات : (الذي يعد الأمر بالنسبة له جديرا بالمحادثة فعلا) سيد "فيليب"، هذه الفكرة، بمثابة رافعة.. دُست تحت مؤسسات المجتمع ذاته.

هاكستابل : (بقليل من التباهي) سخف . . محاولة إزعاج أفكار الناس بمثل هذا الرأي . . سخيفة .

توماس : (بحس جامد) أعتقد أن حشدًا من النساء اللائي تلبسن جيدا ، واحد من أجمل الأشياء في العالم .

فيليب : هل رأيت أبدا امرأة شرقية تدخل مقهى الشاي في شارع "بوند" ؟

توماس : لا . .

فيليب : (بقوة) أنا رأيت . .

قنسطنطين : آآآآه!! (ينفث قليلا من عمود الدخان في الهواء ، بنفخة طويلة لا تخلو من تأمل)

ستات : (يستدير إلي "قنسطنطين"، بتبجيل) أخشى أن نكون أضجرناك يا سيد "مدراس". كنت من الأمراء الذين خبروا هذه الأمور ، منذ مدة طويلة جدا . .

قنسطنطين : (يتكلم بصوته الأكثر لينا ونعومة) لا ، لم أكن ضجرا يا سيد "ستات". . فزعت قليلا فحسب .

ستات : ولما؟

قنسطنطين : كما ترى . . أنا مسلم علي دين محمد ، ومثل هذا الموقف من الجنس الآخر ، أصبح مثيرا لاشمئزازي . (هذه القنبلة التي انفجرت برقة ، تؤثر علي المجموعة بتنويعات مختلفة . سيمر بعض الوقت قبل أن يقبض "هاكستابل" علي معناها . "توماس" ببساطة يفغر فاه . والسيد "ستات" يجد فيها بوضوح نكتة جديدة في الحياة . أما "فيليب" الذي لا يجد فيها جديدا - فيما يبدو - فيقول باحتجاج خفيف)

فيليب : أبي العزيز!!

ستات : (بينما يدور حوله) مسلم حقيقي؟

قنسطنطين : أصبحت مسلما . فإن لم أكن ، فقد يكون أمرا مزعجا وغير مألوف ، أن تعيش في "هايت" دائما . . قرية علي حدود جنوب أفريقيا . . قد تكون بيتا . بجانب أنني تحولت .

توماس : (بعدما يلتقط أنفاسا كافية) لم أكن أدري أنك أصبحت مسلما؟ .

قنسطنطين : (بشيء من الصرامة) يمكنك أن تصبح مسيحيا يا سيدي

تـــــوماس : (مصدوما) آآه . . الأمر مختلف تماما . .

ســـــتات : (يشعر بالفعل أنه يعيد اكتشاف العالم القديم) ولكن لكم هـو أمـر بالغ الإثارة لرجل واسع الأفق!! . . مثير بشكل استثنائي!!! وهل كان تحولا مفاجئا؟

قنسطنطين : لا . . كـنت أبحـث عـن ديانـة . . احـتياج شـائع في هـذه الأوقات . . والإسلام دين جد راقٍ ، يا سيد "ستات" . .

ســـــتات : أهـو كـذلك؟ لابـد وأن أطلـع عليه . القرآن! . . نعم ، لم أقـرأ القـرآن أبدا . . . مجرد سهو! (يبدي ملاحظة ذهنية . وبـبطء شـديد ينصب كل ظلمها علي "هاكستابل"، الذي يـتحول وجهـه مـن الأحـمر إلـي الأبـيض والأسـود ، ثم الأحـمر ثانـية . ويصبح لبقا وتفصيليا ، وحادا . يخبط علي المنضدة)

هاكـستابل : وماذا عن "آميليا" ؟

ســـــتات : (هادئا وباسترضاء) ومن "آميليا" ؟

فيلـــــيب : فيما بعد يا عمي ، فيما بعد . .

هاكـستابل : (يخـبط ثانـية) مـاذا عـن زوجـتك؟؟ لـن أكـون هادئـا يا "فيليب"! فهذا غير شرعي .

قنسطنطين : (بنظرة نصف باردة ونصف عطوفة ، إلي "هاكستابل")
هاري!! أكره أن أراك مثار سخرية . (وكان هذا مطلوبا فحسب)

هاكستابل : ومن يبالي إذا ما كنت مسخرة؟ ، إنني لم أتحدث إليك طوال ثلاثين عاما . أليس كذلك؟ وهذا يعني . . أنني لم أتلقى منك توجيها ، أكثر من أنني يمكن أن أساعد . . وجئتُ هنا اليوم وكلي غفران وتسامح . . وفضول لأن أري أي رجل أصبحت الآن . . . وسواء غيرت رأيّ . . أو سواء لم أشعر أبدا بالفعل بكل ذلك نحوك علي الإطلاق . . ولعنت إن لم ترحل وتحمَّلني لعبة جديدة! ماذا عن "آميليا" ؟ الديانة هذه المرة ، مسلم! ، حقيقة . . في عمرك هذا! ألا تستطيع أن تستقر أبدا!!؟ معذرة . . معذرة سيد "ستات" ، حسنا يا "فيليب" . . فيما بعد! ، أنا لم أكمل . . ولكن عندك حق تام ، فيما بعد .

ستات : (هذا الموقف يفسد مزاج "ستات" ، الذي ينفخ قليلا بتأثيره في مثل هذا المكان الضيق ، ويتكلم: من ناحية بقصد أن يجلب الوئام ، ومن ناحية بشيء من الفضول)
ولكن هل غرقت يا سيد "مدراس" ، في دنيا الحريم . ؟ .

هاكستابل : (يقف علي قدميه صاخبا في استقامة) لو أهنت أختي بإجابة هذا السؤال . .

قنسطنطين : (يوقفه بنظر وإشارة) عائلتي يا سيدي ، جزء من الرجل الشرقي المحترم في مثل مركزي ، ونحن لا نتحدث عن نسائنا علانية .

ستات : أنا حقا آسف جدا . . معذرة

قنسطنطين : لا ، علي الإطلاق . خمس سنوات مضت منذ تقاعدت بالتأكيد عن العمل ، وقررت أن استكمل مودتي للشرق ، بالاستقرار هناك . هذه زيارتي الأخيرة لأوروبا ، من ناحية لأراك يا سيد "ستات" . . وفيما عدا ذلك فقط ، كي أأكد حكمي علي السؤال . .

ستات : سؤاله؟

قنسطنطين : نعم . كنت دائما في مكان غير ملائم بينكم . أغريت نفسي أحيانا بالندم علي تصرفاتي المخزية . . (حركة خفيفة من "هاكستابل") هششش . . اسكت يا "هاري" . . اسكت! ولكن لم أستطع قط أن أقنع نفسي بإصلاحها . وكان من أسباب رضائي الشخصي الخفيف ، أن

أكتشف . . بعين الغريب . . أنا أوروبا مجنونة في موقفها بإزاء المرأة .

ستات : مجنونة !

قنسطنطين : مجنونة

توماس : (مصغيا بكل جوارحه) أقول . .

قنسطنطين : من المحتمل أن توافقني يا رائد "توماس" . .

توماس : (متراجعا بظهره كثيرا) لا . . لا أعتقد ذلك .

قنسطنطين : كثير من الرجال يوافقونني . . ولكن الرفاق المساكين ، لا يجرؤون علي التصريح . علي سبيل المثال ، سيد "ستات" . . ماذا يمكن أن يقال في تجمع من خمسة رجال ، ذوي مقدرة وكرامة ، التقوا معا ، ليتهربوا في . . . . . ما رقم الموديل المثير للشهوة الذي جذب - بشكل خاص- الرائد توماس؟

توماس : (مصدوما لدرجة العنف) لا . . أنا أحتج بالفعل .

ستات : (هادئا كلية) رفقا "توماس"، رفقا . . دعنا نتأمل في الاتهام بشكل فلسفي . (ثم بابتسامة رائقة حلوة) بالتأكيد ذلك تركيب إجمالي ، ينطبق علي غريزة كل امرأة جميلة

لتزين نفسها؟

قنسطنطين : ولماذا إجمالي؟ ، إنني ابتهج بكل الجميلات ، اللائي يتزين بحذق ورقة . أود أن يرجع الرجل إلي بيته بعد يوم عمل شاق ، ليجد الترحيب من نسائه . . يجدهن غير مرهقات بأفكار العمل والسياسة . . يجدهن مستعدات لإنعاش روحه ، بتناغمها مع جانب الحياة الأكثر لطفا وحلاوة . .

تـوماس : (بشيء من التكفير الوجداني) أوه! . . هذا صحيح تماما . . تماما . .

قنسطنطين : تصورت أنك توافقني يا رائد توماس . وهذا هو المثال العائلي للمسلم المحترم .

تـوماس : (واضحا للحظة) أهو ذا؟

قنسطنطين : ولكنك لا تتوقع أن تجد زوجتك تلبس بهذا الشكل . . . المبهرج بالترتر ، و . .

تـوماس : (وقد بدأ ينمو فيه نوع من عدم الارتياح العقلي) لا . . كان هذا زيا للخروج . .

فيليب : (مستمتعا بشدة بهذه المنازلة) أوه ، "تومي" . . . "تومي"!!

تـوماس : (في مراوغة عقلية . . وواعيا) ولكنني قلت لك ، لو أن

زوجتي . . هكذا ، لو أن زوجة أي شاب س . . أعني . . . (ثم ينطقها) لو حافظت المرأة علي نفسها ، ذكية ، رشيقة ، وجذابة في بيتها ، لما كان للرجل عذر في أن يتسكع وراء نساء أخريات .

هاكستابل : (ينضم إلي النزال فجأة وبحمية) الزوجة تجلس في بيتها لتربي أطفالها . . ماذا يراد منها أكثر من ذلك؟

قنسطنطين : "هاري" ولد زوجا يا رائد "توماس"

هاكستابل : وأتمني ألا أكون ولدت منحلا . .

توماس : المنحل ملعون .

ستات : (بهدوء) أيها السادة . . يا سادة . . كل هذه افتراضات مجردة . .

هاكستابل : التسكع وراء زوجات الآخرين ، ربما! ومع ذلك لا أعتقد أنك فعلتها يا "قنسطنطين" أبدا . . إنني أحكم عليك بالعدل . . لا أعتقد أنك فعلتها قط .

قنسطنطين : لم أفعلها قط .

فيليب : (بإيذاء جارح) أوه ، "تومي"! "تومي" ، أيمكنك أن تزعم

الشيء نفسه؟.

تـــــوماس : (يـصعق فعـلا مـن البذاءة) "فيلـيب"، هـذا ليس لطيفا مـنك . . . لـيس مـن الياقة . لم أكن أفكر في ذلك ، وأنت تعـرف أنني لم أفكر فيه . . لسنا جميعا هكذا منفرين للنساء مثلك . .

ســــــتات : (يـترك نفسه مستمتعا بهذا التراشق) آه . . العنب الحامض يـا سيد "فيليب". لا يجب أن نعالج الأمر بذاتية . . ولكن هل هذا عنب حامض؟

فيلـــــيب : (بـاردا جـدا في دفاعه) شكرا "تومي" . . أنا لا أستطيع أن أجتذب إلا نوع النساء الذي أود اجتذابه . ولكن مادامت هـي المـوديل رقم خمسة ، ستة أو سبعة ، التي اجتذبتك . . حـسنا . . فـستكون فروع "مدراس" استثمارا ممتازا للسيد "سـتات"، ولفـترة طـويلة جـدا . (هكذا انتهي دخان النار الكامنة . ويكمل صوت "قنسطنطين" الإخماد)

قنـسطنطين : "فيلـيب" أنانـي بـارد الـدم . وإذا أحبـته النساء فذلك من سـوء حظهـن . إنـني أعـرف طـريقته مـع المـرأة . . يظـل يـراودها بـالإقلاع علي الطائرة الثقافية ، ظنا منه أنه يرفع

مستواها . ولكني أتعاطف معك يا رائد "توماس" . إنني أيضا سريع التأثر بقدر ما تعني الطبيعة أن يكون الرجل . . وكما ينبغي أن تريده كل النساء . وأنا أشرت إلي موديلات الخروج تلك ، لأنني- بصراحة- وجدت نفسي ملتزما الرحيل عن البلاد ، حيث تتركون النساء طليقات بالمال لتبددنه ، وبالوقت لتضيعنه . . وتجدن التشجيع للتباهي بمفاتنهن في نفس الشوارع . . وفخورات إذا رأين سائقي الحافلات يغمزون لهن .

هاكستابل : ليسوا سائقي الحافلات (إنه فقط يستنكر بلطف الآن) .

قنسطنطين : فخورات ، يا عزيزي "هاري" ، إذا رأين سائقي التاكسي يبتسمون .

هاكستابل : (ينظر حوله ، ثم يومئ بجدية وبتفكير عميق) نعم ، هذا صحيح . وكنت لأنكره في أي وقت آخر . . ولكنني كنت أفكر فيه قليلا في الآونة الأخيرة . . . والأمور التي تفكر فيها مرة ، تبدأ الإيمان بها . . وهي صحيحة (ولكن بفروسية عظيمة) ولكنهن فقط لا تدرين أنهن تفعلن ذلك . لا تدرين بما تفعلن(ثم يراوده الشك) هل تظن

أنهن تدرين يا فيليب؟

فيلــــــيب : بعضهن يرتاب ، يا عمي .

هاكستابل : (لا يفسد إيمانه) لا . . ما أقوله ، إنها الغريزة . . وتوصلنا لأن نتكيف معها بقدر ما يمكن . كانت "جوليا" في "وايماوث"، خلال الصيف . . إنها واحدة من بناتي ، اشترت لنفسها ثوبا . . ليس من نوع ما رأينا من الموديلات بالطبع ، ولكنه جميل جدا ، برتقالي اللون ، كان مخططا . . ولكن يمكنك أن تراه علي بعد ميل من مكان العرض . . وأخواتها كلهن دسسن أنوفهن فيه . . قلت لنفسي: الغريزة . .

ســـــــتات : (يوقف فجأة المناقشة) نعم ، يا سيدي . . الغريزة الأنبل بين الغرائز التي تديم جنسنا البشري . دعونا نرتقي أرضا عالية في هذا الشأن أيها السادة . .

قنسطنطين : (دون حراك) الأعلي ، يا سيد "ستات". لو فكرت أن تدير "وايماوث"، لمدة شهر في السنة ، من داخل كابينة ممارسة الجنس العشوائي بكل التداعيات التي تتطلبها العادة ، فهذه طريقة مثلي لإدامة جنسك البشري . . .

حسنا ، أنا لا أوافقك . . ولكنها وجهة نظر . ما أسأل عنه ، لماذا الرائد "توماس"، وأنا نفسي . . مستعد- ربما- لأن يكون في حالة زواج دائم . . أينبغي أن تعيش مدينتنا ، لندن ، مشغولة بهاجس . . ما هذا الشيء؟

فيليب : قبعة الحسناء "هيلين" الجديدة ، يا أبي .

قنسطنطين : والآن ، هذا قد يكون قبيحا . . آمل ألا أكون اقترفت بنفسي أبدا أي شيء قبيح تماما كهذا . . ولكنه جذاب .

فيليب : (بوجه ملتوٍ) لا ، يا أبي .

قنسطنطين : أليس كذلك ، رائد "توماس" ؟

توماس : (بأمانة) حسنا . . إنها تجعلك تنظر إليهن ، عندما لا تكاد تبالي بهن . .

قنسطنطين : نعم . . إنها مستفزة ، مثيرة . وتقصد ألا يتم إنجاز عمل في الدنيا ، بينما تحيط به . وحين تكون حولي دائما ، أعترف بأمانة مرة أخري ، بأنني لا أستطيع أن أضطلع بنصيبي من العمل . ومما يثير الاضطراب أن تشكل وعي المرأة علي الدوام . للنساء شغلهن في العالم ، كما عبرت عنه بسعادة بالغة يا سيد "ستات"، الشغل الخالد . .

ويخدم بقاء الدنيا بشكل أفضل ، بادخارهن بصرامة له .
هل أولئك السيدات المثيرات (يقلب القبعة بين أصابعه ثانية) رائعات لمسألة تخليد الجنس البشري هذه الأيام؟

ستات : (ينفجر فيه ، وإن يكن هذه المرة كسير القلب) أنا لا أحتمل هذا يا سيدي . . لا أحتمل أن تتبني هذه الوجهة في النظر إلي الحياة . . ولا يمكن لرجل ذي إحساس أن يتبناها . بالإضافة إلي أنها رجعية . . . أنت علي المسار الخاطئ ، ولابد أن تعود إلينا يا سيدي . لقد منحتنا فرحة وسرورا . . أيمكن أن نعمل بدونهن؟ ، حين وجدت نفسك مرة أخرى بين عالم الحسان ، ساعدتنا أن نقدسه . . . أتمنى لو غيرت رأيك . ماذا كانت نهاية تلك القصة القصيرة للدوقة؟ في الليلة إياها ، اكتست في إبداعها من يدي "مدراس" ، كيف عبرت صالة الرقص بخفيف تنورتها الحريرية ، تفوح عطرا كما جاءت . . بينما منافساتها الأصغر منها شاحبات ، أمام نشوة جمالها ، وكل رجل في الصالة ، شابا كان أو كبيرا يكافح ليظفر بلمحة منها أو كلمة أو نظرة (يبدأ في التحليق مرة ثانية) صالة الرقص يا سيدي . . أليست واحدة من أحلى المشاهد في

العالم؟ عندما تتألق المصابيح مشرقة علي النساء الجميلات والرجال الشجعان. تصدح الموسيقي بآخر صيحاتها الشهوانية. العيون الناعسة تنظر بعشق إلي العيون التي تجاوبها. والكل يصبح مرحا كما زفاف "بيل"!، "بايرون" - يا سادة- علمني وأنا علي ركبتي "أمي". شاعر الحب والحرية.. يقرؤونه في كل مدرسة أمريكية (في نهاية هذه المعزوفة التي يكاد "هاكستابل" يمنع نفسه من التصفيق لها، يستمر "قنسطنطين" ببرود)

قنسطنطين : سيد "ستات"، تلك قضيتي. الحياة في كل طبقتنا، والتي يحاول أن يقود فيها كل من له كلمة في حكومة البلاد.. تجري أحولها كما كانت في قاعة الرقص. الرجال تتبختر أمام النساء، والنساء تبصبصن إلي الرجال. في يوم من الأيام كان الصبيّ يتكلف عبء اجتياز الرجولة، ولكن الآن ومن البداية نفسها..! في بلادكم المتقدمة... تعليم مختلط. أوه!، يا سيدي العزيز: تعليم مختلط..!

ستات : تأثير ناعم..

قنسطنطين : (علي نحو غير متوقع) أوه، بالطبع كذلك. وما الذي يتمخض عنه كل التعليم هذه الأيام أكثر من ذلك؟ كتاب

التعليم . لأن المرأة مجرد لمسة في ذلك . . مع أنها اهتمام ثانوي تماما للرجل .

توماس : (بإحساس) وهو كذلك .

قنسطنطين : والتأثير الأخلاقي . أخلاقية المرأة . . الأسوأ في العالم .

فيليب : أخلاقية عبيد .

قنسطنطين : نعم . واقرأ "نيتشة"، كما يقول صديقي "تارلتون" (كل ما يستخلص من هذا التلميح الغامض ، أن "هاكستابل" يستهجن سيرة "تارلتون"، وبالتبعية "نيتشة") في أكسفورد وكمبريدج تصبح الأسوأ . . الأساتذة المتزوجون . . في "نيونهام"، و"جيرتون". . مسألة تصويت في الانتخاب . . ومسألة نقاء . .

هاكستابل : بالطبع بعض الروايات . .

قنسطنطين : من سن السابعة عشر إلي الرابعة والثلاثين . . السنوات التي يتعين علي الرجل فيها أن يكرس جهده لاكتساب الفضائل السياسية . . فحيثما ولي وجهه يجد نفسه مشتتا ، مثارا ، ومعذبا بحضور النساء السافر . كيف يحتفظ بذهنه صافيا للقضايا الكبرى في الحياة؟ ، لماذا تقدمون

جندا يا رائد "توماس" متطوعين بهذه الحمية للخدمة الأجنبية؟

تـــــوماس : (بقفزة) الله كريم . . لم أفكر قط في ذلك .

قنسطنطين : وما النتيجة؟ كل مسألة عامة كبري . . في السياسة . . الديانة . . الاقتصاد ، تنحدر لمستوى انفعال النساء . هذا الانفعال ، مثير للإعجاب في أسلوبه . . فاتن في مكانه! . . ولكنه يلين العالم ويطوعه للعاطفة ، ويضعف من شأنه ، ويحيط به ، إذا تركته في حاضنة التفاهة والحلاوة الدافئة . والرجال لا يدركون كيف يتعفنون إلي حد بعيد بعمليتهم المتبعة . . . وهذا ما يعد جد قاتل . إننا تعودنا علي غضبة شعب كلها ، ينفث عن نفسه بالتوبيخ . . أو تعودنا إلي حد بعيد علي فكرة أنه من الشقاوة أن تكون غاضبا علي الإطلاق . العدالة تنحط إلي شفقة . . وذلك لا يفاجئنا . الدين لحن ترتيل جميل ، يحمينا من خشية الظلام . أنتم أربعة تعساء أمكنهم امتلاك الحقيقة ولو مرة فقط . . . لا تحتاجون إخبار زوجاتكم .

ســــــــتات : أنا لست متزوجا . .

قنـسطنطين : يمكنني تخمينها .

ســــــــتات : (مندهشا قليلا) ولكن . . لا يهم .

قنـسطنطين : (بتقدير كامل لما يقول) النساء لا أخلاق لهن ولا ثقافة ، بما تعني الكلمات . لهن قيم أخرى غير متوافقة ، بقدر ما هي مهمة ، لا شك . اتركهن بعيدا عن الحياة العامة ، والمعرض العام. من المهانة أن تتكامل معهن . . . ربما تأخرنا كثيرا بالفعل . . ولكن أوه ، عزيزي العاطفي(يخاطب المتألمين ، مع أنه يعجب السيد"ستات") لو أننا استطعنا أن نعيد زرع غابات الغار سميكة بما يكفي ، ربما كان في مقدورنا أن نعيد اكتشاف عالم الرجال الرفيع الذي افتقدناه حتى الآن . (فيما عدا "فيليب" الذي يجلس معزولا ومنتبها ، فكلهم مكتئبون إلي حد بعيد من الحكم الصادر عليهم)

تـــــــوماس : (متعافيا بما يكفي للسؤال) هل تدعو لتعدد الزوجات في انجلترا؟

قنـسطنطين : هذا ما ينبغي أن يحدث فيها . .

تـــــوماس : حـسنا . . أعتـبرها صـدمة إلـي حـد كـبير . (ثـم بـبعض الاهتمام المأمول) وهل هذا عمليّ؟

قنـسطنطين : لم أتوقـع الإصـلاح علـي مـدى عمري . . ولهذا هجرتها إلي الشرق .

فيلـــــيب : (أخـيرا) لقـد فعلت الصواب تماما ، يا أبي . وأتمني لو أن كل واحد يفكر بطريقتك ، فعل مثلك

قنـسطنطين : (متأهـبا لـه) وهـل أنتم مستعدون لإخلاء البلاد من كثرة سكانها؟ ، فكروا في النساء اللائي سيأتين من الغد . .

هاكـستابل : (يفيق من حالة التخدير ليقول بتأكيد هائل) أبدا!

قنـسطنطين : خطأ ، يا هاري!!

هاكـستابل : لـست مخطـئا لمجرد أنك تقولها! ينبغي أن تصغي إليّ قليلا أحيانا . فأنا سمعتك دائما .

قنـسطنطين : بـوركت سرعة بديهتك ، يا من تقاوم ابتسامة "قنسطنطين" . . حسنا ، لست مخطئا

هاكـستابل : أوه . . استـمر . . قـل لـيّ لمـا أنا مخطئ . . أجرؤ أنا أقولها لنفسي .

قنسطنطين : حتى لو أحببت أن تربي ستة بنات ، ولم تـرهن متزوجات . . كيف تراهن أحببن هذه التربية؟ كان ينبغي أن تغرقهن عند الميلاد ، يا هاري . .

هاكستابل : ينبغي أن تكون لك دعابتك ، أليس كذلك؟

قنسطنطين : ولذلك ، لكم هو سار لك كثيرا ، ولكم هو أفضل لبناتك . . لو أنك وجدت رجلا واحدا مستعدا ، لاعتبار بسيط ، أن يتزوج بالجملة .

هاكستابل : (بابتهاج شديد) الآن ، لو أنني قلت لزوجتك ذلك ، فلن ترى غرامك . .

قنسطنطين : آخر الخنادق المحررة للمرأة ، يا سيد "ستات" ، حقيقة أن النساء ستدافع عنه ، وتقف إلي جواره . لا تقترف أي خطأ ، فهذه مسألة جادة لهن . . . عن الصحة والسعادة . . أحيانا عن الخبز والزبد . استثناء من كل زبائننا هنا . . بقيت النساء ، كل واحدة منهن . .

ستات : (بشيء من التنبيه) لم تقلها!

قنسطنطين : (ينقذه بلطف من الفخ الصغير) من الناحية الاقتصادية ، بقين بأزواجهن . . . وإذا كن تعشن علي أرباحهن ، فقد

أبقاهن المجتمع .

فيلـــــــيب : وماذا عن الرجال الذين يعيشون علي أرباحهن؟

ســـــــتات : لا . . كيف لا تتركونا نستمر في السياسة .

قنسطنطين : . . واستثناء من أولئك الأسرى في القلعة الصغيرة المنيعة علـي تل الدنمرك . . تعودنا أن نعيّن ، يا هاري ، بيننا . . . مـاذا؟ مائـتين أو ثلاثمائة من النساء الأحرار المستقلين . . تـصممن الثـياب للسيدات الأخريات . إنهن أحرار بقدر مـا تحـب . . أحـرار لـتذهبن ولأن تجعـن . كـم تبـتهجن بحـريتهن في كـسب معاشـهن بتخـريب صـحتهن وكـبح غرائـزهن ؟ أجـبني يـا هـاري ، فأنـت وحش الشر حسن الطبع .

هاكـستابل : وما هذا؟

قنسطنطين : احتفاظك بحرم نساء صناعي!!

هاكـستابل : بماذا!!

قنسطنطين : مـاذا غير شركتك مع "روبرتس" ، ولكن حريم الصناعة . أتعـرف أن هـذا يـصيب المـسلم العاقـل بالرعب؟ . أنك تـشتري هـؤلاء الفتيات من سوق مفتوح . . وتحتفظ بهن

تحت القفل والمفتاح!

هاكستابل : وهل أفعل ذلك؟

قنسطنطين : صحيح تماما يا "هاري"، ولا ضير. (ثم يغرق صوته في أقصى جدية) ولكنك تستمد أرباحك منهن، بوضعهن في معرض لعشرة ساعات يوميا.. نظراتهن الناعسة، سلوكهن الجذاب.. أنوثتهن. تأجيرهن لأي غريب ليتحسسهن كشيء رخيص لبضعة دقائق، بقدر ما تسمح آداب العامة. وحين تجردهن من ثيابهن، تطردهن.. ناسيا حتى أسماءهن.. ولا تكاد تعرف وجوههن إذا التقيت بهن يبعن تذاكر المباريات علي بابك. لمثل معاملة الأمومة المحتملة علي هذا النحو، يدين نبيّ "محمدٌ"، الرجل في الجحيم.

هاكستابل : (في دهشة متقطع الأنفاس) لم أفعل ذلك طوال أيام حياتي..! يمكنهن الزواج باحترام ألا يستطعن؟، إننا نحب لهن أن يتزوجن.

فيليب : نعم، عمي.. خضت صباحا في هذه المسألة مع الآنسة "ياتيس"، ومدام "بريجستوك".

قنسطنطين : (مستكملا قضيته) أسألكم جميعا . . ما الذي سيحدث لكم كأمة؟ من أين يأتي مستقبل أجيالكم؟ ماذا عن أولـئك النساء الحبيسات ، اللائي تغازلونهن ، وتجملونهن ، حتى أنهن لن تعطينكم أطفالا . . ماذا عن أولـئك الطليقات اللائي تشغلونهن بأسعار السوق ، حتى أنهن لن تعطينكم أطفالا . .

هاكستابل : (نصف عبوس بشكل مضحك) الآنسة "ياتيس"، التزمت بنا ، علي أية حال .

فيليب : (يكتمه بسرعة) وكنا سنطردها .

هاكستابل : (يتوهج ثانية بالاعتراض) وماذا يمكن أن نفعل غير ذلك؟ ولكن قلت لك ألا تكون قاسيا مع البنت . لن أكون حزينا بهذا الشكل . أريد أن أعالج الأمور كما أجدها . . . وذلك كما تعودت أن أجدها . . . قبل أن يشيع أي من هذه الأفكار حولنا . وأنا واثق أننا كنا أسعد بدونها . كبح غرائزهن . . يا لها من طريقة مرعبة في الكلام . وأنا لا أومن بها . أمكنني أن أرسل لكل بنت في المحل ، ولا واحدة منهن تلمح لفكرة الكبح معي . (لقد انتصر بنفسه حتى الآن ، ولكن ضميره الثقافي المولود

حديثا يهوي به) ليس هذا مما يبرهن علي أي شيء ، أليس كذلك؟ إنني أحمق . هذا عالم متوحش . ولكن لست أنا من صنعه بهذا الشكل ، أنا من صنعته؟

فيلـــــيب : ومن إذن؟

هاكستابل : أناس آخرون (ونظرة فيليب عليه) أوه ، أراها علي لسانك ، ستقول إننا جميعا هؤلاء الآخرون ، أو شيء من هذا القبيل . إنني أفيق لك يا "قنسطنطين".

قنسطنطين : (بحرص شديد) وما هذا الذي يتعلق بالآنسة "ياتيس" ؟

فيلـــــيب : مزعجة صغيرة تحت ، في "بيكهام". سأقص عليك خبرها فيما بعد ، لو أحببت . .

قنسطنطين : لا . . لا حاجة لذلك . (شيء ما في لهجة العبارة الأخيرة ، جعل "فيليب" يتطلع بسرعة . ولكن السيد" ستات" بتفكير مفاجيء يحدق في ساعته ، وعند رؤيتها ، يهم من المنضدة)

ســـــتات : أيها السادة ، هل نحن واعون للوقت؟ . يمكنني أن أعلن أن عندي موعدا في المدينة في الساعة الرابعة .

قنسطنطين : (مهذبا ولكن بتمهل) هل نعوقك يا سيد "ستات" ؟ ،

تعـدد الـزوجات لـيس عالـميا ولا هـو إجـباريا يـا رائـد "تـوماس". سـيعد ذلك كلاما فارغا. توزيع ألوان الجنس نفسه، يحـرمه. ولكن الاعتراف به، أحد النتائج المنطقية لـمنهج الحكـومة الأرسـتقراطي.. وهـذا المـنهج الوحـيد المطلـق. أما كل المناهج الأخرى فخطط مؤقتة، للتفتيش بعـيدا عـن التـنويعات الأرسـتقراطية. مجـتمع المـستقبل سيخـصص وظائفـه. وسـتجد النساء- فيما آمل- بعض الـرفاق المـثقفين مـثل ابـني، الـذي سيحظى- إلي جانب ذلـك- باهـتمام لطـيف في مجلس المقاطعة. سيكون هناك رجـال بقلـب واحـد مـثل "هـاري"، راضـيا بنظام الحياة العائلـية القـديم. وسـيكون هـناك شـعراء مـثلك يا سيد "سـتات"، تحلـم بالنـساء وبكيفية لبسهن.. أجسادهن في الحريـر، وفـضائلهن في العـبارات. ويجب أيضا أن يكون هناك رجال من طرازي أنا والرائد "توماس".

تـــــوماس: لا.. لا..! لـست مـن هـذا الطـراز.. بـأي شكل من الأشكال. فلم يكن لي رفيق بالجيش يستدرجني إليه

ســـــتات: محادثـة مـثير بقـدر مـا أتذكر. من الصعب قليلا أن أتابع أحـيانا.. ولكـنها تـستحق أكثر بكثير من التضحية بإنجاز

أي عمل مجرد .

قنسطنطين : (يتلقى التلميح بتلطف ، مستعدا للعمل علي الفور) غلطتي!! سنوافق يا سيد "ستات"، علي الكثير من عرضك ، بقدر ما لا تكون لديك نوايا لتعديله؟ إننا نتفاوض علي كلى الدكانين .

ستات : نعم . ما الذي نقترحه لتثمين الدكانين يا رائد "توماس" ؟

توماس : ثمانية آلاف وستمائة

قنسطنطين : "فيليب" . . وكم كنا مستعدين لقبوله؟

فيليب : تسعة آلاف

قنسطنطين : هامش موثوق به! ، قبلنا عرضك يا سيد "ستات" . .

ستات : (يشعر بأنه يجب أن يطير فرحا بمثل هذه التصرف الرائع في العمل) ينبغي أن أشير إلي أنك رضيت فقط بثمانية آلاف .

قنسطنطين : (مستبقيا المزية) ألم يكن عملا رومانسيا بشكل مجرد . . ألم يكن الشكل الأفضل لعمل الفن؟؟

ستات : نعم . . ولكنك تعرف الشروط؟

قنسطنطين : قبلنا شروطك . فإن لم نقبلها ، ستصبح قلقا لتعديلها .
العمل تم .

هاكستابل : (جاحظ العينين) تعالوا هنا . .

فيليب : عمي "هاري" ، لديه ما يقوله . .

هاكستابل : (بجسم) نعم . .

قنسطنطين : شيء مختلف يا هاري؟

هاكستابل : (بعدما ينتهي التفكير) لا . .

قنسطنطين : (يعود إلي موضوعه بسعادة) ما يهمني بشأن موضوع المرأة هذا . . الذي أدليت فيه بدلوي الآن . . أنني أتساءل كيف تستطيع أوروبا ، المعوقة بمثل هذه المشكلة بلا حل ، أن تصمد أمام الإحياء الشرقي؟

توماس : وما هذا؟

قنسطنطين : ستسمع عنه باختصار . هناك ، فوق الخليج الفارسي حيث أمكنني أن أعيش ، استطعنا أن نغل قمحا يكفي لتغذية الإمبراطورية البريطانية . الحياة بسيطة وفسيحة . . الهواء غير ملوث ، وكل ما نرجوه جنسا سعيدا وجريئا من الرجال ، وسننجبه في ظل حكومة رشيدة . ولكن

أنتم الأوربيين ، هل هذا هو الرمز الذي تنضوون تحت لوائه إلي المستقبل؟ (يجد مرة ثانية قبعة الحسناء "هيلين"، ويلوح بها) قبعة العبودية! كلكم تعبدون وثن النساء . . . كما أنهن عبيد وثنيتكم .

ستات : (بإعجاب غير مقنّع) سيد "مدراس"، أنا فخور أن ألتقي بك مرة ثانية . وإذا قلت كلمة أخرى ، سأكون مهتما بردك ، وبذا يضيع موعدي . معطفي؟ شكرا سيد "فيليب". يجب أن ألتقي رجلا بشأن "إدارة مؤسسة ريفية"، يريد مني أن أمولها . وأكاد أتمني مناقشة أخرى متسامية علي ذلك .

قنسطنطين : ولم لا؟

ستات : لو كنتَ مكانه!! إلي اللقاء يا سيدي . . نهارك سعيد سيد "هاكستابل . إلي الغد رائد "توماس". لا . . لا يا سيد "فيليب" . . لا توصلني لأسفل

(يخرج لصفقته التالية . يصطحبه "فيليب" إلي الباب بتحضر ، قائلا . .)

فيليب : أعتقد أن سيارتك علي مدخل شارع "بوند" (ثم يعود إلي

مكانـه . "قنـسطنطين" يحـتفظ بنظـرة نـصف وديـة علـي "هاكـستابل" الـذي يـتململ تحـتها . توماس يلتقط نفسا ، ويشكو)

تـــــوماس : هكـذا يـتخذ قـرارات العمـل ، ولكـنه يـترك لنا الأوراق لـنعدها . سـآخذ أوراقـي إلـي البـيت . قطـار الـرابعة والنـصف يجعلـني أدخـل من الباب في السادسة إلا ربع . وقت فنجان الشاي ! . . فيليب ، هل جئت بشاي صيني ؟

فيلـــــيب : في الدور الأرضي .

هاكـستابل : أعتقد أنني يجب أن أكون في طريق العودة . .

قنـسطنطين : هاري . . أنت تتهرب مني .

هاكـستابل : (في اعـتراف صـادق ومـسلٍ) نعـم . . كـنت . عـادة كما تعرف . . عادة .

قنـسطنطين : (بالـتعاطف الأكثـر مـودة) لنفرض أنني سأمشي معك . . جزءا من الطريق . كيف ترجع ؟

هاكـستابل : بالأتوبيس .

قنـسطنطين : لنفترض أننا سنمشي معا . . . بالأتوبيس ؟

هاكستابل : (مخادعا للغاية) عظيم جدا . . . . لن يرونني معك . . نحن لا نغلق قبل السابعة .

قنسطنطين : (يتهلل وجهه) لا . . لا ، تأكد . "فيليب" . . أخشي ألا يمكنني أن أحضر للعشاء .

فيليب : أوه ، كنت سأخبرك . أمي ستكون معنا . "تومي" . . أنت تعرف غرفة الشاي .

توماس : (بكل كياسة) أوه . . تمام!!

فيليب : آخر السلم مباشرة ، أولا إلي اليسار ، والممر الثاني . سألحق بك . (يرحل توماس)

قنسطنطين : (بلا مبالاة) إذن ، سأدخل بعد العشاء . .

فيليب : ألن تغير رأيك؟

قنسطنطين : لا . . (وهنا يقف "هاكستابل "أولا علي قدم واحدة ثم الاثنتين . عصبيا للغاية . يبتسم له "قنسطنطين". "فيليب" لا يستطيع أن يمنع نفسه ، فيقول . .)

فيليب : لقد حان الوقت الآن . عمي . . انطلق . (يخرج)

هاكستابل : (مازال "قنسطنطين" يبتسم . المسكين "هاكستابل" يبذل

جهدا يائسا ليتصرف علي نحو صحيح مع هذا الفاسق . يشكل وجهه في عبوس . لا فائدة ، ستأتيه ابتسامة إجابة . ثم يستسلم أخيرا) اسمع . . . لن نتحدث عن "آماليا" .

قنسطنطين : لا . . لا نبش أبدا في الماضي

هاكستابل : يا إلهي ! وفي أي شيء آخر يفكر الرجل؟

قنسطنطين : وهذا هو السبب في أنك تبدو عجوزا .

هاكستابل : وهل أبدو كذلك الآن؟

قنسطنطين : كم عمرك يا "هاري" ؟

هاكستابل : ستون . . (يجلسان معا)

قنسطنطين : لا بد وأن تأتي وتقيم معي في "هايت" . . ليس بعيدا عن "هيليل"، هيليل ، بابل يا هاري

هاكستابل : (بفضول) وما شكلها؟

قنسطنطين : البيت أبيض ، وتحيط به أشجار النخيل . . . وليس بعيدا عن تدفقات نهر الفرات .

هاكستابل : يشبه ما جاء في التوراة بالضبط . (بوجه كئيب) قنسطنطين . . .

قنسطنطين : نعم . . يا " هاري .

هاكستابل : قلت أشياء غريبة هذه الظهيرة، لم أسمعك تقولها من قبل .

قسطنطين : ومن المحتمل لا .

هاكستابل : (مندهشا) ولم أتفهم ما قلته حقيقة . ولكن أومن أنها المرة الأولي التي لم أفهمك فيها . وربما كان ذلك من حسن حظي .

قنسطنطين : (بتشجيع) أوه ، لماذا يا " هاري " ؟

هاكستابل : لأن . . . هل تعتقد أننا لم نكن أذكياء لنبقي . . . علي سلامة تصرفاتنا؟

قنسطنطين : وهل أبقتك سعيدا؟

هاكستابل : (نافد الصبر إزاء الكلمة) أي واحد يمكنه أن يكون سعيدا . ما يقلقني ، أنني بعدما بلغت أجلي ، ومنذ فترة قصيرة ، لم أعد أفهم شيئا علي الإطلاق . ولا تستطيع أن تتعلمه من الكتب ، أيها العجوز . التنجيم لا يمكن أن ينبئك بالحقيقة . . علي الأقل ليس بأي مما يمكنني أن أجده . أتساءل لو أن فيّ بعضا من كلب مثلك . . . . ؟

ولكنها هناك . . لا يمكنك أن تفعل الأشياء عن قصد . والأسوأ ، أنك لا تصل إلي الاعتقاد بأنني كنت سأفعلها لو أنني استطعت . . المعرفة بها تصبح خطأ . (ثم يراوده اكتشاف) ولكن كنت دائما أغار منك ، يا قنسطنطين ، نظرا لأنك تبدو وقد بلغت الأفضل من كل شيء . . وأعرف أن الناس لا يمكنهم أن يحثوا أنفسهم للغرام بك . . لأنني أنا نفسي مغرم بك مهما فعلت . من الغريب أن نبدأ بهذا . والآن ها نحن هنا ، كلانا رجل كبير . .

قنسطنطين : (بينما يقذف برأسه للخلف) لست عجوزا . .

هاكستابل : (بتوجس مفاجئ) لست نادما ، هل ندمت؟

قنسطنطين : علي ماذا؟

هاكستابل : قالت "كاثرين" هذا الصباح . . إنك ربما . . . . ولكن ما كنت لأخشى من هذا . (والآن يهز رأسه بحكمة) تعرف . . أنتم صنيع الشيطان . . تزعجوننا جميعا ، وتجرحون مشاعرنا ، وبالطبع لا ينبغي أن تشعروا بالعار من أنفسكم . ولكن . . . حسنا . . الأمر أشبه بالمرة

الوحيدة التي سافرت فيها إلي الخارج ، سافرت مريضا . . . كنت منزعجا بشكل مخيف كرهت الطعام . . وعدت أيضا مريضا . ولكن ما كنت لأتغيب عن السفر . . !!

قنسطنطين : (في رفقة ودودة رائعة) تعالي إلي بلاد العرب يا هاري .

هاكستابل : (مثير للشفقة بطرافة عن الدعوة) لست تتلاعب بي . عمري انتهي . ماذا تراني فعلت به ، الآن؟ تزوجت . ربيت عائلة . كنت رئيسا لبضعة مئات من الفتيات والرفاق الذين لم يهتموا حقا ولو قليلا بي . جعلوا مني مرحاضا . . . تلك هي حياتي . . . ولهذا أحسدك . لقد شققت طريقك . . ولا تنظر إليه الآن كما لو كنت ستلعن بسببه . .

قنسطنطين : (في مواجهة لا تخلو من نبل) لن أكون .

هاكستابل : (يهز قبضة إلي حد ما في اتجاه السقف ، وإن يكن بشكل غير واع) ليس عدلا . ولست أبالي بمن يسمعني أقول ذلك .

قنسطنطين : تصور أننا نصرخ بشكوانا من أعلي الأتوبيس . (بينما

يـبدآن ، يعـود "هاكـستابل" إلـي نفـسه بطبيعـتها الدنيوية المسئولة)

هاكـستابل : ولكـن تعـرف أيها العجوز . . . ستعذرني ، أنا متأكد . . . والموقـف كلـه جـيد جـدا بعـد التمتع بالنظريات والقدرة علـي الكـلام . . مـازال هناك أنك عاملت "آماليا" بشكل بالـغ الـسوء ، وكـذا أولـئك الأخـريات . . قل أي رجل أنت!! دع ذراعي ، ستتركها!!

قنـسطنطين : لماذا؟

هاكـستابل : (هـواجس حـرجه أقـل قـوة مـن لمسة يـد "قنـسطنطين" الـناعمة) حـسنا ، ربمـا لا تحـتاج . (تـصكه فكـره) هـل ستهرب بالفعل للخير هذه المرة؟

قنـسطنطين : غدا .

هاكـستابل : (مركزا عليه) إذن ، تعالي للبيت لترى الأم والبنات .

تـــــوماس : (يعود وينظر حوله) اعذروني . . أنسيت قبعتي .

قنـسطنطين : دعوتك ستزعجهن جدا . .

هاكـستابل : (تتلاشـى ابتـسامته) أتعتقد ذلك؟ ألن تسعدهن . . توسع أفـق عقـولهن؟ (يعـود "فيلـيب" أيـضا) "فيلـيب" . . هـل

أصطحب أباك للبيت للاتصال؟

فيلـــيب : (بعد زفرة واحدة لهذه الإمكانية ، يقول بابتهاج عظيم) بالتأكيد .

قنسطنطين : سأكون معك حوالي التاسعة يا "فيليب".

هاكستابل: (وقد أخفق قلبه الشيطاني الجسور ، ثانية) رأيّ . . من الأفضل ألا نبدو أصدقاء جدا ، ونحن نمر في الشركة . .

قنسطنطين : (مازال مبتسما ، ولكن لا يتخلى عن تأبط ذراع "هاكستابل". ويخرجان) .

تـومـاس : (مازال يبحث عن قبعته) أين وضعتُها أيها الشيطان؟

فيلـــيب : مؤسف ألا تستطيع أن تحل محل أبي على العشاء ، يا "تومي".

تـومـاس : (يتوقف وينظر إليه بغبن) هل تثيرني؟

فيلـــيب : كان يمكننا أن نلقي بمزيد من الضوء علي مسألة المرأة . رأي أمي ، ورأي "جيسكا" في رجال من أمثالك ومثل أبي . (يلتقط بعض الأوراق ، ويجلس إليها علي المنضدة)

تـومـاس : اسمعني يا "فيليب". . لا تهيجني إلي تصرف متسرع . ها

هـي (يجـد قبعته علي قوس أنابيب الغاز ، ويصفقها علي رأسه)

فيلـــــيب : مع "جيسكا" ؟

تـــوماس : (بنخوة شرسة) نعم . . امرأة جذابة ملعونة .

فيلـــــيب : كـافتراض مجـرد . . رغم ذلك . "تومي" . . تعدد الأزواج بالـضبط كمـنهج بـسيط . . . وبقـدر مـا نعـرف ، كمنهج طبـيعة ، مـثلما يكـون الآخـر . كـان يتعين أن ننسب هذه النقطة إلي المسلم المتحضر .

تـــوماس : (بعـد تأمـل هـذه الـنقطة بغـير جدوى للحظة) فيليب . . لكـم أود أن أراك غارقا في حب امرأة . . فربما خدم ذلك حقوقك .

فيلـــــيب : (فجأة يتخلى فيليب عن نبرته الهازئة ويصبح وجهه لطيفا حـزينا) تومـي . . مـا هـدف هـذا كلـه؟ ضع جانبا ألوان التمـرغ العاطفـية للـسيد "يوسـتاس بـيرن سـتات ، وإلـه الإبـداع "أبـي" . . للحظـة . . ماذا نحصل نحن المتحضرون الـذين تـربينا بـبطء ، مـن الحـب . . ومن جمال النساء . . ومـن الوضع الفني الذي يتطلبه ذلك الجمال؟ الذي ندفع

من أجله ثمنا كبيرا إلي حد كبير ، فاهم ! . "تومي " . .
ماذا نكسب منه؟

تـــــوماس : (غارقا في بحر) لا أدري .

فيلـــــيب : هذا سؤال هام . فكر فيه في القطار .

تـــــوماس : أيها الرجل . . التمس عفوك . . . مجلس المقاطعة ، مكانك الأفضل . سيمنع بلبلتك في هذه الأحاجي السخيفة .

فيلـــــيب : (بدقة) بالعكس . .

تـــــوماس : (بعبارته المفضلة ثانية) ماذا تقصد؟

فيلـــــيب : لنخرج . . . ستفقد قطار الرابعة والنصف .

(يخرج توماس. ينكب " فيليب "، علي العمل المزري بتهور)

* * * * *

(الفصل الرابع)

"فيليب"، أمه و"جيسكا" يجلسون بعد العشاء، حول مدفأة غرفة الاستقبال في حدائق "فيليمور". "جيسكا" معزولة إلي حد ما علي مقعد "البيانو" الأسود الطويل، ترتب نوتات موسيقي مربوطة، بينما يكاد يصل إليها ضوء نار المدفأة. ولكن هذا يرتعش علي السيدة "مدراس"، ومع ذلك يؤشر بعمق زائد علي الخطوط المريرة في وجهها، وتترك وميضا هناك من قبيل التعويض. إنها تجلس كسيدة مسنة مسكينة، قلقة، لا تحدق في النار، ولكن إلي الحاجز النحاسي البراق، ويدها بحضنها كالمعتاد. بين الحين والحين ترفع رأسها لتصغي. "فيليب" مسترخيا علي أريكة في المقابل، يدخن بالإضافة إلي أنه مستغرق بعمق- ربما- في مطالعة تقرير الأقلية ذي الحجم الثقيل إلي حد ما، عن لجنة قانون الفقراء.

إنها غرفة ساحرة، الحوائط رمادية، الدهان من الرمادي القاتم. والستائر المسدلة علي النافذتين الطويلتين، من القماش الوردي المطرز الأكثر لطفا. والأضواء التي تعلق علي مساند صغيرة واضحة من الحوائط، من الوردي الناعم أيضا، وليس هناك ألوان أخرى في الغرفة، سوى كتلة من السجاد الفارسي علي الأرضية، والتألق المهدئ للدهانات المقصبة علي الحوائط. ليس هناك مزيد من الأثاث عم يمكن الاحتياج إليه، وليس هناك إضاءة زائدة عن الاحتياج، كما أنها ليست خالية أو كئيبة حتى الآن. ليس هنالك شيء متنافر، ولا يمنع الروح الحساسة من الراحة فيها.

تدخل خادمة صالة الاستقبال، ترتدي الرمادي أيضا، بلا غطاء رأس، وببعض الأشرطة السوداء (يميل بيت "جيسكا" حقا، إلي أن

يكـون نفيـسا قلـيلا) . إنها تحضر خطابات ، واحدا إلي "جيسكا" ، واثنين إلي "فيليب"، وترحل .

فيلـــــــيب : آخر بريد .

جيـــــسكا : التاسعة والنصف . من المفترض أن أباك ينتوي الحضور .

فيلـــــــيب : هذا ما قاله .

م.مـــدراس : هل خطاب مسل يا "جيسكا" ؟

جيـــــسكا : إيصال استلام .

م.مـــدراس : هل تدبيرين الفواتير؟

جيـــــسكا : الكثير .

م.مـــدراس : وهل هذا من الحكمة تماما؟

جيـــــسكا : الـتجار يفـضلونه . (تمـشي بالعبارة إلي منضدتها للكتابة . سـلوك "جيـسكا" مـع حماتهـا غـير الـشرعية ، مـبالغ في الكياسـة ، بحيث يعـد سـلاحا قاسـيا ضـد سـيدة مسنة ، ولكـنها نـصف واعـية بـه ، بلا حيلة إزائه تماما . "فيليب" يفـض الخطـاب الثانـي ويـصفر لمحـتواه اللحـن الـذي في رأسه) .

جيـــــسكا : إيـه الحكايـة يـا "فيلـيب" ؟ (لتأكـيد مشاعره يؤدي المقطع

الثاني بتنويعات) أهي سيئة إلي هذا الحد؟ (لتعليق أخير يصل بالمسألة إلي الإنهاء الكامل، بإيماءة معبرة، ويبعد عنه الخطاب. "جيسكا" تنقر علي كتفه بطريقة مسلية)

م. مدراس : يا له من سخف!! لا تستطيعين علي الأقل أن تقولي ما يعنيه.

جيسكا : لا.. (بصبر إجباري تخطو عائدة إلي البيانو)

م. مدراس : يمكن أن تعزفي لنا شيئا يا "جيسكا"... فقط لإزكاء الوقت..

جيسكا : (بشكل غير ملحوظ، توجه "جيسكا" عينيها إلي السقف) ماذا تريدين؟

م. مدراس : أنا واثقة أنك تعزفين كل المقطوعات المتأخرة.

جيسكا : أخشى ألا تكوني أحببت عزفي بالفعل.

م. مدراس : اعتقد أن عزفك محترف إلي حد ما. ولكنني أفضل شيئا أكثر نعومة..

جيسكا : (تغادر البيانو) أخشي أن نكون قد جعلناك تقضين أمسية مملة.

م. مـــدراس : (بـتلك المفاجـأة الـتي تجسد عائلـة "هاكستابل") لمـاذا لم تدعُني "أمي" أبدا يا "جيسكا"؟

جيســـــسكا : ألم أفعل؟

م. مـــدراس : (ممتعضة من المراوغة) تعرفين أنك لم تقوليها .

جيســـــسكا : من المفترض أنني لم أفكر فيك قط بهذا الشكل .

م. مـــدراس : وما الذي ينبغي أن تفعليه بهذا الشكل؟

جيســـــسكا : (لـبقة بـبرود أكثر من ذي قبل) لا شيء . . لا شيء . . يا أمي .

م. مـــدراس : ولا هذه بالنبرة اللطيفة في التصرف ، أليس كذلك؟

جيســـــسكا : (علي حافة الانفجار) تبدو لي طفولية بما يكفي . .

م. مـــدراس : (تكـشف عن جرح مضاعف) لا أعرف ما تقصدينه . من السهل أن تكوني ذكية أيضا معي يا "جيسكا" . .

فيلـــــيب : (يـتدخل في رحمـة) أمي . . ماذا تعتقدي أن الآباء يكسبون بإصرارهم علـي الاحـترام والمـودة مـن الأطفـال حـين يكبرون؟

م. مـــدراس : أليس هذا حقهم؟

فيلـــــــيب : ولكني أسأل عمّ يكسبونه . .

م. مـــدراس : ألـيس هـذا طبيعيا؟ ، عندما تخسر المرأة المسنة زوجها ، أو الأسوأ ، إذا خسرت طفلها أيضا ، فماذا يتبقى لها؟

جيـــــسكا : (تستعيد نفسها ، بقليل من الشفقة) أمومتها ، يا أمي .

فيلـــــــيب : أمومـتها القديمـة ، كمـا تعـرفين ، قد تكون امتلاكا جميلا .

(تـدخل خادمـة الاسـتقبال وتعلـن "الـسيد قنـسطنطين مـدراس". يظهـر "قنـسطنطين" في ضـوء الـصالة المتألق ، وقـورا بـشكل درامـي ، عـمّ كـان . وبيـنما "يـدخل- مع ذلـك- يـبدو كمـا لـو أنـه يبذل أقل جهد بإزاء سلوكياته الـساحرة . إنـه لم يغـير ثـيابه للأمـسية؟ يـتجه مباشرة إلي "جيـسكا"، ويـبدو أن لديـه أسـلوبا ناعمـا يثير الفضول ، للمصافحة مع النساء)

قنسطنطين : كـيف حالـك "جيـسكا" ؟ أجـدك تـبدين رائعـة الحـسن .

("جيـسكا" تتقـبل المجاملـة بقلـيل مـن الانحـناء المترفـع برأسـها ، وتتركـه ، ثـم بنظـرة إلـي فيلـيب تغادر الغرفة . "قنـسطنطين"، يـتجه مباشـرة إلـي زوجـته . إنها لا تتطلع إلـيه ، ولكـن وجهها يـتجعد بشكل يثير الشفقة . ويتكلم

أخيرا) حسنا . . آماليا؟ (بالنسبة للسيدة "مدراس"، ينبغي أن يؤدي الموقف إلى استيائها ، أو دموعها ، أو كليهما . ولكن الاستياء يحل أولا)

م. مدراس : أهذا هو الأسلوب الذي تكلمني به ، بعد ثلاثين سنة؟

قنسطنطين: (متفهما) ربما ليس مناسبا . . ولكن لا يوجد الكثير من التنويعات لاختيار التحية ، أليس كذلك؟ ("فيليب" يومئ إلى أبيه ، متقدما من الباب ، ويدلف خارجا منه) تركونا وحدنا . وكأنا مخطوبان . . (تلتزم "السيدة" مدراس" بالصمت ، وبمعاناة شديدة تتجنب عينه . يأخذ مقعدا ويجلس بجوارها . يمكنه أن يقول- كما أمكن لجيسكا أن تقول لنفسها بلا شك- إنه يتحدث إليها بطيبة) حسنا "أماليا"، معذرة . أكرر نفسي ، وأنت تكرهين العبارة . وآمل- مع ذلك- أن تكوني بحالة جيدة؟ ، لا تبك عزيزتي "آماليا" . . ما لم يكن - بالطبع- تريدين أن تبكي . حسنا . . ابك إذن . . وحين تكفي عن البكاء . . لست متعجلا . . ستخبرينني لماذا أردت أن تريني . . . وتخوضي مغامرة إزعاج نفسك بهذا الشكل . .

م. مدراس : (تكفكف عينيها) لست أبكي غالبا . . لا أجد غالبا

الفرصة .

قنسطنطين : أخشي أن تكون هذه الطريقة الوحيدة لتقولي إنك تفتقدينني

م. مدراس : (تبعد المنديل عن عينيها ، وتواجهه) هل ستعود فعلا إلي تلك البلاد ثانية في الغد؟

قنسطنطين : في الغد صباحا . .

م. مدراس : للأبد؟

قنسطنطين : (بحمد الله) للأبد .

م. مدراس : (حازمة بشكل يائس) وستأخذني معك؟

قنسطنطين : (يستغرق لحظة قبل أن يتمكن من الرد) لا ، يا "آماليا" . . لن آخذك معي .

م. مدراس : (برد فعل هستيري تقريبا) وأنا واثقة أنني لا أريد الذهاب ، وواثقة أنني لم أكن أقصد أن أطلبها . إنك لم تتغير ولو قليلا يا "قنسطنطين" . . بالرغم من لحيتك . (ثم يحتضر صوتها تقريبا وفجأة) أنا تغيرت . .

قنسطنطين : فقط من الخارج . . أنا متأكد .

م. مـــــدراس : لماذا تزوجتني؟ تزوجتني من أجل أموالي . .

قنسطنطين : (مبديا السأم) كان ذلك من عهد بعيد . .

م. مـــــدراس : لا ، لم يكـن . . بـل يـبدو وكأنه بالأمس . ألم تتزوجني من أجل أموالي؟

قنسطنطين : إلي حد ما آماليا ، إلي حد ما . . وأنت لماذا تزوجتني؟

م. مـــــدراس : أردت أن أتزوجك . . كنت حمقاء .

قنسطنطين : (مـازال بالـتعادل معهـا) كـنت حمقـاء ، ربمـا ، ولكـن أن تـضيقي بنـتائج تحقيق ما أردته ، كان يمكن أن يكون أرحم بـي- لا شـك- من ألا أتزوجك . ولكني كنت أكثر تهورا إذن ، وبالطـبع أقـل خـبرة . لم أدرك أنك ما كان يمكن أن تغـيري قـط فكـرتك عـمّ يجب أن يكونه الزوج الصالح ، ولا كم من الضروري أن تصبحي ما يجب أن تكونيه .

م. مـــــدراس : كيف تجرؤ أن تلتمس أعذارا لأسلوبك في معاملتي؟

قنسطنطين : كـان ثمـة عذران . كنتُ الأول في حياتك . وكنت أخشي أن تصبحي الثانية في النهاية .

م. مـــــدراس : (بصحوة معنوية) دافعت فقط عن حقوقي .

قنسطنطين : وحصلت عليها ، أيضا . انفصلنا ، وكانت نهايتها .

م. مدراس : لم أكن قط سعيدة من وقتها .

قنسطنطين : لا شيء في ذلك تفخرين به يا عزيزتي .

م. مدراس : (تشعر بأن الغربة بينهما تنقشع) ما الذي حدث لتلك المرأة ، وابنها . . أعني "فلورا" ؟

قنسطنطين : الابن مهندس . . واعد بشكل رائع ، بهذا أخبرني أرباب عمله . "وفلورا" تعيش في "هتشن"، بشكل مريح تماما . . وعندي أسبابي لهذا الاعتقاد .

م. مدراس : كانت أكبر مني .

قنسطنطين : أعتقد في نفس عمرك تقريبا .

م. مدراس : أعطيتها مالا؟

قنسطنطين : (يرتفع حاجبيه) بالتأكيد . . كنت أزود كليهما بالمال .

م. مدراس : ألم تتوقع مني أن أغار؟

قنسطنطين : (بتنهيدة) ومازلت آماليا؟

م. مدراس : ألا تراها أبدا الآن؟

قنسطنطين : لم أرها من سنوات .

م. مدراس : يبدو لي أنها حظيت بمعاملة طيبة ، بقدر ما حظيت . . إن لم يكن أفضل .

قنسطنطين : توقعتْ ما هو أقل .

م. مدراس : وماذا عن الأخريات؟

قنسطنطين : (وقد بدأ صبره ينفد) لا . . ثلاثون عاما مضت بالفعل . . ولا يمكن أن أخوض معاركي المنتهية ثانية . من فضلك قلي لي ما الذي يمكن أن أفعله لك ، من وراء رجوعك معي .

م. مدراس : (منكمشة من أقل قسوة) لم أقصد ذلك . لا أدري ما الذي جعلني أقولها . ولكنه مشهد مخيف أن أراك مرة أخرى ، ونكون وحدنا معا .

قنسطنطين : والآن ، هل ستبكين مرة أخرى يا آماليا؟

م. مدراس : (تجز علي أسنانها) لا . .

قنسطنطين : وهذا الصواب . .

م. مدراس : (تستجمع نفسها بالفعل ، وتصبح معقولة بشدة) ما

أريـدك أن تفعلـه حقـا ، مـن فـضلك يا "قنسطنطين"، ألا تهـرب . لـست أتوقـع أن نعـيش معا . . بعد الطريقة التي تـصرفت بهـا ، لا يمكـنني أن أقـبل هـذا . ولكن لابد وأن يعـني بك أحد إذا مرضت ، والأهم من هذا ، أنا لا أعتقد أنه ينبغي أن ترحل ، وتموت خارج بلدك .

قنسطنطين : (يقارع حجة بحجة) عزيزتي . . لقد شكلت روابط أخرى

م. مـدراس : ستشرح لي- لو سمحت- ما تعنيه بذلك؟

قنسطنطين : أنا مسلم . .

م. مـدراس : هراء!!

قنسطنطين : مـن المحتمل ألا تكونـي قـد تعـرفت علـي قوانين الزواج الإسلامية .

م. مـدراس : هل تقصد أن تقول إنك لست متزوجا مني؟

قنسطنطين : لا . . فعلـتها مع أنه لم يكن ضروريا بالنسبة لي أن أضعها في حساب التوافق معها .

م. مـدراس : حـسنا . . لم أظـن أبـدا أنـك قـد تكون أسوأ . لماذا لم تكن راضـيا بـأن تجعلـني تعيـسة؟ إذا كـنت رحلـت وتعهـدت بالكفـر ، أيـضا . . لا أدري مـا الـذي سـيجري مـنك يـا

قنسطنطين .

قنسطنطين : "آماليا"، لو أنني كنت مسلما من البداية ، ربما كنت تعيشين معي في سعادة .

م. مدراس : كيف تستطيع أن تقول هذا التصريح المفزع؟ ولنفترض أنه كان صحيحا؟

قنسطنطين : جئت من الشرق .

م. مدراس : لا . . لم تأت . .

قنسطنطين : لنكن واضحين . جدي كان يهوديا من "سومر"

م. مدراس : ولم تعرفه قط . أمك ربتك لتكون معمدانيا .

قنسطنطين : ما كنت أستحق . وكمعمداني أنا مدين لك بالاعتذار عن تصرفي . ما الذي يدينني به ذلك المذهب الممتاز من أجل جحيم الغواية والعار والندم ، الذي أمرُّ به بسببه؟

م. مدراس : (بدهشة مثيرة للشفقة) وهل تعذبت يا قنسطنطين؟

قنسطنطين : تعذبت

م. مدراس : لم تخبرني قط بهذا .

قنسطنطين : (بكبرياء رجولي) ما كان ينبغي .

م. مـــــدراس : ولكـنني كـنت اتمـني لـو جعلتك تقول إنك نادم ، وتتركني أغفـر لـك . مـرتين وثلاثـة كنت قد غفرت لك . . وأنت تعرف يا "قنسطنطين".

قنسطنطين : (يـستعيد مـرحه ، وكياسـته الفاتـرة ، ولا إنـسانيته ، الـتي فقدها مؤقتا) نعم ، لم يكن سهلا أبدا أن أفرّ من غفرانك . إن لم يكـن مـن أجـل محمد- نبي الله يا "أماليا" - يجب أن أكون هاربا منه الآن

فيلـــــــيب : (يـدخل بكياسـة) عفوا . . أنسيت كتابي (يأخذه من علي البيانو)

قنسطنطين : لا تمش يا "فيليب" . .

فيلـــــــيب : (ينضم إليهما ، ثم يقول بينما يتابع صمت التغيير ، بفرحة واضحة) لما وصلتم؟

م. مـــــدراس : (يـنطلق لـسانها) "فيليب"، لا تكن ثرثارا ، علي حد قول ابن خالك "إيرنست". أبوك سافر وادعي أنه تزوج عديدا مـن النـساء التعـساء ، في تلك البلاد التي أريتني إياها علي الخريطة ، ولا أدري ما سيحدث . رأسي دائخة .

قنسطنطين : ليس كثيرا يا آماليا .

م. مـــدراس : لـو بعـض الناس أخبروني- عندما كنت فتاة في المدرسة ، وأتعلـم شـيئا مـن هـذا القبيل في التاريخ والجغرافيا- إنني يجـب أن أجد نفسي في موقف كهذا ، لما صدقتهم . (تكوّم المعانـاة) قنسطنطين . . كـيف ستواجهني فـيما بعد؟ هل فكـرت في ذلـك؟ ألم يعقـد زواجـنا في الـسماء؟ يجب أن أعـرف مـا سـيحدث لنا . . ببساطة يجب أن أعرف . طالما باركـت أنـك قـد تعـود إلـيّ ، وأنني قد أغلق عينيك إزاء المـوت . تعـرف ذلـك يا "فيليب" ، وطالما سألتك أن تخبره بـذلك . لـيس من حقه أن يرحل ، ويقترف هذه الشرور . في نظرة الرب أنت ليّ يا قنسطنطين ، ولا يمكنك الإنكار

قنسطنطين : (بـلا إنـذار يتعكـر مـزاج "قنسطنطين" فيقفز إليها ويرعد فـيها) اسـكتي يا امراةّ!!(ثم وكأنه شعر بالعار ، يولي عنها بظهـره ويقـول بـصوت بـارد) "فيلـيب" . . لدي كثير من المـسائل أود إنهائهـا معـك . اقـترح علـي أمـك أن تتركنا وحدنا

فيلـــــيب : (محتجا علي كلا المزاج وجرح الكرامة) لن أفعل شيئا من هـذا القبـيل ، مـادام أبـي في إنجلـترا . كمـا أنـه في بـيتي ، ويستطيع علي الأقل أن يعامل زوجته بشيء من اللياقة .

م. مـــــدراس : (برضـاء لا يخلـو مـن وداعـة) أوثر لو أنه لم . . إنها محض سخرية مني . سأذهب لأنام أوثر كثيرا لو تعكر مزاجه .

(تخطو للرحيل ، فيوقفها صوت "قنسطنطين" العاصف)

قنسطنطين : "فيليب" . . حينما كنت صغيرا ، أمك تشاجرت معي ذات مرة في حضورك .

فيلـــــــيب : (في "مرارة أيضا) أتذكر . .

قنسطنطين : شعرت بالعار لذلك في هذا اليوم . .

م. مـــــدراس : (بسرور تـام) حسنا . . واثقة أنـي لا أتذكر ذلـك . ما الحكاية؟

قنسطنطين : أوه ، هـذه بلـد مرعبة . كل ساعة أقضيها فيها ، تبدو وكأنها تسلبني ذرة احترام للنفس .

م. مـــــدراس : (عـند هـذه الـنقطة ، تنضم إلـي المعركة ثانية) وبعد . . لم عدت؟ ولم لم ترني من قبل . . أو تكتب ليّ؟

قنسطنطين : (في قـنوط مـضحك) آماليا . . لا تهيجي أعصابي ثانية . . اذهبي للنوم ، لو كنت ستنامين .

م. مـــــدراس : أتمني لو ما كنت رأيتك مرة أخرى .

فيلـــــيب : عمت مساء ، يا أمي (تستدير فيسقط عليها ضوء الصالة المتألق . تنظر بكراهية إليه ولا تزد برد آخر ، وتخرج . يعود "فيليب" إلي المدفأة . فكل ما حدث يشعره بمرارة . أيضا . يرمق أبيه)

قنسطنطين : أنا آسف . أنا حزين . . كنت حزينا حين جئت إلي هنا .

فيلـــــيب : إيه الحكاية؟ زيارتك إلي تل الدنمرك؟

قنسطنطين : (الذي أنسي ذلك فيما يبدو) لا . . لم أذهب إلي هناك ، رغم ذلك .

فيلـــــيب : أفزعك؟

قنسطنطين : (متقبلا الاستهزاء) لا بأس . يمكن أن أقولها . ما أن خرجنا من الأتوبيس ، "هاري" بدأ يثرثر عن جرح مشاعرهم ، نعم . . أفزعني ذلك أيضا . . قلت له أن يخبرهم بشكل لا يقبل الشك كيف كانت معنوياته عالية معي . سفح ثلاثة دمعات بينما نفترق .

فيلـــــيب : نعم . . أمي كانت وحيدة هنا . إنها امرأة يائسة . . . مبتلاة بالمرض . أحدهم دفع بها في موقف الضعف . ولكن خالتي "كاتي" . . قويّة وواثقة ، بست بنات متشددات

تدعمنها .

قنسطنطين : تعتقد بالطبع أنني دائما أعامل أمك بطريقة سيئة؟

فيلــــــيب : لا أستطيع أن أعين هذا التفكير . أكانت هذه الطريقة الوحيدة لمعاملتها؟

قنسطنطين : وهل كنت أقصد أن أقضي بقية عمري لأجعلها تنسي أنها تعيسة ، مثل أولئك الناس الذين عاشوا دائما لأطول مما تقضي أهدافهم؟

فيلــــــيب : أنا شخصيا عندي هذه الضغينة ضدكما معا ، يا أبي العزيز . كابن ابتلي بزيجة مليئة بالشجار ، أصبحت ميالا لكراهية الرجال ، واحتقار النساء . إنك ممتلئ هكذا بهدف أن تحصل علي الذرية . ولنفترض أنك فكرت أكثر قليلا في تربيتهم .

قنسطنطين : وما المشكلة في زواجك؟

فيلــــــيب : لا بيت ليّ!

قنسطنطين : قضيت يوم أحد معي مرة في كل شهر . وذهبت إلي المدرسة الأكثر رجولة التي أمكنني أن أجدها .

فيلــــــيب : لا يهم كيف تعلمت اللاتينية والإغريقية اللتين علمتاني

أن كل امرأة جميلة عاجزة كانت فريسة للرجل . . . وكيف آمر زوجتي أن تخرج من الغرفة؟!

قنسطنطين : (بلا مبالاة) ولدي العزيز . . إنهن تحبين ذلك .

فيلـــــيب : تحببنه؟

قنسطنطين : حسنا . . وبأي طريقة أخرى تعاملهن؟

فيلـــــيب : أبي . . ألا تدرك ذلك . . في انجلترا المنحطة ، علي الأقل ، أسلوبك هذا الأكثر رجولة ، أصبح خارج الزمن إلي حد ما . . ألا تدرك أنك ونوعيتك ، يبدون حمقى أخيرا؟

قنسطنطين : (ناطقا بانزعاجه الذي يتملكه) الحمد الله ، سأكون خارج البلاد تماما في الغد! قضيت هنا مؤخرا هذه الأمسية لأنني سافرت ثلاثة محطات بعيدا جدا في هذا الأتوبيس التعس ، جالسا في مواجهة مثل هذا الشيطان الجميل الصغير . كانت هكذا حية ، تجهش بالبكاء لتتمكن . . كانت ذات انحناءة في مشط القدم ، والحيلة الصغيرة لأرجحة قدمها ، تلك التي لم أستطع أن أقاومها . وكيف يمكن لرجل أن يقاومها؟ نعم . لكم كان مضحكا ، ومخزيا ، ومهينا . . هربت من انجلترا لأفر منها . وكبيرة

السن هنا . . طليقة الشفتين ، تختلس النظرات . كدت أطلب منك أن تطلق علي الرصاص في البداية .

فيلـــــيب : وهل هذا ما كان يزعجك؟

قنسطنطين : لا . . . (يتجهم ، فأفكاره تمضي بعيدا لمكان آخر . لحظات من الصمت ، يكسره فيليب)

فيلـــــيب : أبي ، ماذا تعرف عن شئون تلك المدعوة الآنسة "ياتيس" ؟

قنسطنطين : (يسدد له نظرة حادة ، ثم عاديا بعناية) ما أخبرتني به .

فيلـــــيب : لا أكثر؟

قنسطنطين : وهل تعرف المزيد؟

فيلـــــيب : (ينقض علي الخطاب الذي كان يعلق عليه بالصفير) جاءني هذا من الآنسة شانسلر

قنسطنطين : ومن "شانسلر" هذه؟

فيلـــــيب : مدبرة الفرع في "بيكهام" ، التي اتهمت بتعجل "بريجستوك" ، بأنه الطرف المسئول عن حالة الآنسة "ياتيس" .

قنسطنطين : أهي؟

فيلـــــيب : لا أظن . ولكنها أرفقت الخطاب الذي تسلمته من وكلاء

"بريجستوك"، للادعاء بأن كل من الاعتذار والتعويض من حقه، وإلا أثير الافتراء عليه في المحكمة. الوكلاء المخلصون: "ميرك"، و"هودجز".

قنسطنطين : لا أعرفهم.

فيليب : كنا لم نزل جميعا نكوّن ملاحظات شخصية في الثانية عشرة والنصف اليوم.. وهكذا يجب أن أقول إن كليهما بأنصارهم.. ربما شركة من الدرجة الأولى. ولكن تصور أن كل شيء أصبح علنيا... إذن مسألة الأبوة ينبغي أن توضح. الآنسة "ياتيس" تقول إن الأمر ليس من شأن أحد غيرها. وهذه فكرة غريبة، وعليها، إذا اختارت أن تتمسك بها، فإن القانون- فيما يبدو- يساندها. (نظرته الثابتة وصوته الواثق، يجعلان التوتر- فيما يبدو- غير محتمل، وقد قصد فيليب أن يكونا كذلك. ولكن توقع أو يكاد هذا الانفجار. أما "قنسطنطين"، فقد تملكته نوبة هستيرية بطريقته الدرامية الوقورة)

قنسطنطين : "فيليب"، رأيتها بحقيبة السفر الصغيرة، حين أغلق الدكان. أصررت علي الاجتماع معها. تعرف كيف تصرفتُ دائما في مثل هذه الأمور، ولم يكن أحد أكثر

رحمة . إلا أنها رفضت المال.

فيلـــــيب : (يستغيث بالآلهة أن تشهد هذه المناسبة) حسنا . . أمكنني أن أخمن . أوه . . أنت عجوز فاسد!!

قنسطنطين : أهانتني . . قالت إنها فعلتها معي . . أنكرت حقوقي علي طفلي . إنني حتى أخذتها بعيدا . ولكن هكذا تبدو عاجزا ، لا حول لك ولا قوة . لم أشعر بمثل هذا الذل في حياتي .

فيلـــــيب : من الحق أن تخدم نفسك!

قنسطنطين : ولكن جنون البنت! . . فكر في مشاعري . ما الذي تفعله بي؟ ، وهل عرفت ما كانت تقوله؟

فيلـــــيب : (واضعا أفكاره في إطار أخيرا) من المحتمل لا . . ولكني ممتن جدا أن إحدى النساء تظهر أخيرا لتضعك في مكانك . (هذه المسارات من العلاقة بين الأب والابن وضعت كلاهما في مواجهة الآخر ، مشدودين إلي درجة الصياح . وأصبحا مدركين بحالتيهما حين دخلت "جيسكا إليهما سيرا برقة)

جيـــــسكا : أمك انصرفت؟

فيلـــــيب : إلي الفراش . .

جيســـــــسكا : (واعـية بالـرعد) وهـل أنـا مـتطفلة؟ أدخلتُ "فيليب" من فـترة مـضت ليأتـي بكتابه . لم يعد ، ولذا قرت أنه كان . . ربمـا . . لـستُ؟ (يـشعر "قنسطنطين" أنه سيد موقفه ثانية . ومـع ذلـك يـده التي تقبض علي الرسالة التي أعطاه إياها "فيليب"، مازلت ترتعش قليلا)

قنسطنطين : حسنا . . وماذا تريد الآنسة "شانسلر" ؟

فيلـــــــيب : تسألني النصيحة .

قنسطنطين : اطرد "باكستر".

فيلـــــــيب : تقصد "بريجستوك" ؟

قنسطنطين : ليكن "بريجستوك"، اطرده . .

فيلـــــــيب : وما الذي فعله ليستحق الطرد؟

قنسطنطين : يـبدو أنـه رخـو تافـه ، ولـيس خـشنا بمـا يكفـي لـيعترف لـزوجته ، ويخاطـر بوظيفـته . هـل تود أن تحمي رجلا من تداعيات شخصيته؟

فيلـــــــيب : مجتمع يتحالف ليحميه . .

قنسطنطين : إذن لـتدفع له خمسين باوند ، للأضرار المترتبة علي سمعته

السخيفة . وفي هذه نتيجة عادلة لك ، عن تعاطفك معه .

فيلـــــيب : ونتمسك بالآنسة "شانسلر" ؟

قنسطنطين : بالتأكيد . اشكرها باسم الشركة ، لإثارتها الفضيحة .

فيلـــــيب : وماذا عن الآنسة "ياتيس" ؟

جيـــسكا : تلك الفتاة التي كانت في مكتبك هذا الصباح ؟

فيلـــــيب : نعم . .

جيـــسكا : في المشكلة المعتادة ؟

فيلـــــيب : وكيف عرفت ؟

جيـــسكا : من نبرة صوتك .

قنسطنطين : (بكثير من البطء والعناية وبقليل من الامتعاض) اطرد الآنسة "ياتيس"، ولكن ضع عينيك عليها . . وخلال سنة ابحث لها عن موقع أفضل في الشركة . . بقدر ما تستطيع . في واحدة من فروع "مدراس" الجديدة ، التي ستتبع السيد "ستات" . . يبدو أنه سيدفع مرتبات مجزية . (ثم يتنفس الصعداء ، ويستعيد ثانية صورة العجوز ساحر النفس) لنغير الموضوع . . كيف حال "ميلدرد"، يا "جيسكا ؟

جيـــــسكا : تكبر . . .

قنسطنطين : عـندي مـوعد مـع المحامي الليلة ، في العاشرة . سأخصص ألفـان أو ثلاثـة باونـد لـتلك الشابة ، في وصيتي . أعني أن أتـركهم مهـرا لـزواجها ، وفوائدهـم تدفع لها إذا أصبحت عانس في الثلاثين . . التي تحرمها السماء .

فيلـــــيب : وماذا ستفعل بالبقية يا أبي؟

قنسطنطين : سأخـصص ألفـا أو اثنـتين . . سـأعتبرهم: مـيراث الشرف؟ . . ما يتبقى سيكون لك . .

فيلـــــيب : نعم . . لا أريدهم . . أشكرك .

قنسطنطين : مبلغ غير كبير .

فيلـــــيب : خـذه معك إلي "هايت"، تلك القرية الساحرة علي حدود جـنوب أفريقيا . الصقه في الأرض . . . اتركه يفقس مزيدا مـن الـذرة والنفط من أجلك . لدينا الكثير منه بالفعل . . يفقس هنا البطالة . .

قنسطنطين : عزيزي!! (مازالوا يدردشون)

جيـــــسكا : كنا نناقش تخفيض دخلنا ببضعة مئات سنويا . .

فيلـــــيب : إنني أرفض العمل تحت إدارة "ستات".

جيـــــسكا : ومع ذلك، انتظر من "فيليب"، أن يخبرني من أين تأتي المدخرات..

فيلـــــيب : كان ينبغي أن نغير مدرسة "ميدرد" أولا..

جيـــــسكا : كلام فارغ، يا فيليب.!

فيلـــــيب : أبي العزيز.. قضيت يوما هناك مع الطفلة، وصدقوني.. الشيء الوحيد الذي تعلمته، ولن يكون سوى إنجاز عاطلين، هو فلاحة الحدائق. وحتى في حدائقهم غير مسموح بالخضروات.

جيـــــسكا : "فيليب".. لأحب أن تقول أي كلام فارغ، مع "ميدرد"، بشأن كسب معيشتها. النساء البارعات تقضين وقتا طيبا في الدنيا.. أما الجادات فلا. أريد لابنتي أن تكون سعيدة.

فيلـــــيب : لو أن لدينا بقية حياة تكفي لأن نكون فيها سعداء، لتعين علينا أن نستبقى أنفسنا فقراء بشكل محترم.

قنسطنطين : (ينهض) هل يمكن أن تجد لـيّ سيارة أجرة؟، كانت السماء تمطر حين أتيت..

فيلـــــــيب : ستكون هناك سيارة في الموقف المقابل .

قنسطنطين : لا يجب أن أتأخر على المحامي "فويسي". يحقق مكرمة بالحضور بعد ساعات .

جيـــــسكا : إنني أرسخ بصراحة لأذواق غالية . أحب لكل شيء حولي أن يكون جميلا . ولا أدري ماذا تعني المدنية غير ذلك .

قنسطنطين : أن واثق أن فيليب لا يمكنه أن يرفض لك شيئا .

فيلـــــــيب : لو أنني سأطرد الآنسة "ياتيس"، أتساءل إذا ما كان ينبغي أن أفعل ذلك بقسوة كافية بحيث تقتنع بقبول بعض التعويض .

جيـــــسكا : ولم؟

فيلـــــــيب : لن تقبل مالا من هذا الوجيه المحترم . . . كائنا من يكون . . وذلك حتى لا تكون مرشوة للاعتراف بعارها .

جيـــــسكا : حين تخطئ امرأة ، ألا يمكن أن يكون من واجبها ، بالنسبة للأخريات ، أن تعترف به؟

قنسطنطين : (الذي كان مازال واقفا من برهة ، مسمدا لحيته) إن لم يمرر محاسبوك مبلغا محترما يسعدني أن أرسل لك شيكا ،

يا "فيليب".

فيلـــــــيب : (بابتسامة ساخرة) سيكون كرما بالغا منك يا أبي

قنسطنطين : إلي اللقاء ، جيسكا . .

جيـــــــسكا : إلي اللقاء

قنسطنطين : "فيليب محظوظ في زواجه .

جيـــــــسكا : جميل منك لو فكرته بذلك .

قنسطنطين : لديك بيت ساحر . وإني لأتساءل كم تكلفت من مدنيتك الأنثوية ، لتغزين قلبي . حسنا أترككما لمحادثتيكما . تمنياتي لكم بحياة سعيدة . . (ينحني علي يديها كما لو كان سيقبلها ولكنها تستعيدها- متحرجة- من قبضته الناعمة . ولذا ينحني ثانية ويغادرها) فيكتوريا في الساعة الحادية عشر صباح الغد ، يا "فيليب" . .

فيلـــــــيب : نعم . . . . سأودعك .

قنسطنطين : ينبغي أن أتسوق قليلا ، مبكرا بشكل كاف .

فيلـــــــيب : تتسوق !! . . وماذا يمكن أن يبعث الغرب إلي الشرق؟

قنسطنطين : يجب أن أعود بحلية رخيصة أو اثنتين .

فيلـــــــيب : بالتأكيد . . إننا نفعل الشيء نفسه في سفرنا .

(يـصطحب "قنسطنطين" عـبر الـصالة إلي الباب الأمامي يلـوح لسيارة أجرة ضالة ، ويتخلى عنه . "جيسكا" تتحرك تقـريبا كمـا لـو كانـت تتحرر من جو هذه الزيارة . وحين يعود "فيليب")

جيـــــــسكا : هـل مـن عـادة أبـيك أن يبعثـر الـشيكات هكذا ، بسخاء ولامبالاة . . ؟

فيلــــــيب : "جيـسكا" . . بيـنما أكـن كـل احـترام لاسـتقلال تلـك الشابة . . مازالت أرى أن مائتي باوند فيهم نفع كبير لتربية الطفـل . . فلمـاذا لا يـتعين أن تحـتفظ الآنـسة "ياتـيس" بسرها؟

جيـــــــسكا : نعـم . . أنـا لا أحـب أباك . وأحيانا أخشى أن تكون مجرد طـبعة مـثقفة مـنه . مـسألة حيوية – بالطبع – أن تمضى في إغـواء كـل واحـدة بطـريقة تفكـيرك . ولكنها بالفعل غير متحـضرة تمامـا . كـان يجـب أن تـتعلم كيف تتحدث عن المناخ .

فيلــــــيب : لا يمكـنني الكـلام فـيما لا نفـع فـيه . (يلـتمس مقعـدا

وسيجارة ، ولكنه لا يلبث أن يتخلى عن كليهما ويبدأ محاجاة- بدلا من ذلك- بحيوية . حجج "فيليب" المثيرة ، تتقافز حول الغرفة باختصار ، وبإشارة غير إنجليزية شاذة) إنني لأتساءل أكثر فأكثر أي شيطان تقصدون بالتمدين . هذه الغرفة تمدين . أي تمدين؟ ، ليس نحن . .

جيسكا : (في يأس ساخر) أوه! عزيزي!

فيليب : افرحي! . . ألم تتزوجيني لأنني فكرت كثيرا في "باخ"، عن بذاءة "باخ" ؟ لم لا تشاركي في مجموعة اتهامات جديدة؟ ، هذا النوع من الزواج يستحق فترة ، أتفهمين . حتى مشاجرات الإنسان لها كرامتها المؤكدة .

جيسكا : استمر . . استمر . . بورك قلبك .

فيليب : (يهز قبضته في وجه العالم عموما) مدنيتنا هي المصلى الأبيض بالشارع العام .

جيسكا : لا أعرفه .

فيليب : ولذا لا تفعلين يا عزيزتي أكثر مما فعله أبي بوجهة نظره في الحياة ، باعتبارها نوعا من المطاردة الغرامية . (يتفحص الغرفة الساحرة ، التي تعد بيته) سجاد فارسي علي

الأرضية . العشاء الأخير علي رف المدفأة . الأريكة التي تجلسين عليها صنعت في فرنسا المنسية . هذا متحف . وتحت في تلك المدرسة الغالية ، ما يزرعونه في عقل "ميدرد"، ليس سوى متحف آخر . . . من السلوك المتقن والذوق الرفيع (يمسك جيسكا بنظرة نصف محتقرة ، نصف عطوفة متسائلة) هل سنجد لنا مكانا في هذا؟

جيسكا : إذا أرادت أن تعيش "ميدرد" بمثالية في طريق المصلي الأبيض ، فعليك أن تجعل منه مكانا ملائما لها .

فيليب : (يتلقى الطعنة ويستمتع بردها بكفاءة) إذا ما عاشت فيه ، سيصبح كذلك . لماذا أتخلى عن تصميم الأزياء ، وإدارة محل للموضة ، لأستمر في مجلس المقاطعة . . . إذا أمكن أن أنالها؟ لا لأنحت صورة رفيعة هناك . ولكن لأكون علي رأس لجنة أو لجان . لا لأتحدث بترفع رغم ذلك- اللهم احفظني من الغواية- ولكن لأكون غبيا ، وأبذل ما في وسعي بشأن المجاري والمطهرات و . .

جيسكا : حسنا . . لماذا ، فيليب؟ . . ربما أفهمك أفضل

فيليب : لأنقذ روحي وأبقيها حية .

جيـــــسكا : ثـق أنني أتمني لو أمكنك . ولكن ما الذي كنت ستزرعه في روح المسكينة "ميدرد" ؟

فيلـــــيب : (يـتوقف عـن التحرك في الغرفة) لم لا يكون وعيا بالقبح؟ ألم تنظـري أبدا إلي شارع لندن . . تجولت فيه جيئة وذهابا ببطء ثلاثة مرات . . تذوقته بكل حس ثقافي؟

جيـــــسكا : نعم . . إنه يثير الاشمئزاز .

فيلـــــيب : وماذا فعلت؟

جيـــــسكا : وماذا يمكن للواحد أن يفعل؟

فيلـــــيب : تعـودين إلـي البيت وتعزفين سوناتا "بيتهوفن"!! هل ذلك يغرق مناظره ، أصواته ، وروائحه؟

جيـــــسكا : نعم . . يغرقها . .

فيلـــــيب : (في ثورة عنيفة) ليس ليّ . . يا إلهي ! ليس ليّ

جيـــــسكا : (ممتعـضة بلطـف) الفـن بالنسبة لكـثير جـدا من النساء ، يجعل الحياة ممكنة يا فيليب

فيلـــــيب : تـصوري أنـنا نعلم "ميدرد" أن تطل من النافذة علي الحياة في الخـارج . ولكننا نريد أن نجعل ذلك مستحيلا . لا الفن

ولا الدين ولا السلوكيات الراقية جعلت من العالم المكان الذي يمكن أن أعيش فيه، لو أمكن أن أعينه. (يقذف نفسه في مقعد) هل تذكرين إبان شبابي حينما تعودت أن أقضي جانبا من أجازتي محاضرا عن "شيللي"؟

جيسكا : نعم..

فيليب : أذكر ذات مرة كنت أسافر بالقطار مع تعس مسكين كان يعيش- كما قال لي- علي هوامش ربح استطاع أن يلتقطه بالتوسط العاجز إلي حد بعيد بين حقل الذرة والخباز أو منجم الفحم والنار.. أو مالك ومستأجر... أنسيت أيهم. كان مرهقا وعصبيا وعليلا. وكره "جونز". لأن "جونز" استخرج له نصف بالمائة، عن مبلغ مائتين وخمسين "باوند".. ولو كان المبلغ أكبر، لقاضاه، ولهذا كرهه. نهاية "بروميثوس" كانت تطن في رأسي.. هكذا كنداء المجد. عملاق، سيكون رائعا، عظيما ومرحا، جميلا وحرا.. وحسبته رفيقا عاديا. وبعدها، أخبرني.. كم خشي الإفلاس، وكيف أن عمه- الذي كان كاتبا- جاء إلي الملجأ... وأي خزي كان في هذا كله. وخشيت أنه كان سكيرا صغيرا. وتساءلت إذا ما كانت إثارة

اهتمامه بموقف "تشيللي" من العروض الشعرية . . أو حتى جمالية بطولة "بروميثيوس" . . قد تريحه على الإطلاق . ولكن حين سألني عن سبب سفري إلى "مانشستر" . . . هل تعرفين أنني خجلت أن أخبره؟ (يحل قليل من الصمت ، تخترقه أصواتهم بصعوبة)

جيسكا : نعم . . عالم مفزع ، قبيح ، غبي . . عالم متلاف . . . عالم كريه .

فيليب : ورغم ذلك ، يا "جيسكا" ، ينبغي أن نعلم "ميدرد" ، ماذا يعني حب الدنيا ، حتى وإن كان عملا مزعجا . . حتى وإن كان يعني حرمانها من أرستقراطية المشاعر الطيبة ، والذوق الراقي . . آخر امتيازات الطبقة نفسها . أصارحك أنني لم أتوصل لهذه الشكوك بسهولة . إنني أهتم بكل الأصوات والمشاهد والأفكار الجميلة التي ورثناها عن الدنيا . إن توصيلها أشبه بتجسيد روحي التي خلقها الله بعناية ، خارجي قبل الموت .

جيسكا : (بقذف مفاجئ ليديها) توصيلها لمن؟

فيليب : (هازا يديه علي المدفأة) أخشي أن يكون لبقاء كل من

أولئك الذين أغرينا بكراهيتهم ، واحتقارهم ، لتلك الحياة العامة . تلك هي الديموقراطية ، ولكنها ديموقراطية المستقبل . (ينظر عبر زوجته بشيء من الفضول) أعرف أنه أصعب عليكم أنتن النساء . تتخلين عن دروعكن للرجل الذي تحببنه ، وعدا ذلك فلديكن شرفكن وكرامتكن وطهارتكن .

جيسكا : أتريد عالما بدون هذا أيضا؟

فيليب : أريد أن أعرف فقط أي عالم تصل إليه أولئك الفتيات الست النحيفات في بيت عمي . . وما نصل إليه منهن أو ما تصلن إليه منه؟ تبدو ليّ الآن تجاوزات الآنسة "ياتيس" الصغيرة ، وكأنها ربحا حولها . .

جيسكا : خطآن لا يصنعا حقا . .

فيليب : (بطرافة) يصنعان غالبا . . . من المحتمل ، مزيجًا . بالطبع استطعتن أنتن النساء خدمة أنفسكن جيدا ، بالتطلع إلي لوردات الخليقة أمثال أبي ، وبشكل مربح تماما ، بوعي واحد إن شئتن .

جيسكا : (تزم شفتيها) أشكرك . . . نحن لسنا ماشية .

فيلــــــــيب : لا ، ولكـن أعـتقد أن هـناك ثمـنا لابـد وأن يدفع للأنوثة الحـرة . . وكـم مـن النساء ترغبن في دفعه؟ اخرجي وكني امـرأة عاديـة بينـنا نحـن الـرجال العـاديين؟ (ينحني نحوها ويعمـق صـوته) "جيـسكا" . . تشعرين بأنه أنت من غلبها الشيطان المسكين منذ ستة شهور مضت؟ . . . أنه أنت من ستشنق في الغد؟

جيــــــــسكا : لا أعتقد أنني أفعلها

فيلــــــــيب : إذن فهو جسمك الذي يباع في أحد الشوارع هذا المساء؟

جيــــــــسكا : (تأتـي بـرجفة بـسيطة مـن أكثر الرجفات أصالة) أكره أن تفكر في مثل هذه الأمور .

فيلــــــــيب : (ملخـصا) هـناك قلـيل مـن أمل ثمين في ملكوت السماء علي الأرض . أعرف أنه يبدو مجرد هراء ، ولكن يقيني أنه حقيقـي . إن لم نـستطع حـب القبـيح بقـدر مـا نحـب الجمـيل . . أن نـشاركهم جمـيعا الآن . . الهـواء المـنعش والفــن . . القــذارة والإثــم . . إذن فالــناس الطيــبون والأذكـياء يكلفـون العـالم كثيرا جدا . عقولنا تكلف كثيرا جـدا مـا لم نعطها بحرية . جمالك يكلف كثيرا جدا ، لو أنه

أعجبني فقط بسبب المرأة الأقبح التي أراها . . حتى فضيلتك قد تكلف كثيرا جدا يا عزيزتي . الخرق البالية تكلف مالا للتزين ، القبح يكلف للتجميل ، والإثم يدفع مالا من أجل الفضيلة . لماذا لا يستطيع شيء أن يحتفظ لفترة طويلة بكثير من الجمال لفترة طويلة في عين رجل طيب ، عن الشيء القبيح علي الأرض؟ لماذا لا نحتاج أن يكون الرجل أحكم ، عن أن يكون الأحمق الأكبر علي الأرض؟ ، لماذا لا يربح لا الرجل ولا المرأة اللذان سيصبحان أكثر استقامة ، عن الآثم الأعظم علي الأرض؟ (يطبق يديه بحسم) هذه هي الألغاز التي يلقيها عليّ أبو هول العالم . فنانوك ، علماؤك ، وعاظك ، لا يجيبون عليها . . . ولذا ينبغي أن أولي بوجهي قليلا عن الفنان ، والعالم ، والواعظ . . . ثلاثتهم . . .

جيسكا : (تنظر إليه متعاطفة بينما يكمل تبريره ، وإن لم تكن فاهمة . ثم تحتشد له بمزاح) وحتى تجد حل ألغازك يا عزيزي "فيليب" ، لن أتوقف عن الاشتراك في حفلات لندن السيمفونية . . وسأتوقع أن تصحبني من حين لآخر .

فيليب : (يقفز متراجعا من عالمه الفلسفي) أوه . . هذا

يذكرني . . . عندي رسالة لك من "تومي" .

جيـــــــسكا : أحقا معك؟ لقد كان مثيرا للأعصاب فعلا هذا الصباح .

فيلـــــــيب : ينبغـي أن نعامـل "تومـي"، بروح الدعابة والمرح . لم تكن رسـالة بقـدر مـا كانـت واحـدة مـن انفجـارات الاعتداد الطفولي بالنفس . . . إنه يحبب نفسه إلي واحدة منهن من وقت لآخر .

جيـــــــسكا : إلي أنا؟

فيلـــــــيب : نعـم . . هـذا مـا يفهـم مـنها . من فضلك لا تتبسطي معه كـثيرا ، فلا وقت عنده ، كما أنه جد مخلص لي ولزوجته ، ولا يـريد أن يجـد نفسه متورطا بجدية في حبك . (والآن لم يقـل "فيليب" هذا ، بلا حذر ، وقد أدركته "جيسكا" . فلن تنـزلق إلي فخ صغير أعد لزهوها ، أو ما شابه . ومازالت تقول ببساطة ، بصوت يكاد يكون منتظما)

جيـــــــسكا : شـكرا علي الرسالة . . (يستمر فيلب بمرح مقلبا صفحات كتابه)

فيلـــــــيب : إنـه لا يتصور علي الإطلاق أنك تحبينني . . سواء بجدية أو غير ذلك .

جيـــــسكا : (بثبات) وأنت؟

فيلـــــيب : لا . .

جيـــــسكا : (مازالـت نـبرتها حـادة) وهل هذه المرة الأولى التي تناقش فيها أمـوري مـع "تومـي"، أو غـيره؟ مـن فـضلك لتكن الأخيرة . .

فيلـــــيب : أغاضبة أنت يا "جيسكا" ؟

جيـــــسكا : أكثر من غاضبة .

فيلـــــيب : آسف . .

جيـــــسكا : (بعـدما تـسيطر علـي مـزاجها بـنجاح ، إن لم يكـن مزاج الدعابـة الـذي نبهها "فيليب" إلي التماسه ، تسمح لنفسها الآن بانفجـار مـتعمد للاسـتياء) إنـني أحتقـر الـرجال . . احتقرتهم وأنا في الخامسة عشر . . أول سنة وعيتهم فيها . تخـبطت في كـثير مـن الآراء مـنذ هـذا الـوقت . . ولكنني عدت إلي احتقارهم .

فيلـــــيب : كـان يخـشى ألا تكونـي مـسرورة معـه ، ولكـنه حظـي بتعاطفي ، يا "جيسكا".

جيـــــسكا : (تلقي برأسها للخلف) تعاطفك!!

فيلـــــــيب : "تومـي"، يعتـبر مـا أسمـاه الـسيد "سـتات"، علـي سبيل التسلية هذه الظهيرة، بالرجل الحسي المعتدل.

جيـــــسكا : (باحـتقار مطلـق) نعـم.. عندما كنا وحدنا- بعد حديث مـرح عـن الأمـور في العموم- كان طوال الوقت يفكر في أنني أريده أن يقبلني.

فيلـــــــيب : بيـنما مـا تريدينه حقا أن تجعليه يريد تقبيلك، ولكن دون أن يقبلك أبدا..

جيـــــسكا : (في احتجاج) لا..

فيلـــــــيب : (يثبتها بإصبع) أوه.. نعم.. "جيسكا".

جيـــــسكا : (يعـاود "جيـسكا" حـس الدعابـة للحظـة) حـسنا.. لا أستطيع مطاوعة القبلة، لو يفعلها.

فيلـــــــيب : تـستطيعين بالطـبع. وسـيعتبرك رجـل الحـس المعـتدل، تستخفين بالقبلة.

جيـــــسكا : (ترميه بوجه جدي، ليس لأنها تستطيع أن تستبقي واحدا بـتألق فيليب ينتصر عليها) أعطيك كلمتي، بأنني لم أحاول قـط أن أتبسط بالغزل مع "تومي".. باستثناء مرة أو اثنتين

حين كان يضجرني . وربما مرة أو اثنتين حين كنت مهجورة . . وقتها كان . . وكنت أضجر منه . أعرفه تماما لأتغزل معه . . لا تستطيع أن تتغزل مع رجل تعرفه جيدا . ولكنه كان يضجرني مؤخرا ، وتصورت أنني كنت ضجرة قليلا . ولكن بافتراض أنني كنت أتغزل معه . . كنت أعتقد أنه آمن بما يكفي . (هذه المحاولة تفشل ، وتترك أثرا ، وبناء عليه تدبر بالفعل لأن تعيد نفسها إلي الامتعاض) ومن السفالة أن أمضي في الكلام معك حول هذه المسألة .

فيليب : هكذا قال . . هكذا قال .

جيسكا : الأسوأ من السفالة . . البشاعة! . . لم أسمع قط بشيء كهذا . . ما كان ينبغي أن تسمح له .

فيليب : هل كان ينبغي أن أطرحه أرضا ، حين ذكر اسمك .

جيسكا : نعم . . أتمني لو كنت فعلتها .

فيليب : شيء من السوقية!

جيسكا : لا يمكنني أن أسخر . . أنا جرحت .

فيليب : عزيزتي . . لو أن لديك أي وعي علي الإطلاق ستسألينه

الخروج للعشاء، وتمازحينه حول هذا الموضوع . . .
أمامي .

جيسكا : ألديك أي فهم بما تحسه المرأة عندما يعاملها الرجال بهذه الطريقة؟ الذل والرخص .

فيليب : (ولكن النبرة الأخلاقية العالية، لن يوقفها فيليب . يسقط المزاح، ويعالج "جيسكا") أستطيع أن أخبرك بما يحسه الرجل . إما سيكون أبي أو أنا . . وهذا اختيارك . "تومي"، سيكون أبي حين ترتدين أفضل ثيابك لتهاجميه، أو سيكون مثلي حين يقول بأمانة إنه يفضل لو لم تشائي منه أن يصبح أبي أو أنا؟ هذه هي المسألة الأولى بالنسبة لك .

جيسكا : أريد رجلا يعامل المرأة بكياسة واحترام .

فيليب : وكيف يتأتى ذلك؟، يا عزيزتي . . ألا تعرفين أن الرجل الحسي المعتدل . . لا، ليس "تومي" تحديدا، ولنقل "ديك"، أو "هاري" . . . ينظر إليكن جميعا كلقيمات منتقاة . . وإلي حلاوتكن، ثيابكن المتبلة، موسيقاكن، وفنكن . . كمثل كثير من الصلصة يفتح شهيته . والشيء الوحيد الغامض الذي تدعينه فضيلتك، يمنعه من التكالب . . بالقوة

تقـريبا ، إن لم يكـن خـشية البولـيس ، يـا "جيـسكا" . هل تحبين ذلك؟

جيـــــسكا : لست أصدقه .

فيلـــــيب : وهل حقا تصدقين أن تصرفات الرجال الرقيقة نحو معظم النساء الجميلات أي شيء آخر سوى تصرفات رقيقة؟

جيـــــسكا : أنـا أفضل تصرفاتك أنت الرقيقة . (وبعد ينقذها مرة ثانية كـل مـن الـذوق الـرفيع ، وحـس الدعابـة) لا . . هـذه وقاحة .

فيلـــــيب : (بكـثير جـدا من المودة عمّ توحي الكلمات) إنني أعاملك كمـا يعامـل رجـل رجـلا آخر ، لا أفضل ولا أسوأ . هل ضاع الثناء والتقدير؟

جيـــــسكا : (ذاهلـة من هذا العالم غير المعقول) أريد أن أصبح صديقة للرجال . ربما أصبحت قريبا صديقة لهم . ولكنهم هم من يغازلونني . لماذا؟

فيلـــــيب : (مـؤذيا بـشكل مـزمن) بالطبع . . أنسيت أي شكل تبدين فـيه . . لم ألاحـظ قـط مـا . . ولكـن أظن أنهم يغازلونك لأنك جميلة إلي حد بعيد وجذابة . .

جيسكا : ألا تريد أن تكون النساء كذلك؟

فيليب : (سلبيا كلية) لا . .

جيسكا : أمرٌ ممرض . طبعا ، لو أنجبت اثنتي عشر طفلا ، وأصبحت مسنة مع الأخير ، ربما كنت بعيدة تماما عن الخطر . ولكن لسنا جميعا كذلك . . . لا تريدنا أن نكون كذلك؟

فيليب : (سلبيا كلية) لا (يتركها حرة لتبرر نفسها)

جيسكا : إنني أقوم بمسئولياتي . . أحافظ علي بيت لك . أسلي أصدقاءك . تمديني يكلف عالمك الثمين الكثير جدا . . . . ولكنك تريد لكل أولئك أن يحدث . (ثم باحتياطي أنثوي مؤكد) ولكن لنفترض يا "فيليب" . . إنني لم أكن ألطف- بالفطرة- عن بعضكم أنتم الرجال؟ عندما كنت طفلة ، ما لم أكن عصية الإرضاء ، لكان يجب أن أكون نهمة حزينة . إن ثقافتي . . وتمديني . . . لا يمكن أن يكونا كافيين تماما للاحتفاظ بالرائع "تومي" ، كصديق محترم لي ، ولكن لهذا فوائدة . .

فيليب : (ولكن فيليب يقصد إلي السخرية من هذا ، وينفيه عن المحاكمة) اسمعيني . . لو أن ثقافتك فقط ما يصونك عن

تقبيل "تومي" . . قبليه .

جيسكا : (انقياد "فيليب" علي هذا النحو من موضع إلي آخر ، يستفزها) فيليب . . أعتقد أحيانا أنني سأكون في القريب متزوجة من أبيك!

فيليب : لماذا؟

جيسكا : لو بقيت كما كان ، بدلا من أن تكون ما أنت عليه . . ينبغي أن أكون آسفة . . ينبغي أن أحتقرك . . ولكن هذا يوترني جدا ، ويثقل علي احترامي لنفسي بشدة . (ثم بقليل مما يثير الإعجاب) ولكن هذا حين تفقد إنسانيتك يا "فيلي" . . التي أغرتني قليلا جدا . .

فيليب : (تائبا في الحال) أعرف أنني . . (ثم يهم ليقف ناظرا إلي المدفأة ، وصادقا في ما يقوله) ولكني أتصرف علي هذا النحو كرها لعالم مزرعة الجنس . . الرجال والنساء دائما يعاملون بعضهم البعض بهذه الطريقة غير الودية . . واخشي أن يفسدني هذا بالقسوة

جيسكا : (من جانبها ، وبلطف مع نظرة فقط إليه) أكره هذه القسوة أيضا . . ولكن يسعدني أني أحبك يا "فيليب" . .

(يبتسمان لبعضهما)

فيلــــــيب : نعـم يـا عزيزتـي . وإذا أمكـنك بـرقة أن تـتغلبي عليها . . فلكم أحب أن أقبلك .

جيــــــسكا : لن أقبلك . . ويمكنك التغلب عليّ

فيلــــــيب : أيمكـن أن نلتقـي في منتـصف الطـريق؟ (يلتقـيان بمنتصف الطـريق ، ويقـبلان بعـضهما كزوج وزوجته . يقفان معا ، ويحدقان في المدفأة) أتعرفين العالم الذي أود الحياة فيه؟

جيــــــسكا : أينبغي أن أحبه؟

فيلــــــيب : ألم تبلغ الإنسانية سن الرشد أخيرا؟

جيــــــسكا : أبلغته؟

فيلــــــيب : ألا يمكـن أن نأمـل ذلـك؟ التبرج يستقر بشكل رائع علي الأطفـال . وبعـدها يـتهادون ويتعاشـرون بعبثـية . . حتى مـشاجراتهم في كليـتها تـنم عـن حـسن النـية والـبراءة . ولكـنني لا أرى سـببا لأنـنا نحـن الرجال والنساء ، لا نجد كل السعادة . . والجمال أيضا . . في الأغراض الجادة . ولم لا تكـون دائمـا- مـع كـل مـنا- لـمسة الفهم المطمئنة ، في أفضل الحالات .

جيـــــسكا : (بسعادة) تقصد حينما نريد أحيانا وفجأة أن نتصافح؟

فيلـــــيب : (بسعادة أيضا) هي كذلك ، وأريد من الفن والثقافة ألا يكونا محض قشرة للهمجية . ولكن يجب أن يتفجرا بأحلى الأوقات من سعادة الناس كلهم .

جيـــــسكا : (تمنح نفسها هزة خفيفة من الحس الأنثوي العام) حسنا . . وماذا قد يحدث؟

فيلـــــيب : (لا أحد أكثر عملية منه) أنا كنت قدمت اقتراحات . يجب أن نتعلم كيف نعيش علي ألف باوند سنويا . . نضع "ميدرد" في مدرسة معقولة . . ويجب أن أستمر في مسعاي إلي مجلس المقاطعة . هذا ما تتمخض عنه الثورات الروحية في الممارسة ، لنبدأ به .

جيـــــسكا : (كواحدة تطالب بحق) وأين نصيبي من العمل؟

فيلـــــيب : (واعيا بشيء من العجز) وكيف لرجل أن يخبرك؟ هناك الكثير لتختاري منه .

جيـــــسكا : (وعليها وطأة مصير جنسها الحالية) آه! . . شخصيتك غير العادية تجعلك إما رجلا خيرا أو سيئا . . لطيفا أو تقيا . ثمة تجارة للنساء السيئات ، وعديد من المهن

للأتقياء . ولكني كنت تعلمت كيف أكون فاتنة ، وأن أحب الثياب اللذيذة . وأصارحك أنني مثيرة وانفعالية . . ولكن لا أستطيع التحكم في ذلك . وأعرف أنني متزوجة منك والحمد للرب . وأنت تجعلني بين حين وآخر ، أنسي أنني أنثي .

فيليب : الذكر والأنثى خلقهم الله . . . وتركنا نعمل الباقي . والرجال والنساء لفترة طويلة في حالة عمل . . أليسوا كذلك؟

جيسكا : (بجسد) أوه . . أنت بخير تماما!!

فيليب : (بشيء من المعرفة المتواضعة بنفسه) أنحن بخير؟

جيسكا : ولكني أقول لك يا "فيليب"، ليس من السهل علينا . إنك دائما لا تسمح لنا بالفرص الأفضل . هل تسمح؟

فيليب : لا ، أوافق أن الأمر ليس سهلا . ولكن سيكون سهلا .

جيسكا : نعم . . . . (لم تنهي كلامها ، إذ لا نهاية بالفعل للموضوع . ولكن للحظة أطول أو اثنتين ، يقفان سعداء معا ، ويتطلعان إلي المدفأة . الختام)

* * * * *

الفهرس

❊ ❊ ❊ ❊ ❊